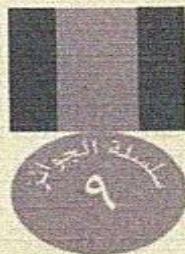


المكتبة العامة المصرية
سلسلة أبو واشر



رواية

إلفريده يلينك

العَاشِقَاتُ

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر

رواية

إلفرد يلينك

العاشرات

ترجمة وتقديم د. مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦

يلينك، الفريديه

الماشقات / الفريديه يلينك ؛ ترجمة وتقدير
مصطفى ماهر . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠٠٦.

ص ٣٦٠ - ٢٢ سم . - (سلسلة الجوائز)

تدمل ٩٧٧-٤١٩-٢٠٦-

١- التصصن الإنجليزية.

١ - ماهر، مصطفى (مترجم ومقدم).

ب - العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٩٦٣ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-206-0

دبوى ٨٢٣

- الكتاب : «العاشقات» Die Liebhaberinnen
- الكاتبة : إلفريدة يلينك Elfriede Jelinek
- المترجم : دكتور مصطفى ماهر
- العنوان الأصلي : DIE LIEBHABERINNEN
- Copyright © 1975 by Rowohlt Verlag GmbH,
Reinbek bei Hamburg.
- يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من دار النشر الألمانية Rowohlt Verlag GMBH, Hamburg strabe 17, D - 21 465 Reinbek bei Hamburg.
- جميع الحقوق محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب في مصر.
- الطبعة الأولى . ٢٠٠٦
- التصميم الجرافيكي: دكتور مدحت متولى
- الإخراج الفني: صبرى عبد الواحد

سلسلة الجوائز

تواصل سلسلة الجوائز تجديد نفسها في الأعداد التالية، من خلال تطوير الشكل، كما تحاول جاهدة استيعاب أبرز ملامح المشهد الإبداعي عربياً وعالمياً، هادفة إلى تقديم أعمال تميز بالخصوصية والجودة، التي اتفقت عليها لجان مهمتها التحكيم لمن جوائز عالمية ومحلية لأهم الكتب وأكبر الكُتاب.

وخطة السلسلة أن تنشر أعمال أدبية مترجمة من كل لغات العالم الحية، من خلال تلك الجوائز التي تمتد من نوبل إلى الجوائز المحلية الكبيرة في كل بلدان العالم، لكي يضمن القارئ العربي قراءة عمل متفق على جودته وجديته، ولكي يتسعى له الإطلاع على أحدث الاتجاهات في الكتابة الأدبية، ذات القيمة العالية في حقول الإبداع المختلفة: الشعر، الرواية، القصة القصيرة، السيرة الذاتية، المسرح.

وتحرص الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهي تحتفى بالكتب والكتاب وبجوائزهم، مراعاة الحفاظ

على حقوق الملكية الفكرية، والحصول عليها من الناشرين الأصليين والمؤلفين طبقاً للقانون.

لقد كان إقبال الجمھور على الثمرة الأولى من «سلسلة الجوائز» مشجعاً لنا على الاستمرار في تقديم نماذج من الأدب العالمي والعربي المتميز. وهاهي المجموعة الثانية من إصدارات هذه السلسلة تتوجها «جائزة نوبل» للأدب، وهي أرفع جائزة في العالم، حصلت عليها الكاتبة النمساوية «الفریده يلينيك»، ونقدم لها روايتها «العاشقات» ترجمة الدكتور مصطفى ماهر، وسوف نقدم لها أيضاً رواية «أوقات رائعة» في مرحلة لاحقة.

وعملية الترجمة والمراجعة والإعداد تجرى الآن لتقديم المزيد من حائزى نوبل سنقدمهم تباعاً، وهم: الكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر»، والكاتب البرتغالي «ساراماچو»، والكاتب الجنوب إفريقي «كوتزى»، بالإضافة إلى الكاتب التركى «أورهان باموق»، والتى نالت أعماله الأدبية مجموعة من الجوائز المحلية والعالمية.

ناصر الأنصارى

كلمة المترجم

هذه الرواية التي طلبت مني هيئة الكتاب أن أنقلها إلى العربية، رواية لها سماتها الخاصة، فهي رواية نمساوية شكلاً وموضوعاً، حظيت باهتمام عالٍ، حيث نقلت إلى العديد من اللغات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لأن القراء الذين ينظرون إلى ما وراء حدود بلادهم، يهمهم أن يعرفوا ما يكتب أدباء البلاد الأخرى، ولهم أن يفيدوا من الأعمال المترجمة، ولهم أن يعجبوا بها، ولهم أن ينتفعوا بها أو بشيء منها، ولهم أن يرفضوها كلها أو بعضها، ولكن عليهم على كل حال أن يدركوا أنها نشأت في قلب ثقافة مختلفة، بلغة مختلفة، تعالج موضوعات مختلفة، وتتجه إلى قراء مختلفين، أى أنها لم تكتب لنا، ولهذا فتحن نبذل جهداً خاصاً لكي نفهم النص في إطاره الصحيح.

ولهذا تحب شريحة من قراء الترجمات أن يمددهم المترجم بترجمة وملحوظات هامشية تعينهم على هذا

الفهم السليم الذى يأخذ فى اعتباره اللغة والجغرافيا والتاريخ والثقافة فى البيئة النمساوية التى نشأت فيها الرواية، والذى يأخذ فى اعتباره أيضاً سمات كاتب الرواية ومقوماته الفنية والأسلوبية ومقداره. وله إن شاء أن يدرك أنه بهذا يفهم الشيء الآخر، والإنسان الآخر، ويقترب من فهم أصل الإنسانية على اختلاف مشارب الشعوب التى تكونها، دون أن يفقد هويته، أو يغير من ثقافته ما لا يرى خيراً فى تغييره. وهذا النهج الذى نستصو به فى فهمنا الآخر، تتوقع من الآخر أن ينتبه إلى فهمه إيانا. وقد نسمى هذا النهج: الرحلة إلى الآخر.

من البدىءى أن يعرف القارئ العربى بادئ ذى بدء شيئاً عن حياة صاحبة هذه الرواية إلفريدة جلينك Elfriede Jelinek التى أدرك القاصى والدانى مكانتها بعد أن حصلت على جائزة نوبيل فى عام ٢٠٠٤، وأضيف أنتى لن أدخل معه فى تفصيات حياتها، بل سأختار بناءً على الرواية التى نحن بصددها بعض الأساسيات لأبنى عليها كلمتى التمهيدية هذه. وليس منهجهى هنا هو المنهج الوحيد الذى أتبעה فى كل الأحوال، فإذا صح أن لكل مجال مقالاً، صح أن لكل مقال منهجاً أو مناهج تتناسبه، ومن البدىءى أن الدراسات الأدبية النقدية تعرف مناهج أخرى قيمة تربط ربطاً وثيقاً بين حياة الأديب وما يكتبه، فيدخل المنهج السيكولوجى فى تفصيات فرضية العلاقة التسبيبية بين المبدع والإبداع، وقد يتبع مدرسة بعينها

من المدارس السيكولوجية، وهو جهد مطلوب
ومحمود.

أما في هذا المقام فقد أثرت لهذه الدراسة أن أركز
اهتمامى على الفكرة وأهدافها وتجسيمها الفنى
المرتبط بواقع ثقافى واجتماعى أجنبى غريب محدد
بزمان ومكان.

لا بأس بأن نعرف أن إلفريد بلينك أدبية
نمساوية ولدت فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦ فى
مورتسسوشlag Mürzzuschlag بولاية شتايرمارك
النمساوية Steiermark ، ونشأت فى العاصمة فيينا
Wien ، ودرست علم المسرح وتاريخ الفن والموسيقى
واهتمت بالفكر الفلسفى وعلم الثقافة وعلم الاجتماع
وعلم النفس وعلم الجنس.

ظهرت لها قصائد ونصوص نثرية متفرقة ضمن
كتب مختارات وفى مجلات أدبية قبل أن يخرج أول
كتاب لها بعنوان «يا صغيرى نحن طيور استدراجية
تغري كالطعم». وقد تبه النقاد إلى موهبتها الفذة،
فلا غرابة في أن نجدها فى عام ١٩٨٦ تحصل على
جائزة هاينريش بل Heinrich Böll من مدينة كولن
Köln الألمانية، وفي العام التالى - ١٩٨٧ - على جائزة
الأدب من ولاية شتايرمارك النمساوية، نذكر بصفة
خاصة جائزة بريمون Bremen الأدبية التي حصلت
عليها فى عام ١٩٩٦، وجائزة جيورج بوشنر Georg
Büchner التي نالتها فى عام ١٩٩٨، ولا غرابة في أن
تحصل فى عام ٢٠٠٤ على جائزة نوبل فى الأدب.

يهمنا هنا من حياة إِلْفُرِيدَةِ بِلِينِكِ إذن أنها ولدت بقريبة في قلب الطبيعة التي تتسم بالجمال الجذاب وبالتحدي الشاق في آن واحد، حيث الغابات والمراعي والحقول التي تعطي الكثير من الخير، ولكنها تتطلب من الكد والعناء ما لا يعرفه إلا من كابده، فهي تعرف الأرض والناس، وتعرف ما تتعرض له من أخطار انهمار الصناعة الواردة من المدينة، فالصناعة تجذب نحو البيئة الجميلة، فتشوهها بمبان من الأسمدة والألومنيوم، وتحوّل البشر من التعامل مع الفطرة الحية إلى التعامل مع منتجات لا حياة فيها، وتُخرج الناس عن مسارهم إلى مسارات تغريهم ببريقها وبما يرتبط بها من سلطة ورفاهية فتصعد بهم أو تهبط، وتعدهم بوعود كثيرة يتحقق منها ما يتحقق ويتحطم ما يتحطم. والأبراء والسذج والجهلاء والضعاف هم الضحايا، يشدهم النور والبريق، ولا يرون النار والحرق. وكل هؤلاء مادة ثرية للأدب الملزם.

كذلك يهمنا من حياة إِلْفُرِيدَةِ بِلِينِكِ أنها درست في الجامعة والمعاهد الفنية طائفة من العلوم والفنون، حيث جذبت انتباها مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس وعلم الثقافة، وبخاصة تلك التي ترصد التحولات الاجتماعية وتدرس حالات بعضها تصفها وتشخصها وتتابع ما يطرأ عليها من تغيرات وما تتعرض له من مؤثرات، وانتفعت من هذا كله في تكوين فكرها الملزם، ولفتها المتميزة، وأسلوبها الأدبي الشعري المتأثر بقوالب التأليف الموسيقى

والزخارف اللحنية، والموروثات الشعبية في فنون الغناء والشعر والقصص. وأدبهما يرتبط ارتباطاً قوياً بالواقع النمساوي التاريخي والمعاصر، الفني والاجتماعي وال النفسي.

ومن الخير أن نستحضر في مخيلتنا الخطوط العريضة للنمسا وتضاريسها وثقافتها، ونعني أن مساحة النمسا التي كانت إمبراطورية ضخمة مزدهرة انكمشت بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت ضيقه جداً وأنها تتاخم جنوب ألمانيا وسويسرا وإيطاليا والمجر، وتشيكوسلوفاكيا (القديمة) وبوغوسلافيا (القديمة) وأن الطبيعة الجميلة هناك تتبع صاعدة هابطة بين جبال الألب ومرتفعات وسهول غنية تشتهر بالغابات وبالمراعى وبحقول تحتاج إلى عمل شاق لصعوبة الأرض، وتتخللها أنهار ونهيرات وغدران وبحيرات. وهذه الطبيعة الجميلة تجذب السائحين شتاءً وصيفاً، فيكونون ضيوف الشتاء وضيوف الصيف أو المصطافين. وكما أن السائحين يأتون بخير كثير ينتعش به الاقتصاد، وتزيد به الدخول، فإنهم يأتون بقليل أو كثير من الشر متمثلاً في إغراء ضعاف النفوس من التجار والباعة بالفسق والاحتيال والجرى وراء المال السهل، كما يغري بعض الرجال والنساء إلى التحلل من الأخلاق القوية ومن تعاليم المسيحية الكاثوليكية والدخول في علاقات جنسية عشوائية لا تحمد عقباها، تؤدي فيما تؤدي إليه من نتائج إلى تفكك جانب لا يستهان به من العلاقات الاجتماعية التقليدية.

كما أصبحت الطبيعة الجميلة الثرية تجذب الصناعة وتستزيد منها أحياناً، لتشئ مصانع ومتاجر وتخلق فرص عمل مختلفة تحول القوة العاملة إلى حرف جديدة وتدفع إلى المستهلكين الجدد بمنتجات جديدة تثير التطلعات وتحرك في نفوس الناس حاجات جديدة.

ويغلب على الصناعة التركيز على منتجات ترقية من ملابس وأدوات تجميل لهواة الأناقة وتمتع الطعام والشراب وما تكتمل به من الكريستال والبورسلين ناهيك عن أطباق وحلوى ومشروبات. وهي منتجات تستفز غير القادرين الذين يعملون في صناعتها، فتكون بين أيديهم، ولا يكون لهم أن ينعموا بها. وهناك صناعة الآلات الموسيقية المرتبطة بالاهتمام الفائق بالموسيقى بخاصة والفنون بعامة.

ونظراً لأن رجال الأعمال يهمهم الإنتاج المربح في المقام الأول، فإنهم يفلون عن إتلاف البيئة والاعتداء على جمال الطبيعة بمبان لا تسجم معها، ويفجرون مشكلات يضيق بها المفكرون. وقد لاحظ المستغلون بعلم الثقافة وعلم الاجتماع تغير إيقاع الحياة على نحو متزايد، فلم يعد هادئاً مطمئناً مبهجاً، بل أصبح صاخباً مقلقاً محزناً أيضاً، ولاحظوا التباين بين الشكل والمضمون، والأمنيات والقدرة على تحقيقها، مما غير التركيبة الاجتماعية ورج أركان التقليد. وربما شفّلهم على نحو خاص الخطر الذي تتعرض له الطبقة الدنيا، والشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة،

في حركة الصعود الاجتماعي والتاحر بين القرية
والمدينة.

والثقافة النمساوية لها خصوصيتها، ولكنها وثيقة
الارتباط بالثقافة الألمانية في مجموعها، وهو ارتباط
لا يعني بحال من الأحوال الذوبان في البوقة الثقافية
الألمانية الكبيرة. والنساويون لهم مشاركة كبيرة في
العلوم ومشاركة أكبر في الفنون ومن بينها الأدب^(١)
والمسيقى، وسواء عمدوا إلى الخصوصية أو تركوا
خصوصيتهم على سجيتها، فالهوية النمساوية
الثقافية عنيدة في فرض ذاتها.

هذه الرواية التي تحمل عنوان العاشقات محيرة
ومستفزة وهادفة ومجددة وإن ارتبطت تجديدها
بخبرات المجددين السابقين ونزاعاتهم ومدارسهم.
فقد شهد تاريخ الثقافة في عصور مختلفة حركات
تجددية ت يريد أن تسبق الزمن، فتتقلب على القديم
تأثيره عليه، أو تحور القديم مستمرة ما يدعم السعي
إلى الجديد، فلم يكن القديم ينتهي نهايات عقيمة بل
كان دائماً يبني بما يمكن أن يأتي بعده وكان في
كون منه يفتح للأجيال المتعاقبة نوافذ على تراث
متراكم. لم تتم في الأداب الألمانية منذ انتقلت من
العصور الوسطى إلى العصور الجديدة الإبداعات

(١) من الممكن الرجوع إلى كتابنا «انجسر الذهبي» الذي ضم دراسات عن الأدب النمساوي المعاصر، وترجمات لمحات من الشعر والقصة القصيرة من أعمال نحو خمسين كاتباً وشاعراً.
القاهرة ١٩٩٤ (المترجم)

المتالية منذ النهضة الإنسانية والتور مهوراً بحركات العاصفة والاندفاع والكلاسيكية والرومانسية والواقعية والطبيعية والانتباعية والتأثيرية ولم تنته محاولات اللامعقول والتدخل بين الفنون والعلوم والتجديد الثوري الجريء^(١). بل دار الزمن بكل هذه الشمار دورته الحتمية نحو الصيرورة وألوان متعددة مستفزة مفرقة في الابتكار المعاظام. جديد يتولد عن قديم في صراع مستمر قد يسمونه شجراً.

والحق أننا مازلنا نستخدم في تقدير أدب الفُريدة يلينك وغيرها من المجددين المستفزين مصطلحات وخبرات مما تراكم لدينا على مر العصور، فنرى فيها تأثراً بالحركة الطبيعية الناتورالية وما انبثق منها من محاولات الربط بين العلوم الطبيعية والاجتماعية وبين الأدب وغيره من الفنون. ونرى فيها استثماراً للتراث الشعبي ولتجارب اللامعقول وتجارب التمرد على ما تهرأ من القديم ومحاولات الانطلاق إلى الابتكار المتحرر من كل القيود، والانصراف عن مثاليات البطولة والأبطال، والنزول إلى ألفباء الحياة اليومية المحصورة في الحاجات الأولية.

(١) يستطيع القارئ أن يجد معلومات مفيدة عن هذه الحركات والاتجاهات وأصحابها وأعمالهم في كتابنا «صفحات خالدة من الأدب الألماني»، بيروت ١٩٧٠ وكتابنا ألوان من الأدب الألماني الحديث في الشعر والقصة والمقال، بيروت ١٩٧٤ (المترجم).

الفريدة بلينك تدرس هنا حالات ثلاث عاشقات دراسة بين العلم والفن، من منطلق العلاقات غير المتوازنة بين الرجال والنساء وما يطرا عليها من تغيرات في فترات الانتقال والتحول وبخاصة في زماننا هذا، وتكب **الفريدة بلينك** دراساتها وتقاريرها وحكاياتها متداخلة، متشابكة، مستفزة.

ولا غرابة في أن تكون الرواية في بنائها حافلة بالتناقضات، لأن موضوعها حافل بالتناقضات، وأن هذه الموضوع يتشعب إلى موضوعات حافلة بالتناقضات أيضاً، ولكننا لا نفقد الخيط الأحمر الذي تنظم فيه القاصة عقدها، على طريقة العمل الموسيقى الأوركسترالي الذي يعيد ويزيد وينوّع ويتنوع دون أن يفقد نوعاً من الوحدة تتناسب زماننا المضطرب.

يلفت النظر أن الرواية تبدأ بوصف موجز لمكان جميل تكتفه طبيعة خلابة ويعيش فيه الناس أصلاً حياة نشيطة متناغمة وصعبة مع هذه الطبيعة الجميلة البسيطة، وتقرب بنا عدسة الأديبة من مصنع اندس في هذا المكان فخلق فيه الكثير من التناقضات. فهو شكل يتكون من مواد صناعية تتناقض مع الطبيعة، وهو يصنع منتجات ترفية لا تمت إلى حياة الكادحين بصلة مباشرة ولا يتصور أنها تزودهم بمتطلبات حياتهم اليومية، وإنما هي ملابس نسائية غالية الثمن تتوجهها عاملات من نساء القرية، وتحملها الشاحنات إلى نساء متصرفات ينجذبن إليها

ويدفعن فيها مالاً عَدْقاً يندرج تحت المظاهر المترفة. هذا المصنوع الذي يبدو جسماً غريباً يخلق شريحة جديدة من العاملات، الخياطات، اللاتي تنهمر التغيرات والمتاقضات عليهن انهماراً. وهكذا تتضح لنا القيمة الرمزية لهذا المصنوع والملابس النسائية الترفية التي ينتجها.

وتقرب عدسة الأدبية المchorة فى مواضع أخرى من الرواية من محل الاستهلاك أو السوبر ماركت الذى أتى إلى القرية أو البلدة الصغيرة من المدينة ببضائع وأنظمة للبيع مختلفة، فظهرت شريحة من العاملات، البائعات، انهمرت عليهن أيضاً في دنيا الاستهلاك المتغيرات والمتاقضات، فقلبت حياتهن ودفعتهن إلى مسارات لا قبل لهن بها.

ومن البديهي أن تختار الأدبية شخصيات نسائية من هاتين الشريحتين ينتمين إلى عالم القرية الذى هبت عليه عواصف التغيير القادمة من المدينة حيث رجال المال الأذكياء يخططون ويبنون ويعدون بحياة أفضل تفرى البساطة وغير البساطة، ولكن البساطة غنية سهلة وضعية سهلة أيضاً.

اختارت إلفريدة بلينك للرواية شخصيات بسيطة من النوع الذى عرقتاه فى أدب الطبيعية والواقعية، ونزلت إلى قاع المجتمع، لتحكم قصصاً من الحياة اليومية البدائية لأناس ساذجين وجهلاء وبائسين ومكافحين فى مواقف أكبر من قدراتهم.

ولنا أن نذكر في هذا المقام ما أبدعه أدباء الناتورالية الطبيعية الأوئل في فرنسا وفي ألمانيا، وأن نذكر تأثيرهم بكتاب كلود برنار «مقدمة في دراسة الطب التجربى» (١٨٦٥) الذي قلدوا مناهجه العلمية وأدخلوا تقليد مناهج الطب في عالم الأدب فقرأننا روایات تجمع بين الفن والفنون والعلوم. وكلما اتسعت مجالات العلوم وتطورت علوم جديدة استقبلتها الأدباء بشغف واستغلوها في تطوير أدبهم وتعديقه.

مناهج علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس ودخلت عالم الأدب، فنسج الأدباء على منوالها، وألفنا أدباً يزداد ثراء، ويسعى إلى تصوير الحقيقة الواقعة أقرب ما يكون إلى الاكتمال والكمال، والتقطوا صورها الحقيقية في بيئاتها الحقيقية، ورجعوا فيها إلى المراجع التي كانت آلة من آلات العلماء الذين يتحرون المنهج العلمي.

روايتنا هذه وسط بين التقرير العلمي وبين الإبداع الفنى. هناك علاقة بين دورة حياة البشر في تطورها وبين دورة البيع والشراء المتمثلة في هذه المحلات الاستهلاكية الحديثة التي تتبع البضائع الاستهلاكية ويدور بالبائعات فيها دورة مماثلة لدورة البضائع الاستهلاكية.

نقرأ في الرواية: «وهكذا نشأت على مر السنين دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ثم وضع طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة

بيت، البنت تدخل، الأم تقضى نحبها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفز من السُّلُم، تلد هى ذاتها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكى هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعية، فى فاكهته وخضرواته تتعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تعكس فى أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تعكس وجوه بائعاته المتباهات اللاتى اجتمعن هنا ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتى دائماً وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل فى المحل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً ب Yasmin بليز بليفة. وهو دائماً سكير لا يفيق من السكر».

من هذا المنظور اختارت إلفرىده بِلِينِك لروايتها بنتين من الطبقة الدنيا تحاولان الصعود إلى حياة أفضل، دون إمكانات تناسب النضال فى مرحلة انتقالية عسيرة يمر بها المجتمع القاسى، وتفترف إلفرىده بِلِينِك الكثير من عناصر النقاش الذى دار ويدور . بحق . حول التمييز بين الجنسين، الذكور والإناث، فالذكور متهمون بأنهم مصممون على الهيمنة على الإناث، والإثبات يعاب عليهم أنهن يسهلن على الذكور هذه الهيمنة . والطبيعة متهمة بأنها تلعب دورها فى تحقيق التذلل فى جانب والهيمنة فى الجانب الآخر.

الشخصيات الرئيسيتان «بريجيت» و«باولا» إذن من وسط اجتماعى منخفض باش يشبه وسط من أسمائهم طه حسين المعذبين فى الأرض، إحداهن

تستطيع أن تتحقق على نحو ما الحلم الذي كانت تحلم به، والثانية استطاعت بجهد جهيد وتنازلات أقسى أن تتحقق حداً أدنى مما كانت تتمناه ثم أخطأت التقدير والتصرف فانحرفت وعادت إلى نقطة بداية زاد فيها العناء وتتنوع.

وبناء الرواية إذا شئنا بسيط في أساسياته المعمارية، فهو يتكون من وحدتين متوازيتين متحركتين متداخلتين، على مسارين يرسمهما القدر والمصادفة ومحاولات من البشر وضفوط من القوى الطبيعية الكونية، مسار «بريجيته» ومسار «پاولا». «بريجيته» و«پاولا» لا تعرف إحداهما الأخرى. وتقطع الفريدة بِلِينِك كل مسار إلى قطع تتقل بينها على طريقة «يرجع مرجوعنا إلى» وما تزال هكذا حتى تطمئن إلى أنها حققت هدفها.

وتضيف الفريدة بِلِينِك إلى البتين الرئيستين بنتاً ثالثة هي «زوزانه» أو «زوzi» من طبقة اجتماعية أرفع، تستخدمنها في حدود ضيق نسبياً لـلقاء الضوء على السمات الفارقة المميزة للطبقة الاجتماعية الأدنى.

ويمكننا أن نبسّط نسيج أحداث الرواية إلى بنتين تسعين إلى نوع من الصعود الاجتماعي عن طريق الارتباط بـرجلين لا يحبانهما، ولكنهما تريدان الزواج بهما بـربطهما بـطفل أو طفلين. وبنـتـ ثـالـثـة تختار خطيبـها وـتـنـازـلـ عنـ الـدـرـاسـةـ الجـامـعـيةـ.

لكل وسط اجتماعى لفته؛ وهذا الوسط الاجتماعى المنخفض الذى أفرز فتية وفتيات ي يريدون الصعود إلى أعلى له لفته الدارجة المبتذلة الساذجة العاجزة التى تعج بتكرار أسماء الأفراد وتكرار كلمات غير محددة مثل «الشىء» و«الإنسان» و«الواحد» و«ذات مرة» و«ذات يوم» و«أيضاً»، وتكرار كلمات مفتاحية مثل: الشغل ، العمل، شغل البيت، المصنع، الغابة، تدبير المنزل، النظافة، القذارة، وكلمات أحاط من المبتذلة مما يدور فى المراحيض، وما يصف به المستهترون العلاقات بين الذكور والإناث.

هذه اللغة الحية استثمرتها إلْفِريدة بِلينِك، فلم تأخذها كما هي، ولم يجعلها لغة الرواية، بل وظفتها فى لفتها هى وبأسلوبها هى وسيّرتها نحو هدفها الذى ترمى إليه. وهذه طريقة شبيهة بما يحدث فى عالم الموسيقى حيث يستقى الموسيقيون المبدعون من ينابيع التراث الشعبي والإبداع التلقائى ثروة من الموتيفات والنغمات والقوالب يقومون بتوظيفها فى أعمال يؤلفونها ويجعلونها تتكامل تكامل البناء المعمارى، اللغة هنا نواتها لغة نمساوية دارجة تتكلمها شريحة اجتماعية معينة، ولكنها منتظمة برغمها فى تركيب اللغة الفصيحة نحواً وإملاءً.

ويمكننا أن نقول إن هذه اللغة التى تصطنعها إلْفِريدة بِلينِك لنفسها، تفرض إرادتها على اللغة الفصيحة الرفيعة بما تدسه فيها عنوةً من كلمات وتركيب، وما تقولها فيه من قوالب موسيقية

واستطيقية. وتكشف إلْفِريدة يلينك عن رغبتها في التحرر من القيود اللغوية التقليدية، فتحرر من علامات الترقيم إلا القليل وتتحرر من قوانين الإملاء الألمانية المشهورة، وتعمد تجاهل الحروف الكبيرة التي تبدأ بها الأسماء الأعلام، كما في اللغات الأوروبية، وتبدأ بها أسماء الأشياء والنباتات والحيوانات والجمادات والمفاهيم، وكل الكلمات التي تستخدم نحوياً أو فلسفياً استخدام الأسماء. وهذا التحرر الذي تأخذ به الكاتبة، والذي جريه غيرها من الكتاب والشعراء وعلماء اللغة والأدب في عصور مختلفة وبخاصة في القرن التاسع عشر، لا يسهل علينا القراءة والفهم، بل يصعبه. وهكذا تحيرنا لغة إلْفِريدة يلينك الألمانية كما تحير أهلها، تارة بقواعد ضبط صارمة، وتارة بتحرر من كل القواعد.

وتفاجئنا الكاتبة بكثرة استخدام الأسماء الأعلام، فربما جاء الاسم الواحد في الصفحة الواحدة عشر مرات أو عشرين مرة. فالشخصيات الرئيسية والفرعية في الرواية - كما تعرضهم يلينك - أناس لم يتعلموا في المدارس ما يمكنهم من التعبير بلغة غنية منوعة قادرة على الوصف التفصيلي وعلى التصوير المحيط بالأشكال والألوان والأحداث. إنها لغة قليلة الألوان والأبعاد. فالشخص يعرفونه باسمه أو باسم يطلقونه عليه أو بكلمة مركبة من اسم وعلاقة، وهذه هي «أم إيريش» كلمة واحدة مركبة وهذا هو «أبو هاينتس». والأشخاص أناس بلا تحدي أو أشياء بلا

تحديد أيضاً. واللغة الدارجة الفقيرة التي يتحدث بها أبناء الشريحة الدنيا في المجتمع تعرف هذا الاقتصاد وهذا الاختزال.

كذلك أخذت **إلفريدة** يلِينِك من اللغة الدارجة الإسراف في الحشو بكلمات أو تعبيرات بمعنى أو بلا معنى: أيضاً، ذات مرة، ذات يوم، وثم ومن بعد ومن قبل. والطريف أنها صنعت منها نغمات موسيقية تتضمنها الأذن وتحس فيها رتابة الحياة الريفية.

وهناك مواضع كثيرة تتكرر فيها الجمل مع شيء من التعديل أو بدون تعديل، وهي طريقة تذكرنا بطريقة الشعراء الريفيين الذين يتلون الملاحم الشعبية، ويستخدمون آلة موسيقية بوتر واحد أو وترتين.

ونجد نوعاً خاصاً من التكرار يقوم على تلقيف كلمة من نهاية فقرة واستخدامها في الاستهلال والربط بين الفقرات المتتالية؛ فالفقرة الأولى تنتهي بعبارة فيها اسم أو فعل معين، فتجيء الفقرة التالية لاستخدامه في سياق تال. وربما حلا لها اللعب بالاشتقاقات والتحويلات بالدلائل والاشتقاقات.

وموسيقى الكلمة والجملة مكونٌ أساسى من مكونات الرواية. وقد نبهنا القارئ في العديد من الملحوظات الهماسية إلى العديد من الظواهر **اللغوية والأسلوبية والثقافية والأمثلة والشواهد**.

كذلك هناك الكلمات المفتاحية التي تعبّر عن الأفكار والمقاصد التي تشغل بال الكاتبة وتوردها على ألسنة أشخاص الرواية: الشفل، العمل، البيت، الملك، الخاص، الآلة، الجنس، الفعلة القدرة، السكر القمرء.

وللقارئ الحق كل الحق في أن ينظر إلى هذه الصياغة اللغوية المتداخلة المثيرة البارعة من منطلقات مختلفة، فقد يرى فيها تعبيراً عن اصطناع السذاجة، والانتقال إلى السخرية والنقد اللاذع. فهو يحس بأن هذه الشخصيات تعيش تحت سمعه وبصره كما هي في الواقع، ولكنها مبروزة في برواز الأديبة القابضة على مقاييس الإبداع. فهي صاحبة موهبة فريدة في السخرية بكل أشكالها، من الضحك مما ليس من شأنه الإضحاك، بمعنى «شر البلية ما يضحك» أو اصطناع عدم الفهم أو الفهم الخاطئ أو المعكوس.

ومن النقاد من تسأله عما إذا كان من المتوقع أن يعتبر علماء الاجتماع رواية *إليزابيث* تقريراً اجتماعياً أو سيكولوجياً، وإن كان عليهم أن يعتبروه كذلك، ومنهم من استبعد أن يكون القصد من السخرية الاستهزاء والتّمتع بمصائب الآخرين. فليس هناك شك في أنها ترفض هذا الذي يصيب البنات وهذا الذي يفعلانه من حماقة، وهي في استخدامها المتكرر لكلمة الشيء أو الإنسان بمعنى الشخص غير المعرف، توحى بأن الشخصيات النسائية الرئيسية والفرعية ترتكب من الحماقة ما يجعلها كالأشياء، أي

إننا في مواجهة ظاهرة «تشيُّيُّ البَشَر» التي جسمها كتاب الواقعية المادية.

وما من شك في أنها تقصد بهذا الاستفزاز الكشف عن النفاق الاجتماعي، وعما تتطوى عليه التقاليد الاجتماعية من مفاهيم بالية أو متغيرة أو بحاجة إلى إعادة النظر. هذا الاستفزاز الساخر يقصد إلى إيقاظ الوعي الأخلاقي، والوعي الاجتماعي، والوعي الإنساني.

هذا الأدب القصصي الذي أبدعاته إلْفِريدة يِلينِيك والذي مدحه الحريصون على الابتكار الجريء والحرية والتصرّف في التعبير عما يترجح الكثيرون من التعبير عنه، وأنكره من أنكره من المتشبّثين بالقديم والمأثور، أدب متفرد، يسلك دروباً غير مألوفة، ويحقق ما يرجوه محبو الفن القصصي من ارتياح المجهول.

القراء الطامحون يحبون الإبداع الأدبي الذي فيه فكرة تثير اهتمامهم وتحرك أفكارهم و موقفهم الابتكاري. ومن هنا ظهرت نوعية من الفن شديدة الاقتراب من العلوم، علم الاجتماع ، علم النفس، علم الثقافة. ليس الفن مجرد خيال ابتكاري، بل فيه جرعة كبيرة من الجرأة السياسية والفكريّة والعلمية، من الاعتماد على الفكر في معالجة مشكلات حقيقة.

موضوع الحب وتتويعاته يغلب عليه تصور الكاتبة أن العلاقة بين الرجل والمرأة يحكمها استغلال الرجل

للمرأة وركوع المرأة أمام الرجل وجريها وراءه. ولهذا فإن النفمة السائدة عنيفة وهجومية، وفيها من الكراهية أكثر مما فيها من الحب، وفيها على كل حال افتعال فني استفزازي يستهدف شحد الوعي.

ولا تقف يلينك في تتبع تدوينات موضوع الحب وتقلبه بين المأساة والملهاة عند مرحلة عمرية معينة فتجدها مثلاً في معرض الحديث عن "باولا" تنتقل إلى الجد والجدة وما يتصل بينهما من علاقة حب تحول إلى كره، وخيمت عليه انعكاسات المرض والانتقام ونوع من الترابط العائلي الذي تحكمه الضرورة والحاجة والعادة.

في مواجهة خطاب القسوة يمكننا أن نسوق خطاب المودة والرحمة والتفاهم المتداول الذي تستشفه بين السطور والذي يكون صورة في الظل أو في الخلفية أو في مخزون الاحتمالات، فالرواية تلقى الضوء على عشق لا شأن له بالصباية، وإنما هو اندفاع هذه البنت أو تلك إلى علاقة تتحقق لها الخروج من البوس وتكوين أسرة في بيت خاص يكون مملكتها.

والرواية لا تخلو من فلسفة. **الفريدة يلينك** لا تستدرج القارئ إلى تأملات فلسفية مرهقة، ولكنها تطرح في إطار فلسفة قريبة من عقلية الجماهير أسئلة عن الإنسان وإرادته وقدراته. وإذا لم تكن «باولا» قد تعلمت في المدرسة شيئاً يضيء لها الطريق في الحياة بين الناس، فهي على الأقل قد أدرت

الضفوط التى تحد من إرادة الإنسان: «عندما تهيم أفكار «باولا» إلى بعيد جداً، فإنها تخرج إلى القوى الطبيعية التى تعرف «باولا» عنها أنها أقوى من الإنسان. وبنفس الطريقة التى يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعى، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة».

وترجم البنت فى واقعها الذى تعيش فيه القانون الطبيعي إلى شىء ملموس، إلى كائن من الذكور المهيمنين على مقدارير الإناث اسمه فى هذه الحالة «إيريش» كذا تلاحظ «باولا» كم هى صفيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. حبة تراب. حبة تراب فى الصحراء. الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً ضد قوة الطبيعة. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافى فى التليثزيون، وهذا ما تقوله «باولا» أيضاً كثيراً.

ومسار الإنسان وبخاصة المرأة يخضع لعوامل متعددة، منها القدر والمصادفة والحظ والمعرفة الحقة والجهل والمحاولة. والإنسان فى مجتمع تحركه منظومة اقتصادية قوامها المال والمصلحة والهيمنة، فى حيرة من أمر هوئه التى تتغير بتغير الظروف. والمقهور يتحول إلى بضاعة. وهذه «باولا» فى محنتها، تبحث عن الرجل الذى قررت أن ترتبط به، فإذا هو سكير، معتوه، يعتبره زملاؤه الذين يكذبون كدح البهائم فى قطع الأشجار حيواناً من حيوانات الدرك الأسفل. أو هو شىء. وكذلك تدرك البنت أنها شئ كالفاكه والخضراوات التى يبيعونها فى الأسواق بثمن

تحدد درجة الجودة. «باولا» لم تعد لها قيمة في سلم درجات الجودة. «باولا» لم يعد لها قيمة تجارية.

والجريون ينصحون المقهورين والمستضعفين بأن يستسلموا للطبيعة ومسارها الجبار وعلى الحظ أن يدخل الساحة. ولسنا نعرف بالضبط كيف يكون الجمع بين الطبيعة وبين الحظ. وإذا كان للطبيعة قوانينها، فلا أحد يعرف قوانين الحظ. وهل للمصادفة قوانين؟ بل إن الطبيعة تحيرنا بأسرارها حول الصيرونة والفناء في الطبيعة. هل الصيرونة تبدأ بطفل يولد، ويكبر، ويعمل ، ويغانى ، ثم يكبر ويحل محل والديه اللذين يفنيان تاركين ما بنيا واقتصرًا للابن الذي يبدأ دورة شبيهة؟ هل هذا التبسيط الذي أخذ به «هایتس» و«إيريش» هو خلاصة فلسفة تتمحور حول الإنسان؟.

وإذا لم يكن مبدأ الصيرونة والفناء ليتحقق مأرب لطامحين إلى الخروج من البؤس والضفة والمعاناة والتمتع بالهيمنة والبهجة والحياة الرغدة، فهل تنظر صامتين إلى الأولاد الذين يستعجلون فناء الوالدين، ويلقون بهم إلى دار المسنين، أو إلى المجهول؟ ولا تتحصر هذه المشكلة الأخلاقية في العلاقة بين الأبناء والأباء، بل تتجاوزها إلى مجالات أخرى منها مجال العمل حيث يتمنى الصبي المتدرج الذي تعلم يد المعلم وأصبح عملاً أن يفني المعلم حتى يحل محله، لأنه يحتاج إلى فرسته.

الدراسة السيكولوجية والاجتماعية ركن ركين في بناء العمل القصصي الذي بين أيدينا. **الفريدة** يلينيك تدقق في الدراسة السيكولوجية والاجتماعية للشخصيات الرئيسية والفرعية في ظل التطورات والتغيرات الكثيرة التي شملت البيئة والموروثات والتقاليد، وهي بطبيعة الحال تلقى الضوء على التقاليد البالية التي تقبل هيمنة الرجل على المرأة، إلى الحد الذي جعل الضرب المبرح شيئاً مألوفاً، وجعل الحامل تمنى أن يكون المولود ولداً وليس بنتاً.

وقد استقر في ضمائر الكثيرين أن المدينة بحضارتها أفضل من الريف وتخلقه. نجد الرؤساء والمديرين والمخططين وأصحاب الحل والعقد من المدينة، أما العمال ومن دونهم فمن القرية. والمدينة فيها الرفاهية، والقرية تخدم المدينة. ولم تجد تقاليد القرية ما يجعلها تعترض على اتجاه الريفيات إلى العمل خادمات في المدينة، مما ينتهي عادة بمصائب، حيث يستغل أهل المدينة الريفيات المعدمات أسوأ استغلال ويظهر هذا في المسافحة والأولاد غير الشرعيين. حالة أم «باولا».

الفريدة يلينيك تبسط الصورة النفسية والاجتماعية: المرأة تريد بيته يكون مملكتها وتريد أن تكون صاحبة الأمر والنهي فيه، وهي بحسب قدراتها وحظها وشطارتها تسعى لاقتناء هذا البيت، هذا العش، ومن الممكن أن تضيع نفسها إذا لم تأخذ التقاليد في اعتبارها. والبيت يعني تدبير المال اللازم

لاقتائه، وتدبير المال يعني الشفف، أو الانحراف، أما الحب فشيء ثانوي، أو حيلة من الحيل التي يتبادل الاتجاء إليها الذكور والإناث.

والذكور يقومون بالأعمال الشاقة، وتدفعهم المعاناة إلى إدمان الكحوليات المنفرة، والشغب والخروج على الأخلاق، وقد تكون لهم مواهب وقدرات تتبع لهم احتراف عمل فني أو مقاولات، وهنا يظهر الصراع بين المصالح والأخلاق، وبين المتعة والالتزام.

منظومة أخلاقية متكاملة تحمل هذا البناء القصصي الجديد القديم. مبادئها تختلط بالمكونات الشكلية والمضمونية العديدة، ولكنها لا تراغم القارئ بل تجذب انتباهه.

التعابيرات الساخرة التي تصف بها إلفريده يلينيك السلوك الأخلاقي تعبّر عن منظومة أخلاقية. في حديثها عن «هاینتس» تحدد أن ما يقوم عليه سلوكه : المتعة والمنفعة. والمنفعة تصل به إلى برود إجرامي يتمثل في الاستيلاء على أموال الأب التي وفرها في مقابل ثمن باهظ هو تحطم غضاريف عموده الفقري. الأب والأم يتصرّوان أن «هاینتس» سيستخدم أموال الأب في توسيع البيت حتى يكون لهما فيه مكاناً ينعمان فيه بالراحة ويسعدان بالأحفاد. أما «هاینتس» فقد مكر بهما، فوسع البيت، وأخرجهما منه، ووضعهما في دار المسنين، وضاق بزياراتهما فيما بعد.

«يقرر «هاینتس» فى سره أن موضع الراحة المناسب للأب هو دار المسنين بعد أن يتم تحويل المال الذى وفره أبوه إلى خلطات أسمنتية يدخلها فى البناء. لابد أولاً من تحويل المال الذى وفرته حياة فانية إلى خرسانة باقية. «بريجيت» على كل حال توافق على «هاینتس» وعلى ما يوافق عليه «هاینتس» لن يصلأ أبداً هكذا إلى غصن أخضر هما يريدان أن يصلا إليه.

تصف إلفریده بلينك العلاقات غير المسئولة التي تلقى البنات الثلاث أنفسهن فى خضمها بأنها «قدرة»، وأن الرجلين المستهدفين لهما غaiات أخرى، فى مجتمع الأسرة، وفي مجتمع العمال ، وفي المجتمع الكبير. وتكشف النقاب عن الحمق والسداجة والاستغلال الذى يبيت الرجالان النية عليه، والذى ترتمى البنات فى مستنقعه.

ويتخذ نقد إلفريدة بلينك شرب الخمور وعواقب الإدمان شكل البرنامج. والنموذج الذى يجسد السكر هو «إيريش»:

«على «إيريش» أن يكف عن شرب الكحول كلياً، لأن شرب الكحول أسوأ شيء^(١) ، فهو يمس شخصياً أثاث المطبخ المطلى باللاكيه الأبيض وأثاث حجرة

(١) فى أكثر من موضع توجه بلينك تقدماً عنيفاً لشرب الخمور واعتبارها وإدمانها، وهى هنا تصف جانباً من مساوى إدمان منظور امرأة بسيطة مغفرة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيخ كل شيء . (المترجم).

النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئاً متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيون. وكذلك الكحول والمارايل التي صنعت على هيئة فساتين نظيفة معقى بها، والتي لا يصح أن يتقيا عليها أحد، والأحذية البيضاء التي تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعي وما هي من الجلد الطبيعي ولكن لا يصح على الرغم من ذلك أن يتقيا عليها أحد، والأطفال البنات لباسات الفساتين الملونة، والنباتات في الأصص، والتلقيزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا في ناحية والكحول في ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة في ناحية والكحول في ناحية، المنسوجات التي لا تقوى في ناحية والكحول في ناحية، هذه كلها أعداء في الطبيعة التي تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تسجم معًا في رأس «باولا» أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج وبهدم.

المعركة بين الجنسين محور تشدد إلفریده يلينك على أهميته، وتبرز محاولة الجنس الأنثوي الانتصار فيها بما لديه من إمكانات محدودة للتدخل في تغيير مسار القدر. وقد تنتصر المرأة انتصاراً محققاً وقد تنتصر مؤقتاً، وهذا ما يعرف بالصراع بين الجنسين، وما تتناوله يلينك موضوعاً محورياً. ونقرأ: «صعود»

«بريجيته» هو نجاح عمل تتبع قليلاً قليلاً بجهد جهيد. استطاعت «بريجيته» مرة أخرى أن تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيته» ستكون في محل قوة عاملة بلغت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيته» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه.

ولكن المصادفة ليست كل شيء:

«بطريق المصادفة أصاب «پاولا» حظ سوء وستعاني سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفة أصاب «بريجيته» حظ حسن وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك استثمرت «بريجيته» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «پاولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيته» واتها الحظ والنجاح.

«پاولا» لم يوتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيته» يرتهن بالمصادفة التي واتها.

حظ «پاولا» يرتهن بالمصادفة التي أولتها ظهرها.

«هابنتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حرفة غير ذات مستقبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هاینتس» یعرف ما یعوّلُ علیه فی الحیاة
الاّقتصادیة.

«ایریش» لا یعرف شيئاً عما یعوّلُ علیه فی الحیاة
الاّقتصادیة. «ایریش» یعرف ما یعوّلُ علیه فی ریاضة
سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيارة
سریعة.

ویتضمن برنامیج إلفریده بـلینک الأخلاقي تعریة
النفاق الفردی والاجتماعی بكل صراحة وسخریة
واستکار. «بریجیتہ» مثلاً تلعب لعبۃ الحب للحصول
على هاینتس الذى تشمئز منه:

«كذلك «بریجیتہ» تشمئز من «هاینتس» ومن
جسمه الأبيض السمين، جسم الكهربائی، الذى اسمه
أيضاً «هاینتس». وعلى الرغم من ذلك فهو أيضاً
فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، ميتة من الفرح،
لأنها نالته، فهو مستقبلها».

وبریجیتہ تلعب على هاینتس لعبۃ الأطفال تحتال
بها لترتیبه بها وتصنعن انها تحب الأطفال وهي في
الحقيقة تكرههم أبغض الكره.

«الواقع أن «بریجیتہ» تشمئز من الأطفال الرضع.
والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسر عظیمات
أصابعهم الرقيقة، وأن تخز فى أصابع أقدامهم
الصغيرة الضعیفة شظايا الخیزان وأن تدس فى
حنك الطفل الصغير القادر الجديد وقد أصبح
الشخص الرئیسى خرقۃ قذرة بدلاً من البزازة

المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ
ال حقيقي».

ومجتمع القرية كما تصفه والفريدة بلينك
مجتمع يكيل بمكاييل مختلفة، فهو يتصنّع التمسك
بالأخلاق والشرف، ولكنه غارق في الفساد، يرضي
بالسكر والاغتصاب والعنف والانتصار للفاسدين
الظالمين.

مصطفى ماهر

العاشرات

مقدمة:

هل (١) تعرفون هذه المنطقة الجميلة بوديانها
وتلالها؟ (٢)

على البعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق، وهو ما
لم تؤته مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعي هذه المنطقة وحقولها
وغيطانها؟ هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس
المسالمين فيها؟

في قلب هذه المنطقة الجميلة بنى أناس طيبون (٣)

(١) من المعروف أن اللغة الأيمانية مستخدم في الإملاء التقليدي
الحروف الكبيرة على نطاق أوسع من كثير من اللغات الأخرى.
والمتمردون من الكتاب والشعراء يكتبون بحروف صغيرة حتى
الأسماء الأعلام، وهكذا تفعل الفريدة يلينك في هذه
الرواية (المترجم).

(٢) لجوته قصيدة تبدأ بـ : هل تعرفون البلد الخ؟ ونخس هنا صدى
هذا التراث. (المترجم).

(٣) طيبون = المقصود العكس، من أمثلة السخرية المستترة.
(المترجم).

مصنعاً. سطحه المنطوى على نفسه المصنوع من الألومنيوم المضلع يشكل تبانياً جميلاً^(١) حيال الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينطوى فى المنطقة الطبيعية الجميلة.

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينطوى على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم ساماً.

ما أعظمه من خير في أنه يقوم^(٢) هنا، في هذا المكان الجميل، لا في مكان آخر لا جمال فيه. والمصنع يبدو عليه كأنما كان جزءاً من هذه المنطقة الطبيعية الجميلة.

يبدو عليه كأنما نما هنا .. لكن لا! عندما يتأمله الإنسان عن كثب يرى أن: أناساً طيبين شيدوه. فلا شيء ينجم بطبعية الحال من لا شيء.

وهناك أناس طيبون يدخلون المصنع ويخرجون منه. ثم ينهمرون على المنطقة الطبيعية الجميلة كأنما كانت ملك يمينهم.

والمصنع والأرض التي من تحته ملك يمين الشاغل وهو مؤسسة كبيرة.

والمصنع يفرح على الرغم من ذلك عندما ينهمر عليه أناس مبهجون، لأن المبهجين ينتجون أكثر من غير المبهجين.

(١) راجع الملعوظة السابقة (المترجم).

(٢) تقاد الرواية كلها أن تكون مكتوبة في المضارع، الزمن النحوى المناسب للتقارير، وهو ما حاولنا الالتزام به (المترجم).

والنساء اللاتي يعملن هنا ليسوا ملوك صاحب المصنوع.
النساء اللاتي يعملن هنا تمتلكهن عائلاتهن بالكامل.
المبنى فقط هو الذي تمتلكه المؤسسة. وهكذا وضع
يرضى الجميع.

النوافذ الكثيرة تلمع وتبرق مثل الدرجات
والسيارات الصغيرة الكثيرة في الخارج. النوافذ معتئها
النساء، أما السيارات فغالباً ما يكون الرجال هم
الذين لمعوها.

كل من نزحوا إلى هذا المكان نساء.

يعملن في الخياطة. يشتغلن بخياطة مشدات
تحتانية وسوتيانات وأحياناً كورسيهات وسلبيات.
كثيراً ما تتزوج هذه النساء، أو ينتهيون على نحو أو
آخر إلى الضياع. ولكن طالما كن يخطلن، فإنهن
يخطلن. وكثيراً ما تسرب نظرتهن إلى الخارج إلى طائر
أو نحلة أو نبتة نجيلة.

إنهن يستطعن (١) أحياناً أن يتمتعن بالطبيعة في
الخارج وأن يفهمنها كأى رجل.

أى ماكينة تخيط دائماً غرز خياطة. وهي لا تحس
في أشياء ذلك بملل. إنها تؤدى واجبها في المكان الذي
توضع فيه.

(١) من مميزات اللغة الألمانية كثرة استخدام أفعال مساعدة معينة
يمكن ترجمتها إلى العربية ببساطة، يكون عليه، يجب عليه،
يتمنى إلى آخره الخ، وهو ما يصبح الترجمة من الألمانية إلى
العربية بصيغة نوعية معينة. (المترجم).

وكل ماكينة خياطة تقوم بتشفيها عاملة خياطة
مدربة. وعاملة الخياطة لا تحس في أثاء ذلك بالملل.
هي أيضاً تؤدي واجباً.

لها في أثاء ذلك أن تقدّم. فعليها مسؤولية كبيرة،
ولكن ليس لديها نظرة شاملة ولا نظرة بعيدة. ولكن
لديها في أغلب الأحيان بيت تدبره.
أحياناً في المساء تُقلِّ الدراجاتُ صاحباتها إلى
منازلهن

إلى البيت. والبيوت موجودة في المنطقة الطبيعية
الجميلة ذاتها.

هنا يتربع الرضا، وهذا ما يراه الإنسان (١).
 ومن لا تتحقق لها المنطقة الطبيعية الرضا، يتحقق
لها الأولاد والزوج الرضا الكامل.
 ومن لا تتحقق لها المنطقة الطبيعية، ولا يتحقق لها
الأولاد والزوج الرضا، يتحقق لها العمل الرضا الكامل.
 ولكن قصتنا تبدأ في مكان آخر غير هذا المكان:
 في المدينة الكبيرة (٢).

(١) الإنسان كلمة غير محددة، شخص ما غير معروف، وكان المباراة
مبنية للمجهول. كذلك نلاحظ التعبير الساخر عن الرضا الذي
يتربع والذى تقول المؤلفة إنه يُرى، والعكس هو
الصحيح (المترجم).

(٢) المدينة الكبيرة Grobstadt مصطلح معناه المدينة التي يكون عدد
سكانها ١٠٠٠٠٠ فاكثر، المدينة الصغيرة Kleinstadt
٥٠٠٠ - ٢٠٠٠٠، المدينة المتوسطة Mittelstadt ٢٠٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠ (المترجم).

هناك فرع من المصنع، أو بعبارة أفضل، هناك المقر الرئيسي للمصنع ، أما الفرع الموجود في المنطقة دون سفح جبال الألب فهو الفرع^(١) .
كذلك هنا تخيط النساء كما يحلو لهن.

إنهن لا يخطنن ما يحلو لهن، ولكن الخياطة في حد ذاتها موجودة في دم النساء^(٢) .

وما عليهن إلا أن يخرجن هذا الدم من ذواتهن.
وهذا العمل هنا عمل نسائي هادئ.

نساء كثيرات يخطنن بنصف قلبهن، ونصف القلب الآخر تحتله أسرهن. وبعض النساء يخطنن بقلبهن كله، وليس اللاتي يفعلن هذا خير النساء.

في جزيرة الهدوء بالمدينة الكبيرة تبدأ قصتنا التي تنتهي وشيكةً.

وإذا جرب إنسانٌ ما قدرًا مقدراً ، فليس هنا.
ولو كان لإنسان قدرٌ ، فهو إذن رجل. وإذا تلقى إنسانٌ قدرًا فهو امرأة.

(١) تحديد جغرافي عام للمكان الذي تجري فيه أحداث الرواية والذي لم تذكر المؤلفة له اسمًا فهو مكان ما في النمسا، في المنطقة دون سفح جبال الألب في النمسا. (المترجم).

(٢) تحديد المؤلفة بعض الممارسات والأعمال والتصورات التي تعتبرها النساء "نسائية" والتي تتسبب في التعب والنذل الذي يتعرضن له، ومنه هنا الخياطة، وقد ذكرت من قبل تدبير المنزل، وفيما بعد ستذكر النظافة، والتزيين والتنانق والسمعي لتكوين بيت مستقل، وأسرة، وهو ما يعني أحياناً الاستفادة في الحصول على زوج إلخ. (المترجم).

والحياة للأسف تُعبر هنا على الإنسان عبوراً،
والعمل وحده هو الذي يبقى. أحياناً تحاول واحدة من
النساء أن تتحقق نفسها بالحياة العابرة وأن تشرث
قليلًا.

إلا أن الحياة كثيراً ما تفر بالسيارة، بسرعة أكبر
مما تستطيع الدراجة. إلى اللقاء!

بداية

ذات يوم قررت «بريجيته» Brigitte أنها تريد ألا تكون امرأة بأغلب كيانها فقط، بل امرأة بكل كيانها، من أجل شخص اسمه «هاينتس» Heinz.

إنها تعتقد أن جوانب ضعفها ستكون جديرة بالحب وأن جوانب قوتها ستوازي تماماً.

إلا أن «هاينتس» لا يجد في «بريجيته» شيئاً جديراً بالحب، كذلك نواحي ضعفها لا يجدها إلا مثيرة للفتياً.

«بريجيته» تعتقى الآن بنفسها من أجل «هاينتس»، فعندما يكون الإنسان امرأة ، لا يستطيع الرجوع عن سلوك هذا الطريق مرة أخرى، ويكون عليه أيضاً أن يعتقى بنفسه. و«بريجيته» ترجو أن يعبر لها المستقبل ذات مرة عن امتنانه لها بأن يجعلها تبدو أكثر شباباً. ربما لا يكون لـ «بريجيته» أي مستقبل. المستقبل يرتهن كلية بـ «هاينتس».

عندما يكون الإنسان شاباً، فإنه يبدو دائمًا شاباً، وعندما تقدم بالإنسان السن، فإن الوقت على أية حال يكون قد تأخر تأخراً مفرطاً. وعندما لا يبدو الإنسان آنئذ أكثر شباباً، فإن حكم البيئة المحيطة المجرد من الرحمة يكون: تلك عاقبة من لا يستعد بالتدبیر المسبق في شبابه مستعيناً بوسائل التجميل ١ فعلت «بريجيته» إذن شيئاً، سيكون مهماً في المستقبل.

عندما لا يكون للإنسان حاضر، يكون عليه أن يستعد بالتدبیر مسبقاً للمستقبل.

«بريجيته» تخيط سوتیانات. عندما يكون على الإنسان أن يخيط خياطة قصيرة، يكون عليه أن ينتج عدداً كبيراً منها، أربعين خياطة هي أدنى حد ل معدل الإنتاج المفروض. أما عندما يخيط الإنسان خياطة أطول وأكثر تعقيداً، فإنه يكون عليه في المقابل أن ينتج منها عدداً أقل. هذا تقدير إنساني وعادل (١).

كان في مقدور «بريجيته» أن تناول عملاً كثيرين، ولكنها لا تريد أن تناول سوى «هاینس» وحده الذي سيصبح رجل أعمال.

الخامة عبارة عن دانتيلاً من النايلون تحتها قطعة رقيقة من الإسفنج الصناعي. والمصنوع الذي تعمل فيه

(١) الفقرة نموذج لاصطناع السذاجة. ووصف التاسب بين الكمية ونوعية القطعة المستصنعة بالإنسانية والعدل فيه سخرية مستترة، لأن البنات اللاتي يعملن في المصنع يعانين من الاستقلال والملل. (المترجم)

«بريجيته» له أنصبة كثيرة فى السوق، خارج البلاد، ولديه خياتات أجنبيات. وهناك خياتات كثيرات يخرجن من المصنع بسبب الزواج أو الولادة أو الموت.

و«بريجيته» تأمل أن تخرج من المصنع بسبب الزواج والولادة. «بريجيته» تأمل فى أن يخرجها «هайнتس» من هنا.

أما كل ما عدا ذلك من مخرج فهو على الأرجح موتها، حتى لو بقى على الحياة.

ليس لدى بـ(١) مؤقتاً شئ سوى اسمها، وفي مسار القصة ستحصل «بريجيته» على اسم «هайнتس»، وهذا شئ أهم من المال ومن الأماكن، فهو يستطيع أن يجلب المال والأماكن.

والحياة الحقة التي يجوز لها أن تعبّر عن ذاتها عندما يسألها سائل هي الحياة بعد العمل. أما بالنسبة إلى «بريجيته» فالحياة والعمل مثل النهار والليل. ولهذا فسيدور أغلب الحديث عن وقت الفراغ.

و«هайнتس» في هذه الحالة الخاصة هو اسم الحياة. والحياة الحقة لا تحمل فقط اسم «هайнتس»، بل هي كذلك «هайнتس».

لا وجود لشيء سوى «هайнتس». بالنسبة إلى «بريجيته» من المحال على الإطلاق بلوغ ما هو أفضل من «هайнتس» و«بريجيته» لا تريد شيئاً يكون أسوأ

(١) تختصر بلينك أحياناً اسم بريجيه إلى ب واسم هайнتس إلى هـ. (المترجم)

من «هاینس». و«بریجیتہ» تتصدى حتى اليأس
ببیدها ورجلیها للهبوط، والهبوط هو فقدان
«هاینس».

ولكن «بریجیتہ» تعرف كذلك أنه ليس هناك من
صعب بالنسبة إليها، ليس هناك إلا «هاینس» أو ما
هو أسوأ من «هاینس» أو تكون خيّاطة سوتیانات إلى
نهاية الحياة، وخياطة السوتیانات بدون «هاینس»
معناها من الآن نهاية الحياة.

أن تعيش «بریجیتہ»، مع «هاینس»، أو أن تتسلخ
من الحياة وتضيع، هذا أمر متزوك إطلاقاً للصدفة
وحدها.

وليس هناك قوانين حتمية لذلك. القدر يقرر
قدر «بریجیتہ». ليس ما تعمله وما تكونه هو الذي
يحسب له حساب، بل «هاینس» وما يفعله وما يكونه
هو الذي يحسب له حساب.

ليس لـ «بریجیتہ» و«هاینس» تاريخ. ليس لـ
«بریجیتہ» و«هاینس» إلا عمل. على «هاینس» أن
يصبح هو تاريخ «بریجیتہ»، عليه أن يصنع لها حياة
خاصة، ثم عليه أن يجعلها تلد له طفلاً سينطبع
مستقبله بدوره بطابع «هاینس» ومهنته.

وليس تاريخ ب و ه شيئاً سيكون، بل هو شيء
وُجد فجأة (برق) واسمه حب.

الحب يأتي من جانب «بریجیتہ». عليها هي أن
تقنع «هاینس» بأن الحب يأتي كذلك من جانبه. عليه
أن يدرك هو أيضاً أنه لا يمكن أن يكون له مستقبل

بدون «بريجيته». لـ «هابنتس» بطبيعة الحال من الآن مستقبل، ألا وهو فتن تركيبات كهربية. إنه يستطيع أن يملك هذا المستقبل، حتى بدون «بريجيته». من الممكن أن يركب الإنسان وصلات كهربائية دون أن تكون بـ موجودة أصلاً. بل يمكنه حتى أن يعيش! وأن يذهب ليُلعب لعبه البولينج أو الكيجلن (١) بدون «بريجيته».

لكن «بريجيته» عليها مهمة.

عليها أن تبين لـ «هابنتس» دائماً بوضوح، أنه ليس له بدونها مستقبل، وهذه مهمة تتطلب جهداً شاقاً. وعليها علاوة على ذلك أن تحول في صلابة دون أن يميل «هابنتس» ربما إلى أن يرى مستقبله في غيرها. وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

و«هابنتس» يريد أن يكون، أى أن يصبح مقاولاً صغيراً مستقلاً بمحل مقاولات صغير خاص به. سيقتني «هابنتس» ذات مرة ملكاً خاصاً، وستحصل «بريجيته» على هذا الذى يقتنيه. و«بريجيته» تفضل أن يقتنـى لها زوجها ملكاً خاصاً في محله الخاص، الذى سيكون فى قليل منه محلها الخاص أيضاً.

خطة ألا يعرف «هابنتس» ذات يوم تلميذة فى المدرسة الثانوية من قبيل «زوزى» مثلاً! وعلى ألا يعتقد «هابنتس» ذات يوم، لا قدر الله، أن إنساناً ما

(١) Kegeln و Bowling نوعان من لعبة تقزم على دفع كرة لإيقاع أنصاب أو أقماع من خشب أو خلافه مصنوفة على نهاية ممر التصويب. وكلمة بولينج معربة ومتدولة بهذا المعنى. (المترجم)

سيكون أفضل مما ستكون «بريجيته» أبداً، وأن هذا الإنسان سيكون أفضل بالنسبة إليه.

لو وجد «هайнتس» الأفضل فلا بد من أن يتركه مرة أخرى. والأمثل ألا يعرفه أصلاً، وهذا هو الأضمن أيضاً.

عندما تتعقد «ريجيته» إلى ماكينة خياطتها وتختز غرزاً في النسيج المطاط، وتحس الإسفنج الصناعي والدانتيلا المنوية بين أصابعها، والسوتيلان الساحر الصغير الجديد بألوانه الموضة، تتملكها كوابيس سببها شخص ما لا وجود له قط حتى الآن، ولكن من الممكن على الرغم من ذلك أن يمر في طريق «هайнتس» على هيئة الشيء الأفضل (١).

«بريجيته» لا تعرف راحة البال حتى في أثناء العمل.

حتى في أثناء العمل عليها أن تعمل.

ليس لها أن تفكر في أثناء العمل، ولكن شيئاً ما فيها يفكّر على الرغم من ذلك بلا انقطاع.

«بريجيته» لا تستطيع أن تصنع من حياتها شيئاً أفضل. المفروض أن يأتي الأفضل من حياة «هайнتس». «هайнتس» يستطيع أن يحرر «بريجيته» من ماكينة خياطتها، وهو ما لا تستطيع «بريجيته» أن تعمله من تلقاء ذاتها.

(١) المقصود بالكلمات «إنسان ما»، و«شخص ما»، و«شيء ما» : بنت أو امرأة. (المترجم).

ولكنها ليس لديها ما يضمن ذلك، لأن الحظ صدفة وليس قانوناً حتمياً ولا تتابعاً منطقياً لأفعال.

«بريجيته» ت يريد أن تحصل على مساعدة بها مصنوعاً. إنها لا تستطيع أن تصنعه بنفسها.

لا أهمية لقصة تعارف الاثنين، بل إن الاثنين ذاتهما لا أهمية لهما. إنهم بالضبط أعراض دالة على كل شيء عديم الأهمية.

كثيراً ما يتلاقى طلاب وطالبات يطابق بعضهم بعضاً إلا في الجنس. وكثيراً ما يستطيع الإنسان أن يحكى عن هذه اللقاءات قصصاً مثيرة.

بل إن مثل هؤلاء الناس أحياناً قصصاً سابقة طويلة.

وعلى الرغم من أن قصة «بريجيته» السابقة من المتصور أنها غير ملائمة لتكوين ثروة في المستقبل، فإنها على الرغم من ذلك تعرفت إلى «هайнتس» الذي ستكون ذات مرة ثروة بين يديه.

و«بريجيته» هي البنت غير الشرعية لأم تخيط نفس ما تخيطه «بريجيته»، أي سوتيليات ومشدات تحتانية.

و«هайнتس» هو الابن الشرعي لسائق مسافات طويلة وامرأته التي بقى برضاه في البيت.

وعلى الرغم من هذا الفارق الصارخ فقد تعارفت

بـ هـ.

في هذه الحالة الخاصة يعني التعارف إرادة الهرب، أو عدم ترك الشخص يفلت والتمسك.

«هاینس» تعلم شيئاً سيفتح له العالم كله ذات مرة، تعلم حرفة التركيبات الكهربائية.

«بريجيته» لم تتعلم قط أي شيء.

«هاینس» شيء، «بريجيته» لا شيء وهو ما يمكن أن يكونه بالضبط آخرون دون جهد. «هاینس» لا يمكن تبديله ، وكثيراً ما يحتاج إليه الناس أيضاً، مثلاً عندما يتلف خط كهرباء أو عندما يحتاج بعضهم إلى شيء من حب. «ريجيته» يمكن تبديلها بغيرها، ولا يحتاج إليها أحد. «هاینس» له مستقبل، «بريجيته» ليس لها حتى حاضر.

«هاینس» هو كل شيء بالنسبة إلى «بريجيته» ، وما العمل إلا عذاب مضجر لـ «بريجيته». إنسانٌ ما يحبك، هذا هو كل شيء. إنسانٌ ما يحبك ويكون بالإضافة إلى ذلك، وتلك هي القمة، شخصاً تستطيع «بريجيته» أن تصل إليه. العمل لا شيء ، لأن «بريجيته» تملكه منذ حين ، الحب أكثر من ذلك ، لأن الإنسان عليه أولاً أن يبحث عنه.

«بريجيته» وجدت منذ حين: «هاینس». كثيراً ما يسأل «هاینس» نفسه، ماذا عند «بريجيته» من ميزات.

وكثيراً ما يفكر «هاينتس» في أن يأخذ واحدة أخرى لديها ما تقدمه، نقوداً حاضرة أو أماكن مناسبة لحل للعمل.

«بريجيته» لديها جسد.

وهناك غير جسد «بريجيته» أجساد أخرى كثيرة ملقة في السوق. الشيء الوحيد الذي يقف إيجابياً إلى جانب «بريجيته» على هذا الدرب هو صناعة أدوات التجميل. «بريجيته» لديها صدر وساقان .^(١).

وتلك أشياء لدى آخريات كذلك، بل أحياناً من نوعية أفضل.

و«بريجيته» لديها شبابها، عليها أن تعطى آخرين نصيباً منه، المصنع والضجيج بداخله والحافلة المزدحمة. كلها تفترس ما تفترس من شباب «بريجيته».

«بريجيته» تتقدم بها السن وتتقلص دواماً كامرأة، والمنافسة يتزايد شبابها وتزيد دواماً كامرأة.

«بريجيته» تقول له «هاينتس» إنني أحتاج حقاً إلى إنسان يتمسك بي، يكون موجوداً من أجلني، وأنا في المقابل أتمسك به وأكون دائماً موجودة من أجله.

(١) تلقي إلفریده يلينك الضوء بطريقتها المباشرة الجريئة على دور الجنس في محاولات الصمود الاجتماعي، وتستخدم في بعض الموضع مفردات مباشرة مكتشوفة من السجل اللغوي للطبقة الدنيا ونشير إلى هذه الموضع بأربع نقاط.... (المترجم) .

هainتس يقول إنه يحتقر هذه الأشياء^(١).
خسارة أن «بريجيت» تمقت «هainتس» كل هذا المقت.
اليوم على سبيل المثال تركع «بريجيت» على
الأرضية الباردة أمام سلطانية المرحاض في حديقة
«هainتس» ووالديه الشريرية الصفيرة خارج
المدينة^(٢).

هذه الأرضية أشد بروادة
من الحب الساخن الذي اسمه «هainتس».
الأب سائق المسافات البعيدة غائب، و«بريجيت»
تساعد في الأعمال المنزلية، وهو الشيء الوحيد الذي
 تستطيع أن تستميل به الناس، يعني أنها تتظاهر
 مبهجة سلطانية المرحاض بفرشاة الوساخة. قالت
 قبل خمس دقائق إنها تحب القيام بهذا العمل. وهي
 الآن لم تعد تحب القيام به. إنها يتملّكها الغثيان كل
 الغثيان من كل البراز الذي يتجمع طوال أسبوع في
 بيت من ثلاثة أفراد^(٣).

(١) الكلمة في الأصل كلمة مبتذلة (المترجم).

(٢) حدائق صفيرة على هيئة المستعمرة، كانت في القرن التاسع عشر تقام على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون في المدينة في مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متنهض وزهور وأشجار فاكهة، ويحظر فيها بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصفيرة، التي ربما تحايل أصحابها ووسعنها، فكر فيها شرير Schreber ١٨٠٨ - ١٨٦١ وما زالت موجودة، وهي علامة على أن أصحابها من محظوظي الدخل أو صغار البورجوازيين. (المترجم).

(٣) هذه هي طريقة إلفريد يلينك المباشرة في تصوير قبول البنت الذل والمهانة لتحقيق ما تتصور أنه مكان أفضل في الحياة عن طريق الارتباط ب الرجل تؤمن بأنه ستكون له ثروة وبيت ومحل (المترجم).

و«هайнتس» سيتزوج، إن لم تكن سكرتيرة، تلميذة في مدرسة ثانوية، فسكرتيرة أو سكرتيرة أو سكرتيرة سيتزوج امرأة تكون امرأة، امرأة حقيقة، تستطيع كما ينبغي أن تتعامل بالفرشاة وكل ما يواكبها من أحوال مقززة.

في البيت لا تساعد «بريجيته» في شيء، ولو فعلت لكان معنى هذا وضع رأس المال والقوى العاملة في مشروع صغير يشتغل بالخسارة ومحكوم عليه بالفشل. لا مستقبل له. لا أمل فيه. «بريجيته» تستثمر أفضل في شيء يمكن أن يخرج منه عائد. حياة كاملة جديدة.

ولما كان مخ «بريجيته» صغير، فإن النتيجة غير مؤكدة.

والمديرون يستعينون في نهاية المطاف بمخهم، عندما يخططون شيئاً. أما «بريجيته» فلم يدربوا فيها إلا أصابعها. لا شيء غير ذلك. أما من لهن أذرعة شفالة فيمكنهن العمل لثلاثة إذا اضطربن. وهن مضطربات. من أجل «هайнتس».

و«بريجيته» تتسمح في مقعدة والدة «هайнتس». لا تجد هنا شيئاً آخر غير نفس الوساخة التي في سلطانية المرحاض الذي تعكف على حكه. ذات مرة ستكون هذه ورائي، وسيكون المستقبل أمامي. على أولاً أن أصنع لى بعملي وضعاً يؤهلى لأن يكون لى أساساً أن اتخذ مستقبلاً. المستقبل ترف. وليس المتاح منه كثير كثرة مفرطة.

ليس المقصود من هذه القطعة أن تبيّن شيئاً آخر
سوى أن «بريجيته» تستطيع أن تعمل عندما تدعوا
الضرورة.
والضرورة تدعوا.

على مثال «پاولا»

على مثال «پاولا». «پاولا» من الريف، وحياة الريف⁽¹⁾ أحكمت قبضتها عليها . وكذلك على أختيها «إريكا» و «ريناته» ، وهما متزوجتان. ومن الممكن أن سقط الاثنين من حسابنا من الآن ، بالضبط كأنما لم يكن لهما وجود في الدنيا. الوضع بالنسبة إلى «پاولا» مختلف ، فهي أصغرهن سنًا وهي ما تزال في الدنيا تماماً. عمرها 15 سنة. لها الآن من العمر ما يكفي لكي تفكر ملياً فيما ت يريد أن تصبح ذات يوم: ربة بيت أم بائعة. بائعة أم ربة بيت. كل البنات في سنها لهن من العمر ما يكفي للتفكير فيما يردن أن يصبحن ذات يوم. المدرسة الإعدادية انتهت، الرجال

(1) مشكلة حياة الريف التي تحكم في مقدرات أهل الريف وفرض عليهم الكثير من القيود وهي أمور تعاني منها المرأة خاصة، وتظهر في التقاليد البالية وفي اعتبار القرية دون المدينة، وحصر فرص العمل في القرية على العمل اليدوي، بينما تتركز في المدينة الأعمال التي تتطلب التفكير والتخطيط واستغلال الإنسان الريفي المظلوم والمرأة الريفية المقهورة.

(المترجم).

في القرية هم إما خشابون يقطعون الشجر أو سيمبحون نجارين أو كهربائيّة أو سباكين أو بنائين أو يذهبون إلى المصنوع أو يحاولون أن يصبحوا عمال نجارة أو كهرباء أو سباكة أو عمالة في المصنوع ثم يذهبون مع ذلك إلى الفابة ويصبحون خشابين. وستصبح البنات زوجاتهم. وصيد الحيوانات مهنة أفضل، وهم يستوردون صيادي الحيوانات من الخارج. ليس بالقرية مدرسوّن أو قساوسة، فليس بالقرية كنيسة أو مدرسة. كذلك المهنة الذكية التي يمارسها مدير فرع المحلات الاستهلاكيّة يستوردونها من الخارج، وتحت يده تعمل ثلاثة نساء وبنات من القرية وصبية متدرجة^(١) من القرية. والنساء يبقين حتى الزواج بائعتات أو مساعدات بائعتات، وعندما يُزوجن ينتهي البيع ، ولكنَّهن اللاتي جرى بيعهن، ويكون للبائعة التالية أن تقدم وتشغل مكانها وتستأنف البيع، التبدل يحدث بسرعة خاطفة.

وهكذا نشأت على مر السنين دورة طبيعية: ولادة، دخول، تزويج، ثم خروج، ووضع طفلة، تصبح ربة بيت أو بائعة، غالباً ما تصبح ربة بيت، البنت تدخل، الأم تقضي نحبها، البنت يزوجونها، تخرج، تقفرز من السُّلْم، تلد هي ذاتها الابنة التالية، والمحل الاستهلاكي هو القرص الدوار لدورة الفطرة الطبيعية، في فاكته

(١) انظر الملاحظة الهامشية رقم ٢٧ ففيها شرح لنظام العمالات في النمسا وألمانيا بدرجاتها الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (المترجم)

وحضارواته تتعكس فصول السنة، والحياة الإنسانية تعكس في أشكال تعبيراته العديدة، على صفحة معروضاته الوحيدة تعكس وجوه بائعاته المتباينة اللاتي اجتمعن هنا لكي ينتظرن الزواج أو الحياة. الزواج يأتي دائمًا وحده بدون الحياة. لا تكاد امرأة متزوجة واحدة تعمل في محل، إلا إذا كان زوجها عندئذ عاطلاً أو مصاباً بآفات بليفة. وهو دائمًا سكير.

الخشاب^(١) يمارس مهنة صعبة وخطيرة، كثيراً ما لا يعود منها أبداً. ولهذا فإن الخشابين يتمتعون بحياتهم إلى أبعد الحدود طالما كانوا شباباً، من سن ١٣ سنة لا تكون بنت في مأمن منهم، حيث يبدأ السباق، وتكسر القرون^(٢) رمزاً على الجنس، وتحدث هذه الفعلة دوياً في القرية كلها. ويتردد صدى هذه الفعلة من خلال الوادي.

وفي نهاية الصبا يتغذى كل واحد من الشباب زوجة نشيطة مدبرة في البيت. نهاية الشباب . بداية الكبر.

(١) الخشاب عامل يشتغل بقطع الأشجار في الغابة وتجهيز الخشب على شكل كل تتحول إلى الواح وعروق ومرابين وخلافه، وعمل الخشاب يتطلب قدرة عضلية كبيرة، وهو يتعرض لمخاطر وأخطار كثيرة أشهرها قطع الأصابع بالمناشير وما إلى ذلك من حوادث العمل ، تاهيك عن الموت تحت جذوع الأشجار أو الكتل. ويرتبط بهذا العمل المنيف القاسي ما يعتري شخصية الخشاب من خروج على الأخلاق الكريمة وارتكاب موققات في مجال الجنس والإدمان الكحولي الخ (المترجم).

(٢) إشارة إلى تقليد شعبي قديم يتمثل فيه الصبي هيئة الجدى ويكسر قرونها على باب بيت دلالة على دوافع حيوانية عارمة لا تعرف الخوف ولا تنسى لعميد الخلق. (المترجم)

بالنسبة إلى المرأة نهاية الحياة وبداية الإنجاب. بينما ينضج الرجال نضجاً حسناً ويدعون مرحلة الشيخوخة وينسبون إلى الكحول أنه يحفظهم أقوى وبلا سرطان، كثيراً ما يدوم صراع زوجاتهم مع الموت سنوات وسنوات، وكثيراً أيضاً ما يطول إلى أن يشهدوا صراع بناتهن مع الموت. وتبدأ النساء في كُرْه بناطن ويردن بأسرع ما يستطيعون أن يجعلهن يمتن كما متن هن أنفسهن ذات يوم، ولهذا: لابد من أن يأتي رجل.

وقد يحدث أحياناً أن بنتاً لا تريد أن تموت بالسرعة التي ينبغي أن تموت بها، وتفضل أن تبقى سنة أو سنتين بائعة وأن تعيش! نعم أن تعيش! بل قد تتمنى في حالات نادرة أن تعمل بائعة في المدينة مقر الإدارة المحلية التي بها حرف أخرى، فيها القسيس والمدرس وعامل المصنع والسباك والنجار والسمكري بل والساعاتي والخباز والجزار! وصانع السجق! وغير هؤلاء وأولئك كثير. وأكثر من الكثير من وعود بحياة في مستقبل أجمل.

إلا أن القدرة على الإمساك ب الرجل لديه مستقبل أجمل ليست متاحة بهذه السهولة. فأصحاب الحرف الأفضل لديهم ما يقدمونه مما هو أفضل، ولهذا لهم أن يطلبوا الاستجابة مباشرة، ومع ذلك لا يجوز أن يستجيب الإنسان مباشرة، لأن صاحب الحرفة الأفضل سيطلب ما هو أفضل من الأفضل، وقضى الأمر. العامل البسيط المشتغل بقطع الشجر قد ينتظر في بعض الأحيان، ولكن صاحب الحرفة

الأفضل لا ينتظر أبداً. لا تكاد تكون هناك واحدة وجدت ضالتها وعادت يوماً ما، إلا أن تكون في زيارة ومعها طفل بلا أب.

والبقية الضئيلة المتاهية الضالة منهن تأتي إلى بيت أهلها أحياناً أيضاً للزيارة لترى أمها وأباها الأولاد وكيف أنهم ينعمون بالخير، وأن زوجها رجل طيب يعطيها المال كله ولا يشرب إلا القليل من الخمر، وأن المطبخ جديد والمكنسة الكهربائية جديدة والستائر جديدة ومنضدة الركن أيضاً جديدة والتليفزيون الجديد والكنبة الجديدة الفرن الجديد صحيح مستعمل ولكنه كالجديد، والأرضية مكحنة ولكنها بعد التنظيف والتلميع تبدو كأنها ما زالت جديدة. والابنة ما زالت كالجديدة ، ولكنها عما قريب ستصبح بأعنة وستشيخ بسرعة وتستهلك. ولماذا لا يجوز أن تستهلك الفتاة إذا كانت أمها قد استهلكت؟ ستحتاج الفتاة عما قريب، وقد أصبحت بحاجة إلى ذلك، هيا بالرجل الأفضل الجديد، موجود هنا قساوسة ومدرسون وعمال المصنع وسباكون ونجارون وسمكريه وساعاتيه وجزارون وصناع سجق، وغيرهم كثير، وكلهم يحتاجون بلا انقطاع إلى نساء ، ويستخدمونهن أيضاً. ولكنهم هم لا يريدون بحال من الأحوال أن يشتروا زوجة كانت لها علاقات من قبل وأن يستأنفوا استهلاكها. لا . سيكون ذلك حينئذ شيئاً صعباً. فما يجد الإنسان نساء لم يستخدمن من قبل، ما دامت النساء تستهلك دون هوادة؟ ليست هناك دعارة، ولكن

هناك كثير من الأولاد غير الشرعيين، وما كان للمرأة التي أنجبتهم أن تتجهم، ولكنها أنجبتهم، وهناك من فعل بها هذه الفعلة، وفعلها باتقان، وهاهي ذي تقى وحدها، وتقوم بنفسها بالعمل ، حتى العمل الذي يكون على الرجل أصلًا أن يقوم به، ويبيقى الطفل عند الجدة التي امتلأت بكراهية أم العيال وعيالها . والمرأة المستخدمة من النادر أن يتزوجها أحد، ولو تزوجها أحد فالمستهلك الأول. وعلى مثل هؤلاء النساء أن يسمعوا طوال حياتهن: لو لم أتزوجك ، لما تزوجك أحد غيري، و كنت ستضطررين إلى أن تبحثن عن النقود من أين تدبرينها للإنفاق على الطفل، ولهذا تزوجتك في آخر لحظة على أية حال، ويمكنك أن تأخذيها مني، بعد أن آخذ أولًا لنفسى ثمن الكحول، ثم أستطيع أن أفعل بك كلما شئت دون صعوبات ما أريد، أما ابنتنا فإنني سأنتبه إلى إلا يأخذها أحد بلا رجعة ويستخدمها، سأنتبه إلى إلا تصبح مثل أمها، التي سلمت نفسها من قبل.

عليها أن تنتظر حتى يقترب منها أحدهم، ولكن لاحقا، ثم تدعه يقترب منها، ولكن لاحقاً. أما إذا فرطت في نفسها مثلك من قبل، فإنها بعد ذلك ستفرح إذا رضى بها أى رجل. ويمكن أن تفرح ابنتك لأن لها أب.

فظيع هذا الموت البطيء. الرجال والنساء يموتون معًا شيئاً فشيئاً، وإن كان الرجل يجد في أشاء ذلك شيئاً من تغيير، فهو يحرس زوجته مثل كلب العزبة من

الخارج، يحرسها في أشاء الموت. والمرأة تحرس من الداخل زوجها والمصطافات وابنتها ونقود المصروف ألا تضيع في عب الكحول. والزوج يحرس من الخارج زوجته والمصطافات والبنت ونقود المصروف لكي يستطيع أن يقص منها ما يعب به الكحول. وهكذا يموتان وعين كل منهما تراقب الآخر. والابنة لم تعد تطبق الانتظار حتى يكون لها أن تموت، والوالدان يشتريان من الآن لوازم موت ابنتهما: مفارش من التيل وفوط حمام وفوط مطبخ وثلاجة كهربائية مستعملة. هكذا تبقى على الأقل ميتة ولكن نضرة^(١).

وإلام تصير «باولا» ؟ بائعة أم ربة بيت؟ لا ينبغي أن ننسى في هذا الخضم «باولا» بالذات! فالموضوع هنا يدور حولها. ماذا يجري على «باولا» ؟ هل تموت في وقت متأخر أم مبكر؟ أم تُرها لا تبدأ في الحياة أصلًا؟ تموت حالاً لا تستطيع أن تنتظر، ثم تتأخر تأخراً مفرطاً، وبأي الطفل وتموت الأم من فورها بدلاً من أن تموت بعد الزفاف؟ لا! «باولا» تريد أصلاً أن تتعلم الخياطة لتصبح خياطة. لم يحدث في القرية من قبل قط، أن تمنى واحدة أن تتعلم شيئاً. ذلك أمر لا ينتهي إلى خير. والأم تسؤال: ألا تريدين يا «باولا» حقاً أن تصبحي بائعة، فتستطعيين أن تعرفي أحداً، أو أن تصبحي ربة بيت وقد عرفت بالفعل أحداً؟

(١) سخرية قاسية تصور التجهيز للزواج على أنه تجهيز لموت بطيء. وهذه السخرية القاسية الناقصة لما ت تعرض له الأنثى من ظلم من جهات كثيرة سمة مميزة لأسلوب يلينك. (المترجم).

وتقول الأم: لابد يا «باولا» أن تصبحي بائعة أو ربة بيت. وترد «باولا»: يا أمي^(١) ليس هناك في الوقت الحالى مكان خال لصبية متدرجة تتعلم لكى تصبح بائعة. وتقول الأم: فاقعدي إذن في البيت يا «باولا» وكوئي ربة بيت وساعديني في شغل البيت وفي الحظيرة وأخدمي أباك كما أخدمه وأخدمي كذلك أخاك «جيرالد» عندما يعود من قطع الشجر في الغابة، لماذا تريدين أن تكوني أفضل مني، أنا لم أكن فقط شيئاً أفضل من أمي التي كانت ربة بيت لأننا لم يكن عندنا في ذلك الوقت بائعتان، ولو كان لهن وجود لقتلني أبي^(٢).

وهو قال إن عليّ أن أقعد في البيت وأن أساعد أمي وأخدمه عندما يعود من الشغل وأحضر له البيرة من صاحب الحانة، ثمانى دقائق ذهاباً وإياباً، وإذا أطلت عن ذلك قطمت وسطك. ولماذا تريدين يا ابنتي، حظاً أفضل؟ اقعدى في البيت، هذا أفضل لك، وساعديني عندما يعود أبوك وأخوك لتوهم إلى البيت. وربما قطمنا وسطك مرة بالفعل أنا وأبوك وأخوك «جيرالد». هاللو ١

ولكن «باولا» تقول: يا أمي أنا لا أريد هذا، أنا أريد أن أتعلم الخياطة. وعندها انتهت من تعلم الخياطة،

(١) تكتب الفريدة يلينك الكلمات الدالة على الأب Vatter أو الأم Mutter والولد Bub والبنت Mädel بحسب اللهجة النمساوية تأكيداً لأن الأحداث تدور في النمسا.
(المترجم).

(٢) جملة مقتضبة، والمعنى: إذا طلبت أن أكون مثلهن (المترجم).

أريد أن أثال شيئاً من حياتي، أن أسافر إلى إيطاليا وأن أدخل السينما بالنقود التي أكسبها بنفسي، ثم عندما أكون قد نلت شيئاً من حياتي، أريد أن أسافر إلى إيطاليا مرة أخرى، مرةأخيرة وأن أدخل السينما مرة أخرى، آخر مرة، بنقودي التي كسبتها، ثم أريد أن أبحث لى عن رجل جدع، أو أقل من ذلك، من قبيل الرجال الذين نراهم الآن بكثرة متزايدة في السينما، وأريد أن أتزوجه وأن أنجب أطفالاً. أطفالاً أحبهم كلهم معاً، نعم أحبهم، وأريد أن يكونوا اثنين، ولداً وبنتاً. ثم إنني أريد أيضاً أن أتعاطى حبوب منع الحمل، حتى يظل الطفلان اثنين، ولداً وبنتاً، ويكون كل شيء دائماً نظيفاً لا تشوبه شائبة. ولا يكون علي إلا أن أحيط أكثر من أجل الطفلان ومن أجل، وأن أبني بنفسي بيتي مستقلاً لنا مع زوج مجتهد.

وسأحيط للطفلين ولى كل شيء بنفسي، ففى ذلك توفير لكثير من النقود. ولن يكون على أن أحيط من أجل الأغراض، فهو لن يسمح لي بذلك، لا. أرجوك يا أمى، إننى أود أن أتعلم الخياطة.

والأم تقول: إنها ستقول للأب ولـ «جيروالد». هي دخلت السينما في حياتها ثلاث مرات على الأكثر، ولم تعجبها السينما ولم تثر اهتمامها وكانت تطيب نفسها عندما ترجع إلى البيت^(١). وأنا لم أكن في إيطاليا

(١) هذا التداخل بين لغة السرد ولغة الحديث المباشر سمة السمات المميزة لأسلوب يلينك تجاري به أسلوب البساطة من الناس. (المترجم).

قط، إطلاقاً حتى الآن، والتليفزيون أمعن بكثير^(١) الإنسان يرى الدنيا كلها، دون أن يود أو يضطر إلى أن يكون بداخلها مباشرة. عندما كان أبي حياً تعبت كل التعب في خدمته، ثم تعبت كل التعب بعد ذلك في خدمة أبيك وأخيك «جيرالد»، والآن وقد بلغتِ من السن ما يكفي لكي تتعبي معى هاؤنت ذي فجأة لا تريدين، وبدلأ من هذا تريدين أن تتعلمي الخياطة النظيفة. لماذا ومن أجل أي شيء شققت طوال حياتي إن لم يكن من أجل الأب و«جيرالد»، والآن وقد أصبح فى مقدورك أخيراً أن تشقى معى، لا تريدين. أخرى هذا من دماغك! وسأقول للأب ولـ«جيرالد» حالاً. نعم حالاً

والرأى عند الأب و«جيرالد» أن «باولا» لا يجوز لها أن تتعلل بالخياطة السهلة النظيفة للإفلات بينما هما يقومان بالعمل القذر الشاق في قطع الشجر. ولا يحق لها على أية حال أن تظن أنها تستطيع أن تفلت من

(١) لم تحدد يلينك تاريخ الأحداث ولكننا نتبين أنها تجري في زمن قريب منا، فيه بقية قوية من صراع بين الموروث وبين الجديد، زمن التليفزيون، وسيارات السباق، وحرب منع الحمل، والملابس الداخلية الأنثوية المصنوعة من النايلون والاستريتش، الزمن الذى اتجهت فيه شرائح من الطبقات الوسطى الدنيا إلى امتلاك بيت خاص، وأثاث جيد، ومطبخ مزود بالأجهزة الكهربائية، وكانت تقاليد الطيقة الفقيرة من المجتمع القروى المورونة تفرض على البنت أن تشقى في شغل البيت والغيط كأمها وأن تعمل خادمة للأب والأخ ولا تقبل أن تتعلم البنت شيئاً تبني عليه حياتها باختيارها، ولا أن تتحرف مهنة أفضل كالبائع في المحلات المودرن والخياطة في المصانع التي تنتج الرفاهية.

(المترجم).

حنق الأب على سعيها إلى عمل نظيف، بينما اضطر الأب يوماً أن يتزوج الأم، نعم، بسببها هي، أو بالأحرى بسبب اختها الكبرى المتزوجة الآن منذ حين والتي أصبحت بمنأى عن الهجوم. كما كرهنا أمك إذن، لأنها سمح لها بأن تقوم بشغل البيت النظيف، بينما كان علينا نحن أن نقوم بالعمل الشاق القذر، وانهلانا إذن على أمك آنذاك في غمرة السكر مراراً وتكراراً وأوسعنها ضرباً مبرحاً حتى أشرفت على الموت، ورمينا أحذية شفينا الطويلة العريضة القذرة في وجه أمك وقدفنا بنطلوناتنا القذرة على الكتبة، بنطلونات شفينا القذرة على الكتبة المنجدة التي كانت حينذاك جديدة، كذلك نريد أن نرمي أحذية شفينا الطويل العريضة القذرة في وجهك بما فيه الكفاية، وأن نقذف بنطلونات شفينا على الكتبة فيكون عليك أن تتطفيها من كل القذارة التي علقت بها. هل نسينا حنقنا الصادق النظيف عليكن لحظة؟ لا ! انظرى واعتبرى ! إلا في لحظة عيد ميلاد، أو ليلة الكريسماس أو حادثة عنيفة ، وتریدين أن تتعلمي الخطاطة؟

ولكن «ياولا» تستمر في التطلع إلى الحياة الأفضل، بينما تلقاها، في أي مكان، في السينما أو مع المصطافين، ولكنها دائماً الحياة الأفضل التي أتيحت لآخرين فقط، وليس قط حياتها هي.

وهي تقول كذلك أحياناً: ربما تحتاجون إلى أجر الصبية المتدرجة^(١)، ولا بد في نهاية المطاف أن تتعلم البائعة عملها. وفستان زفافي ، فكروا في هذا الموضوع، إنني أستطيع عندما أكون خياطة، أن أخيطه لنفسي بنفسي !!! وأخيط للأم كذلك شيئاً، وللحالة وللجدة وللجميع، للجميع. وفي هذا وبالتالي توفير لنقود، وأرى في أثناء ذلك في أحياناً كثيرة ناساً نظيفة، وأكون أيضاً واحدة من النظيفين والنظيفات، لأنني كذلك أخيط لنفسي فساتين جديدة، يمكن أن تعجب رجلاً أفضل.

و - سيقول الجميع إنني نظيفة، وقد يتزوجني حتى نجار أو بناء أو سباك أو جزار! أو صانع سجق!

و - وتنطلع «باولا» طوال الوقت إلى الحياة الأفضل كما لو كان من الممكن أن تكون ملك يمينها ذات يوم، على الرغم من أنها لم تصنع لها.

(١) منظومة العمل والعمال في النمسا وألمانيا تبدأ بالصبي المتدرج أو الصبية المتدرجة وهي وظيفة لها أجر ويطلب فيها من شاغلها أن يتعلم الحرفة نظرياً وعملياً حتى إذا فرغ من هذه المرحلة، وكان موهوباً ومجدأً وطموحاً كان له أن يقدم لامتحان العامل المتخصص الذي يعمل تحت رئاسة «معلم»، ودرجة المعلم (الأسطري، الأستاذ، الأسطرون) درجة رفيعة تتطلب المزيد من الذكاء والموهبة والاجتهاد، ولها امتحان صعب، ولا يجوز أن يكون هناك محل عمل قائم بذلك إلا أن يكون على رأسه معلم حاصل على شهادة المعلم التي هي أعلى رتبة في التخصص. وسيأتي في سياق الرواية في أكثر من موضع حديث عن هذه الدرجات الثلاث: Lehrling الصبي المتدرج (الصبية المتدرجة)، Geselle العامل (العاملة)، Meister المعلم (المعلمة). (المترجم)

وـ. ونظراً لأنها غير جديرة بالشفل الكثير، ونظراً لأن الأب مساءً يتوق إلى راحته، ونظراً لأنه لا يستطيع أن يجهز عليها على الرغم من أنه يود ذلك لأنه بكل بساطة مرهق إلى حد أنه لا يستطيع أن يجازف بسورة غيظ ثانية، ونظراً لأنه لا يستطيع قتلها على الرغم من أنه يود ذلك، ونظراً لأن الأمر بالنسبة إليه تافه، ونظراً لأن «باولا» وعدت بـألف شيء، من بينها أن تساعد أمها مساءً في الحظيرة، ونظراً لأن المال مال، فهذه «باولا» في النهاية يحق لها أن تتعلم الخياطة.

وـ. ومنذ تلك اللحظة ترى «باولا» الحياة الأفضل بعينين مختلفتين كل الاختلاف، تراها أشبه بشيء قد يستطيع الإنسان حتى أن يأخذه لنفسه، على الرغم من أن الواحدة يكون عليها أولاً أن تقصر الفستان وتضيق وسطه^(١).

في الحياة الأسوأ تبدأ إذن سنوات تعليم «باولا»، والمطلوب أن تنتهي حيث تبدأ الحياة الأفضل. والمأمول ألا تنتهي قبل أن تبدأ أصلاً بـحق.

ومالمأمول ألا تكون الحياة الأفضل قد أصبحت من نصيب واحدة أخرى، ربما لم يعد من الممكن بالوسط المحزن والجونيلا الأقصر أن تناسبها

(١) نلاحظ تتابع أربع فقرات تبدأ بـ«و» على نحو غير مألوف في اللغة الألمانية، للتعبير عن الإلحاح. كما نلاحظ أن البنت في هذا الوسط الاجتماعي لم يكن يسمح لها بتقصير الفستان وتضيق وسطه وليس المحزن، وهي أمور مستحبة في «الوسط الأفضل». وقد أبرزتها بـ(و.) في البداية. (المترجم).

ما هذا الذي يبرق هناك؟

ما هذا الذي يبرق هناك مثل ثمار الكستنة
الناضجة الملمعة، هذا السؤال سأله «هاينتس» نفسه
ذات يوم في الطريق إلى العمل. إنه شعر «بريجيته»
المصبوغ لتوه. ما على الإنسان إلا أن ينتبه إلى الا
بطول وقت تأثير الصبغة في الشعر عما ينبغي.

لقد ظن «هاينتس» أن ما يبرق كل هذا البريق ثمار
كستنة ناضجة ملمعة، وإذا هو يرى الآن أنه شعر
«بريجيته» الذي يبرق كل هذا البريق. إنه يدهش لأن
القدر تدخل.

تقول «بريجيته» أنا أحبك. وشعرها يلمع في
الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة وفوق ذلك ملمعة.
أحبك جداً جداً. إنه إحساس الحب، ذلك الإحساس
الذي لا فكاك منه. إننيأشعر كأنني كنت دائماً
أعرفك، منذ طفولتي التي انقضت منذ أمد بعيد.
وترفع «بريجيته» نظرها إلى «هاينتس».

وكذلك «هاینتس» تملکه فى الحال نفس الإحساس. وعلاوة على ذلك تملکته حسیة سمع من قبل أنها موجودة.

شيء جديد ومفزع في آن واحد.

«هاینتس» يريد أن يصبح كهربائياً^(١). والإنسان عندما يتعلم يصبح فيما بعد أكثر مما كان من قبل. ويكون الإنسان علاوة على ذلك أيضاً أكثر من كل من لم يتعلموا شيئاً.

تقول «بريجيته» إننا كلانا يحدث لنا شيء أكثر جدة وإفراطاً من كل حدث لنا حتى الآن، كذلك أكثر جدة وإفراطاً من حادثة المصنع في العام الماضي التي فقدت فيها امرأة يدها، إنه: الحب. أنا أعرف تحديداً الآن أنت أحبك، وأنا فرحانة لأنني أعرف ذلك. ليس لي رجل آخر سواك أنت يا «هاینتس»، ولن يكون لي في المستقبل أيضاً رجل آخر سواك. أم هل ترى هنا رجلاً آخر؟ «هاینتس» لا يرى أحداً، وشعور الحسية يزداد قوة. ويفكر «هاینتس» هاتان الشفتان تجذباتي كل الجذب إلى سحرهما. إنهمما تستدرجاني وتعذّلني بشيء. لماذا؟ «هاینتس» يفكّر. الآن عرف الإجابة، إنها: الحسية.

«بريجيته» تقول، أنا أحبك جداً جداً، وشعرها يلمع كما تلمع ثمار الكستة في الشمس. شفتاهما المثلثتان مفتوحتان قليلاً كأنما تستدرجان أو على

(١) ان يتجاوز مرحلة الصبي المتدرج ويؤدي الامتحان ويصبح عاملأً فنياً فيتخصص التركيبات الكهربائية. (المترجم).

الأقل تعداد بشيء. ماذما؟ أنا أحبك جداً لدرجة الألم،
أحس بألم روحي في روحي، وألم جسدي في جسمي.
أتمنى أن تبقى دائماً عندي ولا تتركيني أبداً. بعد
الزفاف أتمنى أن أبقى في البيت كلية ، ولا يكون
وجودي إلا لك ولطفلنا فقط.

ماذا يساوى عملى فى المصنع بالقياس إلى هذا
الإحساس بالحب؟ لا شيء! العمل يختفى ولا يبقى
هنا إلا الإحساس بالحب.

«هاینتس» يريد أن يشتري لنفسه بنطلوناً جديداً
على الموضة. الآن وقد أصبح محبوباً يصبح البنطلون
الموضة أكثر أهمية عن ذى قبل. وكذلك يتضاعف للأسف
كل ما اجتمع له من أجرا الصبي المتدرج طوال العام
المنقضى في التردد على الديسكونتيكات آخر كل
أسبوع. وهناك أيضاً تسود حسية، ولكنها أقل من
الحسية هنا مع «بريجيتة» حيث أصبحت واقعاً يقع
في حينه.

تقول «بريجيتة» : أنا بحاجة إليك، وأنا أحبك.
شعرها ييرق في الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة
ملمعة، الحب إحساس بأن أحداً يريد الآخر. تقول
«بريجيتة» : أنا بحاجة إليك لكن لا يكون على أن
أذهب إلى المصنع بعد ذلك، لأنني أساساً لا أحتاج إلى
المصنع بتاتاً. ما أحتاج إليه هو أنت وقريرك مني. أنا
أحب وأحتاج إليك.

ويمني «هاینتس» نفسه، ليت هذا الحب يكون
جسدياً أيضاً. على أي رجل أن يأخذ كل ما يستطيع

أخذه. كذلك عليه أن يقتني ذات يوم بيتاً جميلاً لابد أن يوفر له مالاً من قبل، كذلك لابد أن يكون له يوماً ما أولاد، ولكن لابد قبل ذلك أن يكون قد نال شيئاً من الحياة. العمل ليس كل شيء، لأن الحب هو كل شيء. هل هذا الحب يا ترى جسدي، هذا سؤال يسأله «هاینتس».

تقول «بريجيته»: نعم يا «هاینتس»، هذا هو الحب. شعرها ييرق في الشمس مثل ثمار كستنة ناضجة ملمعة. لقد أتى إلينا فجأة، في قلب الليل، يا «هاینتس»، من كان يفكر في هذا؟ أنت ستكون قواماً على، وستكافئني على حبي، وستعوضني، أليس كذلك يا «هاینتس»؟

.. ذلك أنت أحبك جداً جداً (١).

«هاینتس» يظل واصعاً نصب عينيه تقدمه المئوي ودورات تعليمية ربما يكون من الضروري الالتحاق بها. أما «بريجيته» فتظل واصعة نصب عين من عينيها الحب الذي هو كالمرض العضال، ونصب العين الأخرى مسكنها القادم وتأثيثه. «بريجيته» سمعت أن الحب يكون صحيحاً إذا كان كالمرض، «بريجيته» تحب «هاینتس» حباً صحيحاً خالصاً.

لا تركنى أبداً يا «هاینتس»!

والدا «هاینتس» يضحيان تضحية كبيرة ليشتريا لـ «هاینتس» البنطلون الموضة. وهمما يريدان في المقابل

(١) أربع جمل قصيرة تلى كل واحد منها فقرة على طريق القرار في بعض قوالب الشعر الفنائي وقد أظهرتها ب نقطتين في البداية (المترجم).

ولا تحدث حماقات بين البنات وبين «هاینس». ويقولان إنه بهذا يمكنه أن يضيع مستقبله المهني كله. ألم يلق الأب طول عمره من العنت ما فيه الكفاية؟ حياة ضائعة واحدة في الأسرة تكفي فعلاً.

المستقبل مهم بالنسبة إلى «هاینس» الذي يريد أن يصل إلى شيء. «هاینس» الذي لم يصل إلى شيء في حياته حتى الآن يقول: الحياة لا تتكون من عمل فقط. والأب الذي لم يتعلم ولم يصل إلى شيء والذي تقدم به العمر يقول: أنت لم تتعلم في حياتك حتى الآن شيئاً، ولم تصل إلى شيء، لذلك فأنت لا يمكنك أن تعرف هذا إطلاقاً.

«بريجيته» التي لا ت يريد أن تفقد «هاینس» تقول أنا أحبك. الإنسان يود أن يحتفظ بما يحصل عليه، وقد يكون من الممكن أن يحصل الإنسان على أكثر مما أتى. ربما محل عمل خاص. يمكنها أن تشارك نشطة في العمل ، وهو ما اعتادت عليه.

«بريجيته» تقول أنا أحبك. أخيراً لا يكون على الإنسان أن يعود إلى السؤال هل هذا هو الحب ، فهي متأكدة من ذلك.

«هاینس» و«بريجيته» في فزع من ضخامة هذا الإحساس. «بريجيته» أكثر فزعاً من «هاینس» لأن الأحساس أكثر أنوثة.

المهنة أكثر رجولية. إنها لا تثير في «هاینس» إلا القليل من البهجة. وعلى الرغم من ذلك فهو يريد

ويستطيع أن يتقدم، ولا يهمه إلى أين. صحيح أن الحب يحدث في «هابيتس» بهة أشد، ولكن عليه مع ذلك أن يكون حريصاً، كى لا يعوقه مهنياً. والملابس الموضة التي سيستطيع «هابيتس» أن يشتريها من أجره، تحدث فيه يقيناً بهجة، والملابس الموضة التي سيكون عليه أن يشتريها لزوجته تحدث فيه يقيناً بهجة أقل. لهذا: الحرص!

الحب يسبب له «بريجيتة» المألا. إنها تتظر اتصالاً تليفونيًّا من «هابيتس». لماذا لا يأتي هذا إلى «هابيتس»؟ الانتظار مؤلم. أنه مؤلم لأن «بريجيتة» في شوق إلى «هابيتس». «بريجيتة» تقول إن «هابيتس» هو عالمها كلـه. لهذا فإنَّ عالم «بريجيتة» صغير. الحياة تلوح لها بلا معنى بدونه، والحياة لا تبدو لها ذات معنى بدرجة كبيرة، كل ما في الأمر أن ما لها من معنى يبدو على أية حال أكثر من عملها في مصنع السوتيانات.

عد يا «هابيتس»! إنـى أحبك وإنـى بحاجة إليك.

«هابيتس» بحاجة^(١) إلى وجود مضمون. شيء في نفسه يقول اسع إلى أمام، هذا هو ما ي قوله أيضاً والدها ذوا الخبرة اللذان لم يجاوزا حدود بلددهما حتى الآن.

(١) نلاحظ سمة متكررة يتسم بها أسلوب بلينيك من ناحية الصنعة، فهي تبدأ الفقرة عادة بكلمة أو بتراكيب انتهت به الفقرة السابقة. هنا : «بحاجة إلى»، هي بحاجة إلى كذا وهو بحاجة إلى كذا. وهذه السمة الشكلية معروفة في منظومة الهارمونى في التأليف الموسيقى. (المترجم).

«بريجيته» ترجوه: لا تدعنى وحدى، حياتى لا
معنى لها بدون حياتك.

«بريجيته» عليها فى تدابيرها أن تنظر كيف تزال زوجاً لا يذهب إلى الحانة. وعليها أن تدبر أن تزال مسكنًا جميلاً، وأن يكون لها أولاد، وأن يكون لها أثاث جميل. ثم عليها أن تدبر لا يكون عليها أن تخرج بعد الزواج للعمل. ثم عليها أن تدبر قبل ذلك أن يتم دفع أقساط السيارة بالكامل. ثم عليها أن تدبر أن يكون فى مقدورهما أن يقضيا إجازة جميلة كل سنة. ثم عليها على أية حال أن تدبر أمرها على لا تضطر إلى عدم الحصول على شيء^(١).

الإنسان يحيا مرة واحدة هذا ما تقوله أم «بريجيته» التى كانت هذه الحياة مرة واحدة بالنسبة إليها أشق وأطول مما ينبغى لأنها ظلت بلا زوج.

أما حياة «بريجيته» الواحدة فهى ممتئلة كل الامتداء، لأنها مليئة بـ «هاينتس». شعرها يلمع مثل ثمار كستنة ملمعة فى الشمس. بل إن «بريجيته» غلبتها هذه الحياة التى هى بفضل «هاينتس» أكبر من مقاسها بنمرة. أما عملها فلم يغلبها لأنه على وتبيرة

(١) كذلك نلاحظ فى الإطار نفسه تكرار اسم أو فعل أو صفة أو ظرف أو مجموعة لفظية عدة مرات فى الفقرة الواحدة فى سعي منها إلى تحقيق الهدف المضمنون والشكل باقل عدد من الكلمات، وإظهار براعة فنية لهذا النوع من التعبير الذى نلاحظه أيضاً على كثير من الناس فى أحاديثهم العادية. هنا كلمة «تدابير»، وبعدها «مرة واحدة» ثم «غلب» ثم «وصل» الخ. (المترجم).

واحدة. وهذا هو «هاینتس» على العكس من عملها غالب.

ما يزال على «هاینتس» أن يصل إلى شيء في الحياة، قبل أن يكون له أن يفكر في أسرة مجرد التفكير. «بريجيت» تريد أن تصلك إلى «هاینتس» الذي ينبغي أن يصل إلى شيء من أجلها ، لأنه له مستقبل. ومستقبل «هاینتس» في مجال الكهرباء الذي يعمل هو فيه. ومستقبل «بريجيت» في «هاینتس». المتخصصون المتمكنون بضاعة نادرة.

تقول «بريجيت» لـ «هاینتس» رباء كم أحبك.

ويرد «هاینتس» وأنا كذلك أحس نفس الإحساس. أبوه سائق المسافات البعيدة يتحسس غضاريف فقرات عموده الفقري لأنه سائق مسافات بعيدة، وعما قريب سيكون سائق مسافات بعيدة سابقاً، عندما لا تتصاع غضاريف الفقرات لمحاولته التحكم فيها. سائق المسافات البعيدة يعتقد أن «بريجيت» لا شيء وأنها لا تمتلك شيئاً. وهو يعتقد أن «هاینتس» سيصبح شيئاً وأنه الآن يملك شيئاً: لا وهو الموهبة والمداومة والاجتهداد. لا تخيب رجاء أبيك يا «هاینتس»! إنه يعتقد أن في مقدورك وأن لك أن تطالب بطالعات.

أحسن شيء هو أن يبحث «هاینتس» عن امرأة لديها مال، لكنه يستطيع عما قريب أن يستقل وأن يكون له محله الخاص. أما الوجوه الجميلة مثل وجه

«بريجيته» فكثيراً ما تضل. فيهن يكمن التدهور المهني. أبوها «هاینس» يريدان له الأفضل. و«بريجيته» يقيناً ليست هي: الأفضل.

«بريجيته» تقول: أنا أحبك جداً جداً. شعرى اللامع البراق يدعم حبى. وما يدعم حبى أيضاً: مهنتك التي لها مستقبل. وما يدعم حبى علاوة على ذلك: أنا نفسي، أنا التي لا أملك شيئاً إطلاقاً.

والدا «هاینس» يريدان أن ينظر «هاینس» إلى ما هو أصيل، فما شعر «بريجيته» بأصيل. إنه مصبوغ. وما زال «هاینس» أصفر سناً جداً من أن يستطيع أن يعرف ما هو أصيل، عندما يراه. معرفة الأصيل من اختصاص الوالدين اللذين شفلا به طوال عمرهما. الأب يشعر أن غضاريف فقراته لابد أنها أصيلة جداً، في مقدور هاینس أن يطالب بمطالب قد تعلم من أجلها حرفه.

كذلك «بريجيته» تحب جداً ما هو أصيل. تحب «هاینس» الرجل الأصيل، مثلاً، ثم سجاجيد أصيلة ومجموعة مقاعد أصيلة وباراً منزلياً صغيراً.

وما يزال «هاینس» يريد أن ينال من حياته نصيباً. وما يزال «هاینس» يستطيع أن ينال من حياته نصيباً طلما أقام عند والديه ووفر نقوداً. وهو علاوة على ذلك ما يزال أصفر سناً جداً من أن يرتبط بالزواج مبكراً. «بريجيته» التي يلمع شعرها اليوم ويبرق مرأة أخرى حتى إنه ليؤذى عيون الناظرين تحب «هاینس»

جداً جداً إلى حد أن شيئاً فيها سيتحطم إذا رماها «هайнتس». تقول أحبك على طريقة محببها المفضلين في السينما والإذاعة والتليفزيون والأسطوانات. «هайнتس» يقول لا أعرف إن كان هذا يكفي لحياة كاملة، الرجل يريد أن ينعم بنساء كثيرات. الرجل مختلف.

تقول «بريجيته» وأنا أحبك لهذا السبب، لأنك رجل. أنت رجل يتعلم مهنة، وأنا امرأة لم تتعلم مهنة. ولا بد من أن تكتفينا معاً مهنة واحدة. وستكتفينا في سهولة ويسر لأنها مهنة كبيرة، جميلة، جداً. تقول «بريجيته» لا ينبغي لك أبداً أن تتركني، والا مت. ويقول «هайнتس» الإنسان لا يموت بمثل هذه السرعة. كان الأخرى بك لهذا أن تعتمدى على رجل يكسب أقل مما سأكسب أنا يوماً ما.

إلا إنتى أحبك بالذات لأنك تكسب أكثر من رجل يكسب أقل.

ثم إن «بريجيته» تحب «هайнتس» لأن هذا الإحساس كامن فيها ولا تستطيع أن تتصدى له. انتهينا.

شعرها مثل ثمار كستنة نفيسة ملمعة.

يقول «هайнتس» سأفكر في ذلك حتى الغد. هكذا يفعل الناس في الحياة الاقتصادية الحديثة التي أعرفها جيداً.

وتجيب «بريجيته» إننى أحبك جداً جداً. غدا هو
المستقبل، وأنا ليس لدى مستقبل.

يقول «هайнتس» وأنا لست لك على أية حال.
وأنا لهذا السبب لا أتمنى أن أكون مثلك.

ويستمرمثال «پاولا»السيئ

وهذا هو مثال «پاولا» السيئ يزحف شيئاً فشيئاً
بالتبادل مع مثال «بريجيتة» الطيب.

عندما يكون الليل ما يزال مخيماً يزحف مثال
«پاولا» شيئاً فشيئاً إلى البلدة المجاورة التي تكاد تكون
قد أصبحت مدينة حيث يكون على الإنسان لهذا
السبب أيضاً أن يتعلم مهنة يمكنها في بعض الظروف
أن تغير حياة بأكملها، هي مهنة: الخياطة.

فى البلدة المجاورة يتعلم الناس أيضاً أشياء لا
ضرورة لها قد تؤدى بالإنسان إلى الطريق الموعج إلا
وهي: الذهاب إلى السينما والمقهى.

وكثيراً ما حذر البعض «پاولا» منهما.

جميل جداً أن يجلس الإنسان فى مقهى.

وكأن الإنسان قد أتى إلى الدنيا من أجل شيء
جميل، بينما أتى الإنسان إلى الدنيا من أجل شيء لا

جمال فيه: حياة زائفة اسمها شغل البيت تلتصر
بالإنسان إذا أخطأ ودس يده فيها.

و«باولا» تعمل في المنزل من أجل أهلها الذين تدين
لهم بهذه الحياة الزائفة.

هل يدهشن أحدّ عندما يجيش في «باولا» حنين؟
وفي الأتوبيس يركب علاوة على ذلك كثير من
الأطفال يذهبون إلى المدرسة، وكثير من النساء يذهبن
إلى الجزار وصانع السجق! أو إلى القرافة.

لا يركب رجل دون السبعين الأتوبيس، اللهم إلا إذا
كان مسجلاً في سجل المرضى. ومن كان مريضاً
بصفة رسمية لا يجوز له ركوب الأتوبيس الذي يتبع
له نوعاً من المتعة، وكل لون من ألوان المتعة يبلشه
الوشاة فوراً إلى رئيس العمال. ولهذا السبب فكل
رجل تحت السبعين في الأتوبيس يرتكب فيه عملاً
غير مشروع. ذلك لأن الرجال تحت السبعين في
وضعهم القانوني السليم تقلّهم سيارة چيب عالياً إلى
الغاية الكثيفة.

وربات البيوت في الأتوبيس يعلن «باولا» بصوت
كورالي واحد أنها واحدة منهـن.

و«باولا» في سرها تعتقد أنها فوق مستواهن.
ربات البيوت في الأتوبيس يكافشـن "باولا"
صراحةً بأنها ليست شيئاً أحسن منهـن.

وترد «باولا» هناك فوق كل شيء الحب الذي هو

أحسن شيء. «پاولا» أحسن منها لأنها ستتألم حباً في صميم ذاتها عندما تجئ اللحظة المناسبة. «پاولا» بادئ ذي بدء أحسن منها بسبب الخياطة، ثم إنها بعد ذلك ستسمو بالحب وتشرف. سيحل الحب محل الخياطة. وأنا فرحة من الآن على حالى هذه.

«پاولا» تحكم قبضتها على حقيبتها الجلدية الصغيرة التي هي أحسن من شنط نظيراتها المصنوعة من البلاستيك. النساء الآخريات يحكمن قبضتهن على معرفتهن بالرجال وهي معرفة لم تؤتها «پاولا» بعد.

من الممكن أن يكون الرجال خنازير، ولكن العكس أيضاً صحيح. ما هو عكس خنزير؟

من أجل هذا يقوم الرجال طوال الأسبوع بأعمال شاقة. يوم السبت هو يوم القهر الكبير. يومئذ ترتعد القرية كلها من ضرب الركب والظهور وليس الأكتاف.

«پاولا» ترتعد عندما تسمع هذا الكلام، سيكون الحال عندها مختلفاً تماماً. أفضل.

ويستطيع الإنسان بعد ذلك مباشرة أن يلعق جروحوه مع شرب القهوة ومشاهدة التليفزيون. نعم، مشاهدة التليفزيون. برنامج بعد الظهر. عند مشاهدة فيلم كارتون هزلی لا يفهم الإنسان إلا نصفه لأنه سريع الحركة، ينسى كل ألم أسفل البطن ما وخر.

أما إذا أصر الألم في أسفل البطن على أن يظل برأسه مثل الدودة التي تطل برأسها من التفاحة،

يكون الوقت قد فات، والمثل السائر القديم يقول ولدت النساء للألم والرجال للعمل: شيء عض في جسم الآخر واستقر فيه مخرباً كالدخيل الفندي (١)، يعيش عليه ويتغذى منه، ويسمون ذلك التكافل العيشي.

كذلك عاجلت نساء الأوتوبيس «باولا» بمعونة عن آلام الوضع الشافية، السبق كبير، ولكنه لا يستعصى على الاستعواض. أحاديث كثيرة تتردد من خلال الهواء العطن وتتناول الآلام عموماً، الآلام المرضية الناجمة عن جر الأحمال الثقيلة، العمليات الجراحية، الروماتزم، الفتق، اللومباجو، الكاتاراكت، أو السرطان. ومن بعدها يدور النقاش حول آلام الولادة الشافية، التي تجعل المرأة مرة بعد مرة أكثر قدرة. ويلحق بهذا النقاش في الحال دون تمهيد الفرحة الكبيرة بالولادة التي تجر وراءها الفرحة الكبرى للنفسة.

وتتعلم «باولا» ضحية الحرف اليدوية: الخياطة. تستطيع الآن أن تخيط مريلة. شفلاها بطيء، ولكنه مقبول. عملية التقليب في الأقمشة تشعر «باولا» بالبهجة. ولكن في حالات كثيرة عندما تكون «باولا» منهمكة في خياطة صعبة معقدة، يدس الحب رأسه القبيح من خلال الأشياء. وحيث إن «باولا» في فترات الفسحة تلم بالمزيد من المعرفة بالحب، غالباً عن

(١) يضربون بالفندي *Wandalen* ، وهم أمة جرمانية قديمة، المثل في الشراسة والعنف والتخريب. (المترجم)

طريق مجلات مصورة، فإنها أصبحت تعرف في أثناء العمل ما يجري بين الرجال والنساء. وهي على أية حال أشياء جديدة ومختلفة مما سمعت من قبل طول عمرها. ما سمعته من قبل طول عمرها هو ما سمعته «باولا» من أسرتها ومن صديقاتها. ماذا يمكن أن يتوقع الإنسان سماعه من هؤلاء السفلة! ولو تضامنت، «باولا» مع نساء أسرتها، المنحطات المسكينات، لاعتراها الجنون! ولهذا تفضل «باولا» التضامن مع أفضل صديقاتها. مع «أوشى جلاس» أو مع صديقتها المفضلة التالية، الحسناء الشقراء زوجة مفنى الأغنيات الرائجة الجميل الأسود (الأسود الشعر).

في فترات الفسحة تمتص «باولا» الحب حتى تمتئ حباً، وفي أثناء العمل تتقينا كل شيء. لا بد أولاً وقبل كل شيء آخر أن يكون الحب نظيفاً وحسيناً. وهذا ما يضايق «باولا»، كشوكة في العين كما يقولون. كيف يمكن أن ينمو الحب ويترعرع في محيطها المنافي للنظافة وللحسيمة، نعم كيف؟

ما الذي ينشأ في داخل إنسان ما عندما يتصور شيئاً لا وجود له في واقعه؟ إجابة صحيحة: تنشأ أحلام قوامها هذه التوليفة السيئة.

«باولا» تحلم مثل كل النساء بالحب.

كل النساء، وكذلك «باولا»، يحلمن بالحب.

الكثيرات من صديقاتها القديمات في المدرسة، والكثيرات من زميلاتها الحاليات في العمل، يحملمن به

كذلك، إلا أن كل واحدة منهن تؤمن إيماناً راسخاً أنها هي وحدها التي ستتال هذا الحب بالذات.

في أثناء قيام البائعة بالبيع، في مهنة النجوم، يجد الحب مائة مرة في اليوم الفرصة والحظ للدخول. ولكن المحل لا يدخله على الدوام سوى ربات بيوت مع أطفال، ولا يدخله الحب أبداً. وربات البيوت الداخلات اللاتي عرفن الحب فيما مضى من زمن بعيد، يشفقن على البائعات ويحتقرنهن لأنهن يضطربن للبيع، وليسوا أجملهن هن اللاتي يتبعن الحب، بل الأطفال ومصاريف البيت التي تأتى من الرجل وتعود جلها إليه، يستطيعن أن ينعمن بالحب. النساء المصنون يحتقرن غير المصنون.

وبائعات يكرهن في المقابل ربات البيوت لأنهن خرجن من كل شيء، بينما هن لا يزلن في داخل صراع التنافس الحاد، ويضطربن أن يشترين بدلاً من الأثاث المدهون بالللاكيه المزيد من الجوارب النايلون والبلوهرات والجونيللات الميني جيب. على اعتبار أنها بضائع استثمارية.

نعم ، إنها تذهب إلى المال!

هناك حركة كراهية عامة في البلدة تنتشر متزايدة من حولها وتنتقل كالعدوى إلى كل شيء ولا يوقفها عائق، النساء يكتشفن عدم وجود شيء مشترك بينهن، وأن ما بينهن ليس سوى أشياء متضادة اللاتي حصلن على شيء أحسن بناء على ميزات جسدية، يردن

الاحتفاظ به وإخفائه عن الآخريات، والآخريات يردن أخذه منها أو أخذ شيء أحسن منه. هناك كراهية واحتقار.

ولقد وضع حجر أساس هذه الحركة من قبل في المدرسة. أن يخطر ببال «پاولا» أصلاً أن تقارن الحب بزهور وبراعم وحشائش وأعشاب، كل هذا يرجع إلى أيامها في المدرسة.

أن تربط «پاولا» الحب بالحسية فتلك نتيجة من نتائج المجلات التي أحبت قراءتها. وقد سمعت «پاولا» كلمة جنسية ولكنها لم تفهمها تماماً.

ألا يكون للحب إلا صلة بعمل ما، ذلك ما لا يحلو لأحد أن يقوله. و«پاولا» تعرف كل المعرفة كيف يلف الطفل باللفة وكيف يغذى. ولكن «پاولا» لا تعرف كيف يتم منع الحمل.

و«پاولا» تعرف يقيناً عين المراد، ألا وهو الإحساس وحده.

وتنتظر «پاولا» أن يقع عليها الاختيار، وذلك هو عين المراد. عين المراد هو أن يختارها الرجل المناسب. «پاولا» لم تتعلم قط أن تقوم هي ذاتها وحدها بالاختيار والتحديد. «پاولا» تعيش خبراتها بكل الأشياء في الصيغة السلبية، لا في الصيغة الإيجابية. أقصى ما عاشته «پاولا» من خبرة هو أنها يمكنها أن تتقول لا. ولكن لا ينبغي أن يسرف الإنسان في قول لا، وإنما الإنسان يكون ذات مرة قد أفرط في قول لا.

فتمر السعادة في المستقبل عابرة ولا تدق جرس الباب
بعد ذلك.

و«باولا» تذهب أحياناً إلى حلبة الرقص عندما يقام حفل. أحياناً تجد «باولا» رجلاً مخموراً من زوار حلبة الرقص يجرها مرة أخرى إلى الفابة، وهو شيء لا يصح أن يراه أحد، لأنه يؤدي إلى الحط من قيمتها في السوق تواً إلى حضيض وضعف لا قاع له.

ثم تجد «باولا» الرجل يمد يده إلى صدرها، أو قد يمد يده علىأساً للأحوال إلى موضع حساس
ولقد علموا «باولا» تقدير الشخص الذي يمد يده هكذا.... هل هو شخص له مقدرة بل أم ليس له مستقبل.

هل هو شخص له مستقبل أم حيوان شفل؟
إذا كان حيوان شفل فلا يمكن أن يصبح بختاً لـ «باولا» تعلم مع «باولا» أن يعمل في هذه الحالات مثل الكمبيوتر. هذه هي النتيجة التي وصل إليها: متزوج وله طفلان.

يلى ذلك دفع إلى بعيد، سباب، صراخ، وأحياناً يتبعه ترنج المخمور المفرر ووقوعه أرضاً.

قد يتبع ذلك انبطاحه واستسلامه ونعاشه حتى يتلاشى أثر الكحول.

وأحياناً ينقلب المذكور أيضاً إلى شخص فظ غليظ شرس.

لا يكفى إذن أن يستسلم الإنسان للحب ببساطة دون تشغيل المخ عندما يقرع الحب الباب، بل لابد من أن يحسب الإنسان حساب الحياة القادمة التي تأتى أحياناً فيما بعد.

لابد من أن يحسب الإنسان حساب المستقبل الذى لا يزال أمامه.

ومستقبل هو دائماً الآخر، إنه يأتي من الآخر. والمستقبل يتزل على الإنسان مثل ضرية البرد. والحب إذا أتى أصلاً يلم بالإنسان كالجو العاصف. وهو فى أسوأ الأحوال لا يأتى مطلقاً. أما الخياطة فهى عمل على الإنسان أن يعمله بنفسه.

«باولا» تشرع إذا فوراً فى التفكير، فى البرمجة، عندما يمسها أحد. وكثيراً ما يتملكها الغثيان فى هذه الأنثناء على عكس البرنامج تماماً. فليحيا الغثيان! ولكنها تعود فتكبته توأ. عسى ألا يشتد به «باولا» الحماس مرة فتكبته معه الحب على سبيل الخطأ!

فى وقت مبكر تعلمت «باولا» أن تعتبر جسمها وما يحدث له كأنه شيء يجرى على شخص آخر لا عليها هى. على جسم يشبهه أن يكون جسماً ثانوياً، «باولا» ثانوية.

كل المادة الناجمة عن أحلام «باولا»، كل الحنان من شأن جسم «باولا» الرئيسي، والضرب الذى يأتي من الأب يصيب الجسم الثانوى. وعلى الأم التى لم تتعلم

فقط أن تتحذ ل نفسها جسماً ثانوياً، أن تتلقف كل شيء بجسمها الرئيسي، ولهذا استهلك وذوى.

على الإنسان أن يعرف كيف يساعد نفسه. لابد من أن يستطيع أن يساعد نفسه على أى نحو. إذا لم يكن للإنسان أن يأخذ لنفسه شيئاً، سوى العمل، إذا كان الإنسان يؤخذ فقط دائماً ، فلا بد من أن يعرف كيف يساعد نفسه.

عندما تتكلم النساء عن أزواجهن يقلن (بالألمانية) (١) meiner MEINER . يقلن فقط meiner . ولا يزدن عليها شيئاً، لا يقلن زوجي، بل يقلن meiner . ربما عند الحديث إلى أجنبي يقلن: زوجي. أما عند الحديث إلى أحد من الناس هنا يقلن: meiner . تلاحظ «باولا» ابتسامة الانتصار على شفتي أمها أو اختيها عندما يقلن: meiner . إنها الفرصة الوحيدة التي ترسم المقويات على أفواههن ابتسامة انتصار.

إنها تتنمى أن تستطيع هي الأخرى ذات يوم أن تقول عن أحدهم : meiner . «باولا» لا تقول أبداً عن الخياطة التي تمارسها: عمل. و«باولا» (لاتقول) عن عملها أبداً meine . ولا تقول ذلك حتى بينها وبين نفسها، في داخلها. العمل شيء منفصل عن الإنسان، العمل هو في أكثره واجب وهو لهذا يجري في الجسم الثانوى.

(١) شكل من ضمير الملكية ، ليس له مقابل في العربية، ومعناه : الذي لي. له مقابل تقريري في الفرنسية mien le والإنجليزية mine إلخ (المترجم).

أما الحب فهو بهجة، ارتياح، ولهذا يحدث في الجسم الرئيسي.

والعمل، حتى عندما يحب الإنسان أداءه، عناء يعانيه الإنسان. ولقد تعلمت «باولا»، على الرغم من كل حبها لخياطة، أن العمل شيء مزعج يصد الحب، لا يجلبه.

في دماغ «باولا» لن يستطيع أن يقيم النظام إلا آلة خلط الخرسانة. في كل الحب الجسدي وفي كل الحب العقلى لممثلات السينما ومحنة الأغانى الراية ونجوم التليفزيون.

«باولا» تتلقى فقط، ولا تستوعب. مثل قطعة إسفنج لا تُعصر لتغمرها. قطعة إسفنج امتلأت بالكامل، يتسرّب منها كل الزائد على نحو أكثره من شأن المصادفة. ما سبيل «باولا» يا ترى إلى أن تتعلم شيئاً^٦؟

عن طريق التعرض للضرر طبعاً.

فمن خلاله يتعلم الإنسان الفطنة.

كذلك تشمئز «بريجيته» من «هایتس»؟ كذلك «بريجيته» تشمئز من «هایتس»^(١)

كذلك "بريجيته" تشمئز من "هایتس" ومن جسمه الأبيض السمين، جسم الكهريائي، الذي اسمه أيضاً "هایتس". وعلى الرغم من ذلك فهي أيضاً فرحانة مرة أخرى، فرحانة جداً جداً، ميتة من الفرح، لأنها نالته، فهو مستقبلاً لها.

هل لكنَّ مستقبل؟ كُونَ جملةً كاملةً: مستقبلٌ اسمه "إدي". ويكون على "بريجيته" أن تخرج وحدها أحاسيسها مستعينة بقوتها العضلية. دون الاستعانة بمعين تقني.

لا غرابة في أن المطلوب منها فوق طاقتها.
«هایتس» يستخدم قوته العضلية ليبني لنفسه مهنة.

(١) التكرار مع تغيير مكان الفعل تضييماً وتخييراً في الأصل (المترجم).

«هайнتس» لديه أيضاً ذكاء، وهو عنصر يضاف أيضاً إلى قوته العضلية.

«بريجيته» لا تعول على قوتها العضلية لكي تستطيع بها بناء مهنة لنفسها، «بريجيته» تستطيع الحب فقط ولا شيء غيره.

ذات يوم تأتي أخت «هайнتس» للزيارة ومعها رضيعها وطفلها الصغير. «بريجيته» تحمل حملاً ثقيلاً من فناجين وأطباق الجاتوه وما يتبعها من جاتوه، وتتغثر بها هنا وهناك. أم «هайнتس»^(١) تود أن تخفي «بريجيته» عن الناس، ربما في حوض زهور الهورتسيا^(٢) الكثيفة؟ لأنها لا عمل لها إلا أن تخيط على خط إنتاج السوتيلات، على الأقل ٤٠ قطعة هي أقل عدد في الإنتاج المفروض إنجازه. «بريجيته» تريد بأى ثمن أن تتسمى إلى هذا الذى يجرى هنا الآن، تريد أن ترسخ مستقبلها من الآن فى الحاضر ترسيقاً لا يستطيع أحد أن ينتزعه منها.

أم «هайнتس» بطبعتها طيبة القلب، إلا أنها ترى مستقبل «هайнتس» في «هайнتس» وحده، في «هайнتس»

(١) تصنع بلينك من كلمتي أم و هайнتس كلمة واحدة مركبة هي مكنته في اللغة الألمانية ولكنها غير مألوفة إلا للتعبير عن معنى الالتحام والتحول إلى كائن له اسم خاص.
المترجم).

(٢) الهورتسيا نبات منتشر في بلاد كثيرة منها النمسا وألمانيا، موجود في مصر أيضاً، له زهور بيضاء وحمراء وزرقاء تزدهر حول ما يشبه العناقيد، وهو نبات كثيف يمكن أن يتواجد الأولاد فيه أو يخفي فيه البعض أشياء صغيرة وكبيرة. (المترجم).

وفي البيت المأمول والذى سيتمكن من بنائه من أجل ماما وبابا، وأخيراً وليس آخرأ من أجل نفسه، يموله وحده من عائد محل مقاولاتة الصفير. يريد وسيكون. أم «هاينتس» ترى هذا كله الآن أمامها كالسراب، مستقبلاً صبوراً تحمل الكثير حتى الآن قبل أن يوجد أصلاً، مستقبلاً يمتد البيت الصغير فوق ظهره. آه يا أولاداً كم سيكون ذلك جميلاً! والأم لا ترى في أي موضع من البيت مكاناً لـ«بريجيته»، ولا حتى في المطبخ، مكان «بريجيته» هو خط الإنتاج، ثم خط الإنتاج، ثم خط الإنتاج مرة أخرى، تكدرست عليه دانتيلا سوتيانات وإسفنج صناعي وستريتش، بيت «بريجيته» هو الخياطة، وهو ما تعلمه.

لا بد أولاً من أن يتم تجهيز محل خاص، وهو ما يتبع مالاً كثيراً، وكثيراً ما جرى توفيره من أجره من قيادة (والد) سيارات نقل للمسافات البعيدة. كذلك كانت أم «هاينتس» لا شيء ولا أحد^(١) في وقت مضى قبل أن تصبح زوجة سائق سيارات نقل مسافات بعيدة، قبل سنوات وسنوات، بل قبل أن تصبح أمّاً لمن يمكن أن يكون في المستقبل مقاولاً. أى أنها تعرف هذا الوضع حق المعرفة.

(١) «لا شيء ولا أحد» تعبيرات متكررة عند يلينك في تصوير المرأة التي لا كيان لها ولا وجود إلا من خلال رجل، أي كان هذا الرجل، وهو يمثل عادة القهر والإذلال: مشكلة العلاقة بين المرأة والرجل، مشكلة الجنسين التي كثُر الحديث عنها في برامج حقوق الإنسان العالمية، وتتناولها فلاسفة وعلماء متخصصون متعددة بالدراسة (المترجم).

هي نفسها على أية حال خارج الدائرة وعجزوا.
الأب لا يزال في داخل الدائرة ، فقد أصبح سائق سيارات نقل للمسافات البعيدة. صحيح أن الفضاريف ضاعت بلا رجعة، ولكن بابا لا يزال قادرًا على أن يرفع ابنه على كتفيه وأن يحمله، وأن يجلسه على السرج وأن يدخله في حياة الأعمال.

أم «هاينتس» تدفع «بريجيتة» تحت مائدة القهوة، تدسها في درج الصحون، تضطر «بريجيتة» أن تعطيها كل شيء، الجاتوه الذي تحمله وال الكريم شانتي والسكرية وابريق القهوة. «بريجيتة» ليس لها أن تساعد.

ماما نفسها، شخصياً، الأم بشخصها تحمل كل هذه الأشياء مع ابنتها المتزوجة أم الحفيدين. في أثناء تناول القهوة تتحدث النساء عن المنزل والأجهزة المنزلية الخاصة به وعمن يأتي بالنقود للإنفاق على تدبير البيت وعن الأطفال. في أثناء تناول القهوة يتحدث الرجال عن كرة القدم، ثم عن كرة القدم، والشغل، والنقود، وعن كرة القدم.

الرجال لا يتحدثون عن النساء، لأن هؤلاء النساء موجودات هنا، سواء تحدثوا عنهن الآن أم لم يتحدثوا.

أخت «هاينتس» المتزوجة تصور ما يعتمل في نفس الإنسان عندما يشعر إلى جواره بجسم طفل صغير يتنفس، بشيءٍ صغير لا حيلة له، بهذه الحياة التي

تظل زمناً طويلاً في صيرورة ثم تصير الآن أخيراً حياة، هي هذا الرضيع. ومهما كان الرضيع من الصفر فقد جعل الأم في النهاية امرأة.

«بريجيتيه» تود أيضاً تبادل خبرات. ولكنها ليس لديها ما تقدمه للتتبادل.

اخت «هайнتس» تحكى كيف تعمل الزوجة لكي تهب الزوج الحبيب طفلاً. وهماذا الآن عنده أخيراً طفل.

لقد تمت الهبة.

كانت حدثاً مثيراً للحماس.

«بريجيتيه» زحفت أخيراً خارجةً من دولاب المماعين الذي بحثت فيه عن مواعين، على الرغم من أنها لا شأن لها به، أو كما يقولون ليس لها شيء بتاتاً تبحث عنه فيه، وانضمت إلى الجماعة التي ليس لها شيء تبحث عنه فيها. عند كل جملة تقولها اخت «هайнتس» تومي «بريجيتيه» برأسها بصوت عال. وهي تذكر على سبيل المثال شيئاً ترى أنه لا يزال جميلاً الآن وهو أن تشتري لنفسها من أجل «هайнتس» فساتين أنيقة، لكي تعجبه، ولكن كم سيكون جميلاً بحق يوماً ما، عندما لا يكون عليها أن تشتري فساتين أنيقة لأنها ستكون قد أصبحت أماً. عندما تكون هبة طفل أو عدد من الأطفال قد تحققت. سيكون الطفل الصغير نتيجة حبها الكبير.

وأبدت الآخريان اعتراضاً غاضباً، وكانتا لتوهما قد تحدثتا حديثاً إيجابياً عن الأطفال ووضعهم.

وتذكر «بريجيته» أن كائناً صغيراً إلى هذا الحد سيجعلها أمّا ، أمّا ، أمّا ، وأن «هاینتس» لا يعرف كيف يتعامل مع الأطفال الصغار لأنّه رجل، وأنّها هي تستطيع أن تتعامل كثيراً مع الأطفال الصغار لأنّها امرأة. «هاینتس» سيعجب الطفل الصغير فيما بعد، أمّا «بريجيته» فستستطيع أن تحبّ الطفل الصغير تواً وفي الحال.

«هاینتس» لا يزال يهتمّ اهتماماً متزايداً بالملونة والمنفعة.

أم «هاینتس» لا تزال تهتمّ اهتماماً متزايداً بتوسيع بناء البيت حتى يصبح هناك في النهاية مكان راحة^(١) لغضاريف فقرات (الأب) التي حُطّمت. يقرر «هاینتس» في سرّه أنّ موضع الراحة المناسب للأب هو دار للمسنين بعد أن يتم تحويل المال الذي وفره أبوه إلى خلطات أسمنتية يدخلها في البناء. لابد أولاً من تحويل المال الذي وفرته حياة فانية إلى خرسانة باقية. «بريجيته» على كل حال تتوافق على «هاینتس» وعلى ما يوافق عليه «هاینتس». لن يصلّا أبداً هكذا إلى غصن أخضر مما يريدان أن يصلّا إليه.

في الحديقة أغصان خضراء كثيرة جداً يتبدى منها حتى فاكهة. وفي الحديقة أيضاً زهور للقطف، ينبغي قطفها طالما كانت يانعة.

(١) تستخدم الكلمة الألمانية في الدلالة على القبر، وهو ما تلمع إليه الأدبية. (المترجم)

في هذه المسائل أبو «هайнتس» حُجَّةٌ.
الواقع أن «بريجيتيه» تشمئز من الأطفال الرضع.
والواقع أنها تود لو استطاعت أن تكسر عظيمات
أصابعهم الرقيقة، وأن تخز في أصابع أقدامهم
الصغيرة الضعيفة شظايا الخيزران وأن تدس في
حنك الطفل الصغير القadam الجديد وقد أصبح
الشخص الرئيسي خرقـة قذرة بدلاً من البرازة
المحبوبة، حتى تعرف عن خبرة كيف يكون الصراخ
ال حقيقي.

ليت الحاضرات يستطعن استشاف ما جرى في
داخل «بريجيتيه» من تحول إلى لإنسان.

عابراً يتبول الرضيع ابن أخت «هайнتس» بقوه فوق
دماغ «بريجيتيه» السكينة، في قلب صبغة الشعر
الطارحة، وفي صميم البرمانـت الذى يلف الشعر
لفات دائمة، وهو ما تسبب في موجة جديدة من
الضحك. «بريجيتيه» التي انحنت لتلتقط ملعقة
مفضضة من الأرض تهض وأصابعها تتقبض تلقائياً
على هيئة مخالب الطيور الجارحة، وهي الأصابع التي
يتحتم عليها بحكم العادة أن تكافح للحصول على كل
شيء.

لا تستطيع «بريجيتيه» أن تحتمل مثل هذا الإذلال
 أمام كل الناس. وكثيراً ما يتحطم إنسان مثل
«بريجيتيه» عندما يتعرض لمثل هذه الأشياء
الصغيرة.

ولقد جرت أشياء كبيرة كثيرة ، لم تحطم
«بريجيته».

الجميع يضحكون من مزاح الطفل الصغير، حتى
والد «هاینتس» الذى لا يكاد يكون قد بقى له ما
يضحك منه. حتى الفضاريف تشارك اليوم فى
الضحك. وثمرة الحب تضحك أكثر من الآخرين.
كذلك الحب الذى هو فى بيته فى العالم الصغير،
يشارك فى الضحك. وعالم «بريجيته» هو عالم
الحب الصغير. وهى تصفق للطفل الصغير عابراً.
ثمرة شاطرة!

أم «هاینتس» تُطفِّش «بريجيته» إلى المطبخ مرة
أخرى. أتقصنا هذه المصيبة. أن تريد الشفالة أن
تكون لها هي أيضاً ثمرة كهذه، وربما تكون أيضاً من
«هاینتس» ابننا!

من البعد تأتى تحية على سبيل التهديد من دار
المسنين، التى لم يرد ذكرها من قبل قط، والتى لها
وجود على الرغم من ذلك.
فى اللحظة المناسبة ستظهر.

مستقبلنا نحن الذين نصنعه لأنفسنا بأنفسنا، هذا
ما تقوله أم «هاینتس». وهو إذن لهذا السبب ملك
لنا، لنا نحن فقط. هى إذن تصنع مستقبلاً لها الخاص
بها. مستقبلنا يصنعه «هاینتس» ، الابن. مستقبلنا،
مستقبله، وليس مستقبلاً آخرًا.

لماذا ت يريد «بريجيته» عن تصميم عنيد أن ت قال كل
 هذا، بل ت قال الأكثر، لا وهو ابنا؟
 لماذا لا ترضى «بريجيته» أصلًا بما لديها، أى بلا
 شيء؟
 هناك أناس آخرون ليس لديهم شيء هم أيضًا،
 ولكنهم راضون.
 عندما يكون الإنسان راضياً، يتاح له إذ ذاك شيء
 حتى من اللاشيء.
 لماذا لا تستطيع «بريجيته» أن ترضى باللاشيء
 الذي لديها؟
 ثمة ربيع يبعث برجليه في شعر «بريجيته» الذي
 يشبه الصوف.
 الربيع يخز بأصابع الربيع عيني «بريجيته»
 وأذنيها وأنفها ويعيّث بها.
 الجميع يضعون بصوت عال، حتى الأب المتجهم
 و«هاینس» الطموح.
 الأمل (١) يضحك معهم، على الرغم من أنه فقد
 شيئاً.
 المستقبل لا يمكن أن يضحك لأنه لم يأتي بعد.
 الحاضر لا يضحك لأنه أثقل من أن يضحك.

(١) تونس يلينك العديد من المسميات المطلقة : الحياة، المستقبل،
 الحاضر إلخ وتجعلها تضحك أو لا تضحك وما إلى ذلك.
 (المترجم)

عمل «بريجيته» لا يضحك قط كحاله من قبل،
لأنه بعيد بعداً مفرطاً.

ذلك أن اليوم يوم عيد للجميع!
«بريجيته» تصطعن بشاشة حيال البلاية وتضحك
معهم من القلب. ثم تذهب لتفتسل.

أسنانها تصطرك صاحبة من فرط الكراهية.
لا مفر نتيجة لكل هذه الكراهية من أن يصمت
أشد الحب تشبيثاً بالبقاء.
إنه ينسحب مفروضاً.

تحول «هاينتس» لتُوّه من الحب إلى الواجب الجاد.
من المتعة إلى العمل.

«بريجيته» تعرف على أية حال أمور العمل أفضل.
أخت «هاينتس» تضحك بصوت أعلى من الجميع،
لأنها في أمان. لا يمكن أن يصيبها مكروه مستقبلاً،
فقد حققت المرام.

أم «هاينتس» تضحك بشيء من المعاناة، لأن
«بريجيته» حتى الآن لم تُخل الميدان للماء.. تقبل
الأفضل لـ «هاينتس».

ولما كانت «بريجيته» ما تزال في الحلبة وتنوى
على ما يبدو أن تبقى فيها ^(١).
فإن السعد يضحك لهم جميماً.

(١) جملة غير مكتملة على ما يبدو، وهذا النوع من الجمل المجنحة
متكررة عند بلينك، وكانها ترك للقارئ حرية الإكمال.
(المترجم).

ولكن ذات يوم

ولكن ذات يوم جاء هذا الذى يجعل من الإنسان إنساناً، جاء إلى «پاولا» أيضاً. ولقد انتظرناه طويلاً بما فيه الكفاية. فى هذا اليوم لاح لها فجأة كأنها لم تعش حقاً حتى هذا الحين.

والسبب: من قبل لم تكن الحياة إلا العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، عمل فى البيت وعمل فى الخياطة (لم يبدأ إلا مؤخراً)، تلك إذاً حياة زائفة أو ناقصة. ولكن هذا سيمحى الآن، فالحب موجود هنا، أخيراً جاء الحب، وأخيراً أصبحت «پاولا» الآن إنساناً.

العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، العمل فى البيت والعمل فى الخياطة، كل ذلك لا يزال موجوداً، صحيح، ولكنه لا يسير من تلقاء ذاته، من يوم لى يوم، إنما هناك علاوة على ذلك الحب لا يزال

موجوداً، هيا هيا، أهم شيء في الحياة الإنسانية، وأهم شيء الآن كذلك في حياة «باولا».

«باولا» نوت على ذلك نية صلبة كل الصلاة. كذلك ت يريد أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح، عليها أيضاً أن تعمل كل شيء على الوجه الصحيح، والا رحل الحب تواً مرة أخرى، أو أبعده العمل، والبيت، وشغل البيت، والصديقات، العمل، العمل في البيت والعمل في الخياطة، فتقع في الخسارة دون ما أمل في النجاة.

شغل البيت سيظل على أية حال باقياً على كاهلها. «إيريش» هو أجمل واحد في القرية. صحيح أن «إيريش» ولد لم يتزوج له ثلاثة أخوة كلهم من أب آخر غير أبيه، وهو ما يخلق منطلقات سيئة، كما هو معلوم، ولكنه جميل.

جميل جمال الصورة التي يضرب بها المثل في الجمال، جميل مثل صورة شاب أسود الشعر أزرق العينين، أن يُعشق.

و«إيريش» تمناه كذلك آخريات.

وإذا لم يكن من المهم بالنسبة للرجل أن يكون جميلاً - إذ الجمال شديد الأهمية بالنسبة للمرأة - فجميل على أية حال أن يكون الرجل جميلاً (١).

(١) لاحظ تكرار كلمة جميل على غير المألوف في اللغة الألمانية المعاصرة. (المترجم).

و«إيريش» يمتهن مهنة معتبرة: فهو خشّاب يقطع الشجر في الغابة. ولكن مهنة «إيريش» لا تسره على الرغم من أنها مهنة معتبرة، إلا أن الغابة تحتاج إلى رجال، ولهذا: هنا إلى الغابة يا «إيريش» بعد المدرسة الأولية مباشرة! و«إيريش» يحب أن يجعل الناس يحتاجون إلى عمله.

كل هذه الأشياء أصبحت فجأة عديمة الأهمية تماماً بالنسبة إلى «باولا». لا يهمها إلا شيء واحد، هو أن الحب أخيراً قد جاء، وأنه لم يأتي إلى خشّاب قبيح، مكدوّد، سُكِّير، نحيل، وضيق، حقير، بل جاء إلى خشّاب جميل، مكدوّد، سُكِّير، متين، وضيق، حقير^(١)، كما أتى إليها. هذا ما يجعل الأمر كلّه شيئاً خاصاً. من المؤكد أن الحب في حد ذاته شيء خاص، ولكن كم يكون الحب بالضرورة شديد الخصوصية عندما تختار الظروف «إيريش» و«باولا» للحب. ليس هناك سوى «إيريش» و«باولا» مرة واحدة لا تتكرر بين آلاف، بل بين ملايين!

«باولا» التي انتظرت هذا اليوم منذ سنين، بل منذ الأزل، ترجو الحب أن يتفضل تواً بالدخول، وتتفحّص فنجانًا من القهوة الجيدة وتضع معه قطعة كبيرة من

(١) مجموعة من الصفات المصفوفة ينكر أغلبها في الحالتين، الإيجابية والسلبية، وتختلف في صفتين، دلالة على هيمنة النسبة على الوصف، فالشاب على الرغم من عيوبه الكثيرة التي تعيّب القبيح، جميل متين وهذه الطريقة من التعبير مميزة لأسلوب يلينك الذي يؤكد صعوبة التحديد الجامع المانع. (المترجم).

الجاته. وهذا هو «إيريش»، الذي كان بالنسبة إليها نموذج الرجالـة كل الرجالـة، يأتي قبل أن يكون الحب قد رمى رميته، لأن الرجال الآخرين الذين تعرفهم لا يمكن أن يعتبروا نماذج لأى شيء، إلا أن يكونوا على أقصى تقدير نماذج إدمان الكحول أو الضرب المبرح أو رائحة راتج الخشب، وفيما عدا ذلك لا يدخل «إيريش» قط إذا الحجرة المطبخ الصغيرة التي تسكنها^(١). أما اليوم فيأتي «إيريش» نموذج الرجل الرجالـي، ونموذج الإدمان الكحولي والضرب المبرح الذي تلقـاه فى ممارسة قطع الخشب منذ طفولته المبكرة من الأم والجدة وزوج الأم والزملاء فى العمل، اليوم إذن يدخل «إيريش» الحجرة المطبخ. ومهما كانت من الصفر والتدنى والبهلة، فهى نظيفة كل النظافة، حتى لىستطيع الإنسان أن يأكل من فوق أرضيتها. «إيريش» لديه إخطار علىه أن يبلغها إياه. خبر له أهمية قصوى بشأن رحلة الفد. أرسله به رئيس الرحـلة. وهو يجد صعوبة فى الكلام كما يجد صعوبة فى كل ما عداه.

اجلس يا «إيريش»، «إيريش» يقول: مهما كان مطبخكم صغيراً رثاً عديماً هديماً، فهو يبدو كأنه جديد خرج لتوه من العلبة! أنت يا «پاولا» تساعدين أمك بشطارتك. أنت شاطرة!

(١) نمط ضيق فقير من أماكن السكنى هو الغرفة التي تستخدم مطبخاً وحجرة معيشة في وقت واحد ويسـمـونـه «الحجرة المطبخ» Wohnküche. (المترجم).

«باولا» تهالل بشرأً لهذا المدح مثل ثور القيامة^(١)
المزدان بزيينة الحرب.

«باولا» عمرها في هذا الوقت ١٥ سنة بالضبط، أما «إيريش» فعمره ٢٢ سنة. هذا معلومة مهمة، لأن كل شيء قبل ذلك كان مختلفاً وسيكون كل شيء بعد ذلك مختلفاً كل الاختلاف. لنحفظ هذا الوقت في ذاكرتنا جيداً في هذا الوقت لا يجوز لـ «باولا» أن تبدأ في التفكير في الزواج^(٢) لو فكرت «باولا» في الزواج لفروم أبوها لحمها عن عظمها. ولو فكر في الزواج لأنها تالت عليه جدته وأمه وزوج أمه ضريباً حتى تخرج روحه من بدنها. ومن الذي يقوم بعمليك؟ من يخش النجيلة ومن يطعم البهائم ومن يفرش التبن؟ من؟ ومن يجر المسقة إلى الخنازير؟

والأم التي كانت دائمأ تعمل خارج البيت، منذ أن كان عمرها ١٤ سنة أى أصغر من «باولا» بسنة، تعمل

(١) ثور القيامة Pfingstochse ، بمناسبة عيد القيامة المجيد في يومية جرت عادة الفلاحين والرعاة قديماً في جنوب ألمانيا والنمسا على الاحتفال بإطلاق ثور على المراعي البانعة بزيونته بزيونة مبالغ فيه، وأصبح ثور القيامة يضرب مثلاً على الرجل الفحل الذي يزهو بزيونة فجة متكلفة، بالإضافة إلى الإسقاطات التي تسب إلى الثور القوة الخ (المترجم).

(٢) تفرض التقاليد الاجتماعية القاسية على البنات القيام بأعمال الخدمة المفروضة وعدم التفكير في الزواج للتحلّل من هذا الالتزام الذي تقله الأم إلى ابنتها، والأب إلى ابنه، وإن لم يكن يعني في الواقع إلا الاستمرار في العمل في بيت آخر. وكانت التقاليد الاجتماعية القاسية تفرض على الابن مثل ذلك مع اختلاف في النوعية، وكان أي تفكير مبكر في الزواج يقابل من الأسرة أو من يماثلها بالرفض والضرب العنيف. (المترجم).

خادمة، فى المدينة، البندر، وفى مدن أخرى، بنادر أخرى، وهو ما نجم عنه أولادها الأربعة، كل واحد من أب مختلف، وألام فى مرافق الحوض، ونزلة شعبية مزمنة، وتقوس فى الظهر نتيجة مسح الأرضيات، وتلبس سينَّين بالذهب، وجه ناشف ممتصوص قبيح إلى درجة لا يكاد الإنسان يصدقها، وزوج شرعى هو الوحيد الذى تزوجته رسمياً، وهو موظف سابق فى السكك الحديدية أحيل إلى المعاش، ومن هذا الرجل بالذات لم تتعجب أولاداً، ولهذا كانت عينه تراقبها أكثر وهذا موضوع نتناوله بالحديث فيما بعد - وأصبحت وهى الأم تقوم بالخدمة داخل البيت الآن طول الوقت بلا انقطاع بظهورها المقوس الذى زاد تقوساً وألام مرافق الحوض والتزلة الشعُّبية الحادة التى استفحلت أشد مما كانت، وفضلت الشغل القاسى فى البيت على الشغل خارجه، من أجل الرجل الشاطر الحال إلى المعاش والذى أصبح زوجها، وما كان ليتزوجها أبداً بعيالها الأربعة، لو لم يكن نتيجة لمعاناته من ربو مزمن خبيث بحاجة إلى من يرعاه، بحاجة إلى هذه الأم التى قالت له «إيريش» بعد فترة من صمت بلية: أنت لا تستطيع أن تثال شيئاً، فإذا استطعت، فليكن ما هو أفضل، يا «إيريش». اخرج (من القرية) إلى المنطقة الواسعة المحيطة، كما خرجت أنا إليها ذات مرة، وهذا هو ما ساعدنى جداً فى التقدم فى حياتى، بالتحديد الوصول إلى موظف له معاش، وإذا كان الطريق وعراً فى بعض الأحيان، ساقنى إلى رجال

منافقين من أهل السوء، حملت نتيجة علاقات سيئة بهم ، فاخرج أنت لهذا السبب بالذات من هنا واذهب إلى حيث تجد الأفضل، الذي يوحى به شكلك الظاهري على أية حال، فأبوك كان إيطالياً، ستال سهولة زوجة ثرية، بشكلك هذا بشعرك الأسود الأجنبي، فشكلك هذا أحسن من شكل أهل البلد هنا بشعرهم الأشقر الذي يشبه لون الخبز الكايزر والذي قد يفتق فيصبح داكناً قذراً، بشكلك هذا تحصل سهولة على زوجة ذات مال، واحدة من النساء اللاتي كثيراً ما نسمع ونقرأ ونشاهد عنهن.

وسيعود علينا هذا نحن كذلك بالخير. والويل لك إذا لم يعد هذا علينا نحن كذلك بالخير!
لهذا لا تتزوج بتاتاً، فإذا اضطررت للزواج، فلا تتزوج من هنا، ابحث لك عن واحدة من مكان آخر، أفضل من هنا. وأنت في نهاية المطاف رجل، وتستطيع أن تحافظ على نفسك. أنت في نهاية المطاف رجل. احرص على شيء واحد، هو الا تثمر علاقتك بأمرأة طفلأً، فقد يكلفك ذلك مالاً كثيراً جداً، ومستقبلك، يا «إيريش». وإن لم يكن بد من هذا فلتكن امرأة ثرية، امرأة من المصطافات مثلًا. لهذا اخرج من هنا، إلى العالم الخارجي، ربما إلى البلاد الأجنبية، التي سمعت أنها هي كذلك موجودة، ورأيت الكثير من صورها الملونة الجميلة.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر التي يحتاج إليها في مرضه بالريو الحاد، وإلا أصيّب بنوبة

اختناق، ووقعنا نحن في المحظور. حذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر، فقد كان في السكك الحديدية ، وهذه رتبة عالية أعلى بكثير مما يستطيع أحد من هنا، كائناً من كان، أن يدعها لنفسه، وإنما بين يديّ وضع مني. سأحمل إليه توا قهوته، فيجدها جاهزة عنده عندما يستيقظ.

وحذار أن تزعج بابا عندما ينام نومة الظهر^(١)، التي يحتاج إليها في مرضه بنزلة الريو الشعبية الحادة، لأنه كان يعمل في السكك الحديدية، وأنه ضعيف جداً جداً، أضعف من أن يستطيع أن يضررك ضريراً مبرحاً، وأنا كذلك أضعف من أن أقوم بذلك.

صحيح أنك من سلالة أصيلة، فأنت أسمر البشرة يا «إيريش»، ولكنك لم تخترع ملح البارود. ولكن حدق على الرغم من ذلك فيما بعد مرة أخرى في صور البلاد الأجنبية، فلن يدرك ذلك، حتى وإن لم تكن تفهمها. ومهما كنت أصيل الجنس أسمر البشرة يا «إيريش» فما أقل ما في مخك.

بعد ذلك مباشرة لبس «إيريش» الپلوفر الجديد الذي اشتراه من كاتالوج محل البيع بالبريد،

(١) تكرار الجملة ثلاث مرات يدل على معاناة الأم المطحونة (وهي من قبيل «المعدنون في الأرض» على حد تعبير طه حسين) وخوفها على الحد الأدنى من الحياة الذي وصلت إليه، وهو على قسوته أفضل من لاشيء، وهي تحاول أن تبرز الجانب الشرقي في المحنـة وهو أن الرجل المريض الهالك الذي آتـت به إلى البيت كان يعمل في السكك الحديدية وهو شيء مرموق بالنسبة للطبقة المعدمة في القرية وهو يحصل على معاش يمثل دخلاً مضمونـاً. (المترجم).

والبنطلون البلوجينس الجديد من كاتالوج محل البيع بالبريد، والقميص الجديد الأبيض كالثاب من كاتالوج محل البيع بالبريد، وأخيراً أجمل شيء من كاتالوج محل البيع بالبريد: **الجاكتة الصوفية المزركشة المصنوعة من الصوف الحالص**. هكذا كان «إيريش» الطرد الحى الوارد من محل البيع بالبريد^(١).

وعندما يشعل «إيريش» ذو العينين السوداويين سيجارة، تبدو كأنما كانت دائمأً أبداً في وجهه، كأنما كانت تتتمى بدقة إليه، ولم تكن جسمأً غريباً في وجه (شخص من أهل القرية البيض) مرهق ملصق بالعرق مليء بالتجاعيد الفائرة ومن فوقه شعر أدقن بلون الخبز الكايزر أو رمادي بلون الفئران، كالصورة التي ما أكثر ما يراها الإنسان الآن.

طالما كانت «پاولا» طفلة كان «إيريش» يعاملها معاملة الطفلة فحسب. وعلى «پاولا» الآن أن تبين له بوضوح أنها لم تعد طفلة، بل إنها أصبحت امرأة بمعنى الكلمة.

ولقد كنا في وقت ما ذات مرة في الموضع الذي قلنا فيه إن «إيريش» دخل حجرة مطبخ أهل «پاولا» بالسيجارة البيضاء في الوجه الأسمر يعلوه الشعر الأسود والعينان السوداوان بلون الزفت، شيء شكله غريب وخطير مثل الفهد، أو قليل الشبه بالفهد.

(١) غالباً ما يدل الشراء من كاتالوج محلات البيع بالبريد على مستوى اجتماعي منخفض. (المترجم).

«باولا» قرأت ذات مرة عن رجال معينين يبدون في
محيط مألف مثل الفهد في دغل من الأدغال.
غريب وخطير ولطيف أمام العين والقلب.

وما كانت قط تصدق أنها هي ذاتها ستلتقي في
حجرة مطبخها المألفة ذات مرة رجلاً يبدو فيها مثل
الفهد خطير في دغل خطير. ولو أمكن أن يكون أحد
هكذا، فهو «إيريش»، الفهد. وهذه هي «باولا» تبحث
آنئذ في المجلة عن الفقرة التي فيها الفهد، وهاهي
ذى موجودة!

ولقد تعلمت «باولا» كذلك لغة إنجليزية. وكانت
أحسن واحدة في اللغة الإنجليزية وفي الحساب.
وكان ذلك جيدة في المواد الأخرى. ولكن هذا لا
يفيد الآن في شيء.

«إيريش» لم يتم المدرسة إلى نهايتها، وهو ما لا
تأثير له. والسبب أنه مثل حيوان مفترس جميل: فهد.
«باولا» تعرف أن «إيريش» كل شيء. وللهذا عليها
هي نفسها أن تصبح أكثر بكثير، وإلا سبقتها من هي
أكثر أو من هي أكثر كثيراً جداً. ولكن كيف؟ ولكن
كيف؟

«باولا» اللا شيء تتطلق حولها مثل الصاروخ، على
خط متعرج زجاجي، تعدد قهوة، وتحضر جاته
جو جله ويف^(١) كان أصلاً مخصصاً بحساب دقيق

(١) Guglhupf نوع من الجاتوه المعروف في النمسا وسويسرا وجنوب المانيا يصنع في قالب دائري (المترجم).

لبابا و«جيروالد» وحدهما ولهذا كان مخبأً حتى لا تمتد إليه أيدي آخرين. وستنهال على «باولا» الهجمة الكبرى من قذائف الرجلين اللذين تتملكتهما الخيبة لضياع الجاتوه قبل انتهاء اليوم، ولكن الجاتوه سيكون قد استقر في بطن «إيريش». وتحوم «باولا» بحركة مجنونة متدافعمة كالنحلة هنا وهناك. ويحاول «إيريش» بطريقته البطيئة المثاقلة أن يشرح أن «باولا» قد أصبحت ربة بيت حقيقة صفيرة.

وكانت «باولا» ذات مرة قد فضلت الخياطة على شغل البيت الأسوأ. وهاهى ذى تنفس ريشها فجأة كحمامامة بريء، وتهدل هنا وهناك، وتتنفس ريشها، وتتزين، وتسبل جفنها وتحمل كل ما تصل إليه يداها إلى «إيريش» الذى كان كل شئ ينفعه باستثناء إناء الماء المبارك.

و«إيريش» نهم أكول. يظل يأكل إلى أن يصاب بالإغماء. وليس هناك ما يهمه سوى الموترات، وتحديداً تلك المركبة فى الدراجة البخارية الموبيد، ومن قبلها الموتسيكل. و«إيريش» يتحرق شوقاً إلى الحصول على رخصة القيادة لكي يكون له أن يهتم بموترات أقوى، يوليها كل جبه الذى يخفيه فى سره، وتحديداً السيارات الرياضية إلخ. ولكنه رسب ثلاث مرات فى اختبار رخصة القيادة حتى الآن.

ومن الممكن أن تكون عائلته باتفاق الآراء قد قامت منذ صباح المبكر بطريقة منظومة بضرب مركز الموترات فى مخه وتحطيمه تحطيمًا لا إصلاح له.

لن يستطيع «إيريش» أبداً أن يسعد مرة أخرى سعادة غير محدودة. ستظل سعادة «إيريش» إلى الأبد محدودة.

أما «باولا» فلن تزال السعادة مطلقاً.

«إيريش» لا يهتم إلا قليلاً بالسينما التي تهتم بها «باولا» جداً، لأن كل شيء يجري في السينما بسرعة مفرطة.

وكذلك المصطافات يطرن من جديد بسرعة إلى مكان بعيد غير مأمون.

المكان البعيد خطير، والمكان القريب أليف يستطيع الإنسان أن يحبه بحق. لا يوجد في المكان القريب من «إيريش» شيء يمكنه أن يحبه. في المكان القريب من «إيريش» لا يوجد سوى «باولا».

لو خُير «إيريش» بين «باولا» وبين الموتوسيكل لاختار الموتوسيكل. حتى بالموتوسيكل لا يذهب «إيريش» إلا إلى القرية المجاورة ولا يجاوزها إلى مكان أبعد.

«باولا» تفصل القشدة عن اللبن حتى تصبح كريمة مضروبة، كريم شانتى. النساء في عائلة «باولا» مشهورات بالنظافة. وليس هناك شيء إيجابي آخر يذكر على سبيل التقرير عن النساء في عائلة «باولا» من أجل هذه السمة تستحق الحياة أن تعيش، فلا يزال إلى الآن من الممكن تحسينها: النظافة. هيا يا «باولا»، إلى التنظيف!

«إيريش» البطئ يجلس على الأريكة ويلتهم بشراهة وكأنه يأكل لثلاثة. كل شيء في البيت مخصص لبابا فقط. ويحشر الجاتوه في حلقة كفتي كاثوليكي يثبت المطران عقيدته، ويصب عليه قهوة وخمر الاشنبص^(١) من الدرج السرى. «إيريش» البطئ يزداد ضخامة فوق الأريكة على سعتها ويمتد مجاوزاً حدود الأريكة مثل النبات الهايش، يلتهم ويلتهم ولا يفكر في شيء آخر إلا في موتوراته، في دراجته البخارية التي تستطيع أن تسير بسرعة هائلة، وبخاصة عندما يكون قد عب شيئاً من خمر.

وهو لا يزال عاجزاً عن أن يفهم تركيب المотор والدراجة البخارية لأن القطع متربطة بعضها إلى البعض ترابطاً معقداً.

ومع ذلك يعلم «إيريش» بمتوسيكل أعظم سرعة، يعلم بالإحساس بقيادة المотовسيكل، بسرعة انطلاقه، بمotor سوبر، ولكن عندما يحدث عطل صغير في دراجته البخارية النيلة بستين نيلة^(٢)، يضطر إلى

(١) الاشنبص Schnaps نوع من الخمر المقطر البراندي الذي يحتوى على نسبة عالية من الكحول. (المترجم).

(٢) ليس من الضروري أسلوبياً استخدام كلمة براز ومرادفاتها المقرفة، وتؤدي المعنى على نحو قريب كلمات رفت وقطران ونيلة ومركياتها. والملاحظ أن كلمة Schei B = براز أو مايسشه في مستوى الدلالي تأتي كثيراً جداً في كلام السوقه والمنفعلين والغاضبين، في حين أن الدارجة المصرية قليلة ما مستخدمها وتستخدم بدلأ منها في الظروف نفسها نيلة وزفت وقطران وهباب وقرف وعرة إلخ. (المترجم)

الذهاب حالاً إلى صديقه وهو خبير ، وهو يعمل كذلك في قطع الخشب، ولكنه عبقرى في قطع الخشب، فيصلح له العطل في مقابل بضعة أقداح بيرة. تلك موهبة بائرة في قطع الخشب.

وأحب أمنية إلى قلب «إيريش» أن يفك دراجته البخارية قطعة قطعة وأن يركبها من جديد فيجعل منها سيارة سباق.

«إيريش» يأكل جاته ويشعر بما يشعر به بابا يوم الأحد، «إيريش» يفكر في دراجته البخارية التي يمتلكها، ودراجته البخارية التي سيمتلكها ذات مرة، لكي يستطيع عندئذ أن يفكر في سيارة. وأن يفكر في السيارة التي يفكر فيها لكي يستطيع ذات مرة في وقت ما ذات مرة في المستقبل أن يفكر في سيارة رياضية^(١) تلك السيارة التي يستطيع من الآن أن يقرأ عنها ويرى صورها كثيراً جداً.

هل أتى الحب اليوم إلى «باولا» اليوم، على الرغم من ذلك، أم بالضبط بسبب ذلك؟ «باولا» تقول للحب، تفضل اجلس ، ويتلقى الحب تواً قهوة باللبن. ولكن الحب لا يجلس طيباً، بل يمسك «باولا» بمخالبه، كيف تكون النهاية؟ ذلك سؤال وجهته «باولا» إلى نفسها، أما «إيريش»، المجنون بالموتورات، فلم يوجهه إلى نفسه.

(١) المقصود بالسيارة الرياضية سيارة بمقعدين ومحرك قوي وسقف مفتوح. (المترجم)

أملى في الحياة الأفضل، كان هذا أمل «باولا» كما تكرر من قبل كثيراً.

أملى بأشد ما يمكن، إلى أبعد ما يمكن، كان هذا أمل «إيريش»، وألا يتم ذلك يقيناً سيراً على الأقدام، كان هذا أمل «إيريش».

كان مرة أخرى عناقاً جميلاً

نعم لقد كان مرة أخرى عناقاً جميلاً....، هذا هو رأى «هابنتس». يمسح على فمه، ويمشط شعره، وينظف حاجبيه وأذنه من الداخل وأنفه ويفسل يديه ويشرب قهوة الإفطار ويخرج من البيت ليمارس مهنته. وعلى التو عندما يخرج من البيت يدخل في ضفت حياة المهنـة، في عالم الأسلام المفعـم بالأسرار الأسلامـك التي لا تفهم منها «بريجـيـته» شيئاً.

في هذه الأثناء تتبع «بريجـيـته» قدرها كامرأـة الذي هو أخف وأبـسط من القدر كرجل.

تفتح دولابـها، وتخلـع عنها الجونـيلاـلا والبلـوفـر وتلبـس مـريـلة من القـطنـ، مـلوـنة وـنظـيفـة وـأنـيقـة وـمهـيـأـة لـتحسينـ جـوـ العملـ، وإـدخـالـ قـلـيلـ من اللـونـ فـيـ رـمـاديـ وأـسـودـ الـآـلاتـ الـكـثـيـبـ. تـاتـشـاتـ لـونـيـةـ مـرـحةـ: أـشـعةـ شـمـسـ. بـعـدـ أـنـ تـحسـنـ «برـيجـيـتهـ» جـوـ العملـ وـتسـوـئـ فـيـ أـشـاءـ ذـلـكـ حـالـتـهاـ هـىـ، تـدـسـ قـدـمـيـهـاـ فـيـ الصـنـدـلـ

الصحي الطبيعي لكي تبقى القدم سليمة صحياً عند العمل ولا يعتريها المرض كما يعتري بعض الأقدام. لكن المرض لا يصيب «بريجيته»، فهى تأخذ نفسها بالوقاية.

عندما يملك الإنسان معرفة بمواضيعات علمية مثل الصحة، يستطيع أن يمنع الكثير، حتى الأمراض. كذلك كل زميلاتها يلبسن هذه الصنادل الصحية، فهن يفعلن شيئاً من أجل صحة أقدامهن. والصنديل الخشبي محبوب في هذه الدائرة.

وهاهو ذا عمل «بريجيته» على خط الإنتاج قد بدأ قبل أن تستطع أن تنظر بوضوح. والعمل على خط الإنتاج يترك لـ«بريجيته» أنوثتها، ولأن المؤسسة نسائية موظفوها (العاملات) كلام تقريراً نساء، فليس من الصعب الحفاظ على النظافة. الفنصر المذكور الوحيد قاصر على الوظائف العالية التي لا يراها الناس والتي لا يستطيع شاغلوها أن يفسدوا النظافة النسائية.

في المؤسسات التي يغلب على القوة العاملة فيها الرجال يحدث أن يوجد على الأرض هنا أو هناك شيء قبيح دون أن يقوم أحد بمواجهته بعمل شيء على الفور. في هذا المصنع لا يوجد على الأرض إلا أشياء جميلة، ربما قطعة دانتيللا أو خط بلون السلمون الوردي، وحتى هذه الأشياء تزال على الفور.

فـى الحقيقة لا يوجد أى شـىء قـط عـلـى الأرض.
وـحدـث قـبـل هـذـا وـلا حـرج عـن المـواـئـد فـى المـقـصـفـاـ هـنـا
أـيـضاـ فـى كـل مـكـان مـيـزـات النـظـافـة: المـواـئـد ذاتـها
نظـيفـة جـداـ حتـى إن الإـنـسـان لـيـسـتـطـيع أـن يـتـناـول
طـعـامـه مـن فـوـقـها مـباـشـرة (دون حـاجـة إـلـى صـحـونـ).
الـنـسـاء وـالـبـنـات يـتـافـسـنـ، مـن تـسـبـق إـلـى اـكـتـشـاف بـقـية
مـتـسـخـة مـن تـرـاب أو بـقـعة، فـتـتـحـاشـى العـامـلـات عـلـى
الفـور بـقـعة أو يـكـنـ قد تـحـاشـينـها قـبـل أـن تـشـأـ.

أـحـيـاناـ تـصـلـ الـحـال إـلـى أـن يـصـبـحـ منـ الضـرـوريـ
إـزـالـة بـقـعة قـهـوة مـن فـوـقـ قـرـصـة مـائـدـة مـنـ الفـورـمـايـكـاـ،
فـيـحـسـ الجـمـيعـ بـعـدـ ذـلـكـ بـالـارـتـياـحـ.

إـذـا حدـثـ أـن مـرـ مـصادـفـةـ موـظـفـ قـيـادـيـ لـمـ يـمـرـ هـنـاـ
مـنـ قـبـلـ قـطـ ، تـكـونـ بـقـعةـ قـدـ لـفـطـتـ أـنـفـاسـ حـيـاتـهاـ
الـقـصـيرـةـ مـنـذـ حـيـنـ.

كـذـلـكـ سـكـرـتـيرـةـ مـكـتبـ المـديـرـ إـذـا مـرـتـ هـنـاـ بـطـرـيـقـةـ
المـصـادـفـةـ لـاـ يـصـحـ أـنـ تـرـىـ بـقـعةـ لـأـنـهـاـ تـعـرـفـ الـبـقـعـ حـقـ
الـعـرـفـ، وـيـدـوـ أـنـهـاـ لـمـ تـعـمـلـ أـيـ بـقـعـ قـطـ.

وـالـسـكـرـتـيرـاتـ كـثـيرـاـ مـاـ يـكـونـ لـهـنـ هـوـاـيـاتـ. مـنـهـاـ
الـرـحـلـاتـ وـالـرـفـقـسـ وـالـتـجـولـ وـالـسـيـنـماـ وـالـأـعـمـالـ
الـيـدـوـيـةـ.

وـالـرـجـالـ الـذـيـنـ يـعـرـفـونـ الـخـيـاطـاتـ لـاـ يـهـتـمـونـ
لـلـأـسـفـ، عـلـاوـةـ عـلـىـ عـمـلـهـمـ، إـلـاـ بـكـيـفـ يـسـتـرـيـحـونـ مـنـ
الـشـفـلـ. فـلـيـسـ لـدـيـهـمـ هـوـاـيـاتـ. وـكـثـيرـاـ مـاـ يـكـونـ لـهـمـ
هـوـاـيـاتـ رـدـيـةـ لـاـ يـشـرـكـونـ مـعـهـمـ أـسـرـهـمـ فـىـ مـمارـسـتـهـاـ.

ولا يعرف أحد شيئاً عن الأشياء التي يهتم بها
رئيس المبيعات، والمدير ورئيس الدعاية والمدير الفني.

ولا أحد يعرف بالضبط ماذا يعملون. فالسادة
ليسوا من هنا.

على خط إنتاج السوتيانات لا يمكن إلا بصعوبةٍ أيّ
صعبية أن يكون للإنسان اهتمامات غريبة على خط
الإنتاج، لأن الإنسان لا يعرف أصلاً كنه الاهتمامات
الموجودة. إنه لا يعرف إلا أن شخصاً أو عدة أشخاص
لديهم اهتمام بأن يتحرك خط الإنتاج.

حتى إذا عرف الإنسان أن هناك شيئاً آخر له
وجود غير العمل والعمال الرجال، فلا بد بادئ ذي
بدء من أن يصل الإنسان إلى الفكرة القائلة بأن الآخر
الموجود يمكن أن يكون موجوداً من أجل أنا نفسي
وليس دائماً فقط من أجل الآخرين.

على أية حال فهمت «بريجيت» كواحدة من
القليلات أن هناك شيئاً يتتجاوز العمل إلى حد
بعيد. عرفت «بريجيت» بالمصادفة أن هناك شيئاً
أكثر من مجرد العمل، أكثر بكثير، إلا وهو:
«هاينتس».

عرفت «بريجيت» بالمصادفة إذن أن هناك علاوة
على العمل الذي لا تريده ، وعلاوة على الزميلات
اللاتي لا طاقة لها على احتمالهن، لأنها في الحقيقة
لم تعد واحدة منهم، ولا تستطيع إطلاقاً أن تحتملهن

لأن هؤلاء الزميلات ما زلن قائمات على اعتبارها واحدة منهن، وهي لم تعد كذلك منذ زمن طويل، بفضل «هاینس» الأفضل، بل الأفضل إطلاقاً، عرفت «بريجيت» بالمصادفة إذن أن هناك في الحياة علاوة على العمل، والشغل وتفجير اللبس من أجل العمل، وإعداد القهوة، والعمل إلخ أيضاً الشخص الواحد، الوحيد، الذي سمم لها كل هذا تسمياً كاملاً شاملأً، وكرهها فيه، بطريق المصادفة عرفت «بريجيت» «هاینس». «هاینس» وما تلاه.

الأفضل - «هاینس». لا يمكن الإنسان أن يعرفه إلا مصادفة، عندما يكون في موقف «بريجيت» التائه كلياً وجزئياً، يجلس إلى خط الإنتاج.

الأفضل - «هاینس» - لا يمكن الإنسان أن يناله كذلك أيضاً إلا عن طريق مصادفة لا يصدقها العقل، عندما يكون في موقف «بريجيت» التائه، يجلس إلى خط الإنتاج.

هل سترحم المصادفة «بريجيت»؟

بينما تحرك «بريجيت» أصابع قدميها في الصندل الصحي لكي تحافظ بنفسها عليها سليمة ونضرة من أجل «هاینس»، تنظر دونها من علو يتخلله النسيم إلى العاملات في الخياطة مغها، وهي في عقلها يفصلها عنهن بعد لا يستطيع أحد تجاوزه: «بريجيت» سيدة الأعمال.

الأخريات اللاتي لا يرون الأعمال إلا من الداخل، ولا يرونها إذ ذاك إلا عندما يشترين أكل الأطفال لعيالهن أو سجقاً لا يتلف^(١) من أجل أزواجهن^(٢).

و«بريجيتة» التي ستمتلك من خلال «هاینتس» محل الأشغال الكهربائية تعرف أن الملك يمكنه أن يرهق الإنسان، كما يمكنه أن يفرجه. على أية حال ستعرف «بريجيتة» عدئذ من أجل من ستهلك نفسها في العمل، تحديداً من أجل نفسها و«هاینتس»، لا من أجل جمهورة سخيفة وغريبة ولا اسم لها كما هي الحال هنا.

الشيء الذي تملكه هو الشيء الذي تملكه. الملك.

إلى هذا بعد النائي، إلى هذا بعد الجنوني يمكن أن تحلق أفكار «بريجيتة» في بعض الظروف!

«هاینتس» يفكر في كل الأشياء الممكنة، ولكن أقل ما يفكر فيه هو «بريجيتة».

«هاینتس» يفكر في نفس الأشياء التي تفكّر فيها «بريجيتة»، أي في محله الذي يكون ملكه.

(١) نوع من السجق يصنع من اللحم النئ والشحم والملح والتوايل ويعالج بالدخان والتجفيف ليقاوم التلف، ويفضله كثيرون ليس فقط لطعمه ولكن ليزاته الاقتصادية.
(المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية Männer لا يمكن في كل الحالات تحديد ما المقصود بها : الأزواج أم الرجال. (المترجم).

«هاینتس» يأمل فى ألا تكون للعلاقة بـ «بريجيته» عواقب. عندما يفكر «هاینتس» فى «بريجيته»، فإنه لا يفكر فيها ذاتها، وإنما فى العواقب الممكنة. «هاینتس» يزن «ب»^(١) فى مقابل عواقبها.

«بريجيته» تأمل فى أنه لابد من أن تكون للعلاقة بـ «هاینتس» عواقب.

لا بد من طفل! رضيع، دودة مقززة بيضاء متشبكة. بالنسبة لـ «هاینتس» سيكون الكلام بسيطاً وموجزاً: طفلنا! من شأنه أن يجسم الرباط الدائم الذى تسعنى إليه «ب».

«هاینتس» يسعى بكل الوسائل إلى منع أي رباط دائم. فى رأى «هاینتس» أن الطفل سيكون جلة ثقيلة تشنل الساق، حجرة مانعة للحركة، صدادة ضخمة فى طريق تطوره الواعد فى اتجاه : مقاول.

«بريجيته» تريد أن تحمل وأن يبقى الحمل فى أحشائهما «هاینتس» يلزم المهدوء وهو ليس أخف الناس وزناً

ولدى «هاینتس» دائماً إجابة سريعة البديهة جاهزة. «ريجيته» تفكر مرة أخرى فى مستقبلها. لعل المستقبل يلهى عن الحاضر المقزز....^(٢) (الحب يتلاشى ، ولكن الحياة تبقى.

(١) اختصار «بريجيته». (المترجم)

(٢) الأربع نقط تدل على مواضع تصرف فى الترجمة (المترجم)

الحب وحده هو الذى يجعلنا نعيش !

لا ترى «پاولا»، كما نستتتج من هذه الكلمات المتعجلة التى تسبق حينها، فى الخياطة - التى هى الأفضل الأفضل - مجرد إمكانية للبقاء على الحياة، بل إن «پاولا» ترى الآن كذلك فى الحب إمكانية حياة. لاح لها كأن عليها أن ت سابق الآخرين والآخريات عدواً مسافة طويلة، مسافة تفص بالحفر العميق، وكلهن يقعون فى الحفر ويضيعن فيها كالكرات فى لعبة البلياردو: أخواتها ومعهن أولادهن والأصابع المقطعة، وأخوها الذى سيكون له قريباً أولاد وعنده الآن أصابع مقطعة، وأم «إيريش»، التى لها الكثير من الأولاد، ومن العجيب فى حالتها أن بعض الأصابع لا تزال موجودة، كلهم يقعون فى الحفر ويتشلشلون من المشهد الذى يجرى فى الواقع.

أما هى «پاولا» فتتفادى الحفر بشجاعة! والعاقبة فى نهاية الطريق هى الارتماء فى ذراعى «إيريش» وهى دقات أجراس الفرح من ناقوس الكنيسة.

نهاية الخِيَاطة، بداية أكثر الحياة واقعية، حياة بالغة الواقعية ليس هناك واقعية تفوقها. ليس هناك إلى حين ما يدعو الإنسان للتفكير في الموت؛ لأن الموت أمامه وقت طويل حتى يأتي، إذا كانت الحياة صحيحة وواقعية. أما إذا عاش الإنسان حياة غير صحيحة وغير واقعية مثل ماما أو بابا اللذين يُولدان فقط ويشرعان في العمل الشاق لا أكثر، وما يلبثان أن يموتا دون أن يحسا بواقع الحياة الواقعية، إلا عندما يعيش الإنسان هذه الحياة غير الواقعية وغير الصحيحة، حياة العمل التي لا يفNM منها الإنسان شيئاً، ثم يموت الإنسان ميتةً واقعيةً ودائمةً الأثر. ويحدث ذلك في بعض الأحيان بسرعة هائلة حتى إن الإنسان ليظن في النهاية، أن شيئاً لم يكن.

وهذه «باولا» تعتبر الخِيَاطة فجأة عدوتها الطبيعية. ومن حسن الحظ أنها لم تدخل معها بعد في علاقة متنية لا انفصام لها تضطرها إلى أن تظل لصيقة بها. ومن حسن الحظ أن الخِيَاطة شيء يستطيع الإنسان في أي وقت أن يرميه وراء ظهره ويتخلص منه. ومن حسن الحظ أن الخِيَاطة لا تمسك الإنسان من رقبته ولا تعلق بموضع آخر منه دون ما فكاك، كما يفعل أناس لا بصيرة لديهم أحياناً، وكما تود «باولا» أن تفعل مع «إيريش». من حسن الحظ أن الخِيَاطة ليست كل شيء، بل الحب والبيت الخاص الذي على الإنسان أن يبنيه.

«پاولا» تريد «إيريش» الذى ستثاله، والذى ستتجنب له طفله، وفى أعقاب ذلك ستترك مهنتها لكي تتجنب أطفالاً آخرين من «إيريش»، أى تتجنب لـ «إيريش» طفلاً آخر.

و«پاولا» لا تقال شيئاً هدية.

قبل أن تقال «پاولا» شيئاً هدية، تفقد على الأرجح كل شيء.

وستحصل «پاولا» بعد ذلك أيضاً على سيارة، وفى مقابل ذلك ستحصل «إيريش» على «پاولا»، وليس هذا بالكثير، ولكن لا ينبغى أن يعرف «إيريش» ذلك، بل المستهدف أن يعتقد أن ذلك هو أكثر ما يستطيع الحصول عليه.

ولابد بداهة من أن يغير الإنسان «إيريش» قليلاً، إلى أن يستطيع الحظ أن يأتي وأن يدخل دخوله المهيوب: على «إيريش» أن يكف عن شرب الكحول كلياً؛ لأن شرب الكحول أسوأ شيء^(١)، فهو يمس شخصياً أثاث المطبخ المطلى باللакيه الأبيض وأثاث حجرة النوم الجديد المصنوع من خشب البندق وينصب عليه. الكحول والأثاث الجديد شيئاً متضادان بحكم الطبيعة، غرماء طبيعيون. وكذلك الكحول والمرابل التى صنعت على هيئة فساتين نظيفة معتنى بها،

(١) فى أكثر من موضع توجه يلينك نقداً عنيفاً لشرب الخمور واعتبارها إدماناً. وهى هنا تصف جانباً من مساوى إدمان الخمور من منظور امرأة بسيطة، مفرمة بالنظافة، وهذا الجانب هو القىء وما ينجم عنه من توسيخ كل شيء. (المترجم).

والتي لا يصح أن يتقيا عليها أحد، والأحذية البيضاء التي تلوح كأنها صنعت من الجلد الطبيعي وماهى من الجلد الطبيعي ولكن لا يصح على الرغم من ذلك أن يتقيا عليها أحد، والأطفال البنات لابسات الفساتين الملونة، والنباتات فى الأصص، والتاليفزيون ومن فوقه زهرية من البلاستيك فيها زهور من المواد الصناعية، كل هذا فى ناحية والكحول فى ناحية، والستائر المصنوعة من فتائل صناعية شفافة فى ناحية والكحول فى ناحية، والمنسوجات التى لا تكون فى ناحية والكحول فى ناحية، هذه كلها أعداء فى الطبيعة التى تتلاقى فيها أعداء.

كل الأشياء البيضاء واللينة تسجم معاً فى رأس «باولا»، أما الكحول فلا ينسجم معها. الكحول يزعج وبهدم.

ولا يحق للإنسان أن ينسيه المستقبل التفكير فى الحاضر. وإنما يجوز بطبعية الحال (وهذا خطأ جسيم!) ألا يجعل الحاضر الإنسان يغفل عن المستقبل تماماً.

لم يعد حاضر «باولا» هو الخياطة، بل حاضر «باولا» هو حبها لـ «إيريش» الذى سيكتفى علاوة على ذلك المستقبل كله.

ولما كان الحب إذن هو الحياة الواقعية، فلا بد من أن تغير حياة «باولا» الحاضرة غير الواقعية بحيث تصبح واقعية ومليئة بالحب. ويتم التنفيذ على النحو التالى:

أنت رأيت، يا «إيريش»، مراراً في السينما أن من الممكن أن تنشأ بين أشخاص غير عاديين أشياء غير عادية من قبيل حب غير عادي على سبيل المثال. وما علينا إذن إلا أن تكون غير عاديين وأن ننظر ما سيحدث. والعاديون هم من الناحية المقابلة من ليس لديهم ما يفعلونه إلا أن يعملوا ويعملوا. غير العاديين هم نحن الذين ليس لدينا ما نفعله إلا أن نعمل ونعمل، ولكننا أيضاً نحب بعضنا بعضاً. لم يعد علينا أن نبحث عن شيء غير عادي؛ لأنه لدينا من قبل، إلا وهو: حبنا.

والحب لا يأتي أحياناً إلا مرة واحدة فقط في الحياة. فإذا لم يق卜ض الإنسان عليه بكلتني بيديه، أصابه نك شديد، مثلاً عندما ترحل المرأة العاشقة أو الرجل العاشق إلى بلاد غريبة يتوجه فيها. الحب هو استثناء مما جريه الإنسان وناله في العمل أو البيت. ليس لدينا شيء غير ذلك.

أما الحب فهو لدينا. فتشتبث إذاً بالسعادة! في هذه اللحظة، كما في كثير من اللحظات قبلها، يفكر «إيريش» في غطاء الاسبراتير والكريبراتير والشكمان تلك القطع التي لا يستطيع على أية حال أن يفكها، ثم يفكر بعد ذلك مباشرة دون أدنى فسحة من وقت، على الرغم مما في ذلك من جهد، في ظاهر الشيء في مجموعه: في الكاروسيري وعجلة القيادة والقيادة.

أما «باولا» فهى تفكك لاثنين وتستمر مباشرة فيما يشبه الحلقات المتتالية، فلم تعد تفكك فى الحب وفى هذا الذى يحدث فى الجسم وبالنالى يغيره، وإنما فى المسكن الجديد والأولاد ومائدة بعد الظهر بالقهوة وال الكريم شانتى من أجل الآخرين الذين يجب أن يرثهم الإنسان شيئاً.

أحياناً (نادراً) يفكر «إيريش» كذلك فى الكراسات المكتوبة كتابة معقدة عن الحرب العالمية الماضية. عن كثير من الأحداث التى وردت فيها ولم يعد العديد من الناس اليوم يعرفون عنها شيئاً. نفسُ التاريخ يلمس «إيريش». نادراً ما يفكر «إيريش» فى نساء.

«إيريش» لا يفكر فى «باولا» أبداً، إلا إذا اضطر إلى ذلك؛ لأنها عندئذ تكون موجودة.

«باولا» تفكك فى ابنها الناعم كالقطيفة. «باولا» تفكك فى غرفة بيضاء فى مستشفى. «باولا» تفكك فى أسرتها القديمة التى لا تناسب حياة «باولا» الجديدة وليس لها مكان مناسب فيها إلا على أقصى تقدير فى غرفة بيضاء فى مستشفى يأتون كزوار ويلبسون أحسن ملابس أيام الأحد. وأجمل شيء تستطيع «باولا» أن تفكك فيه هو كيف ستندم أسرتها على الضرب المبرح الذى انهالت به عليها فى حياة أسوأ.

عندما ستكون الصور الفوتوغرافية قد تم تصويرها، ستغادر الأسرة حجرة المستشفى كما جاءت

وكانها رجل. وبعد ذلك مباشرة سيقدم «إيريش» ورداً أحمر لن يكون حلماً أو غثاءً ، بل حلماً أصبح حقيقة. ومن الطبيعي أن يكون هناك حسد، وأنه سيهنا^(١).

وهناك إذن كما نرى اختلافاً كبيراً بين حاضر «باولا» ومستقبل «باولا»، وكذلك بين حاضر «إيريش» ومستقبل «إيريش»، وأيضاً بين حاضر «باولا» وحاضر إيريش، وكذلك بين مسافة قبل «باولا» ومستقبل «إيريش»، بل هناك اختلاف أكبر بين حاضر «باولا» ومستقبل «إيريش» وبين حاضر «إيريش» ومستقبل «باولا».

كيف يستطيع الإنسان أن يساوى . يوائم . بين هذه الأحداث ذات القيمة العالمية .

هنا يبدأ العمل الذي يكون على إنسان ما أن يؤديه، ثم يستولى عليه إنسان آخر ويمتلكه. وهنا يبدأ العمل الذي على الإنسان الآخر أن يؤديه ثم يستولى عليه الأول ويمتلكه. أما أن الاثنين يعملان في نفس الوقت ثم يجنيان بعد ذلك منه الربح بالتساوي، فهذا شيء لا يؤخذ في الاعتبار في هذه الحالة. فالمواقف مختلفة أشد الاختلاف والأرباح والخسائر تتوزع بتفاوت أشد التفاوت، ذلك لأن «إيريش» قياساً على ميزاته البدنية وعلى جنسه محظوظ إلى أبعد

(١) الحسد سياتي للتهنئة. سبق أن نوهنا بطريقة الأنسنة أى جعل المفاهيم كالبشر تتعرك وتتكلم. فليس الحсад هم الذين يأتون للتهنئة، بل الحسد على هيبة ناس. (المترجم).

الحدود. ويرجع ذلك إلى قوة «إيريش» البدنية ومظهره الذي تعجب به وخاصة النساء اللاتي يقع عليهن الاختيار.

«إيريش» شئ^(١) مثل والد «باولا» أو أخي «باولا» أو زوج أخت «باولا»، شئ يوزع الضربات المبرحة ويعب الكحول حتى السكر، وإن لم تتح له حتى الآن الفرصة إلا نادراً لأنه حتى الآن يُضرب ضرباً مبرحاً فحسب؛ أما عندما تتح له عما قريب فرصة، أى تتح له امرأة، وهو ما لا يعرفه بعد، (فسيمارس الضرب المبرح).

الضرب المبرح ممتع، وهذا ما لا يعرفه «إيريش» بعد.

«باولا» على العكس. أما «باولا» فعلى العكس عانت كل سلبيات شكلها وجنسها. و«باولا» لا تعتبر جميلة، وهي صفة لابد أن تتصف بها المرأة، ولكنها تعتبر نظيفة مستطيبة.

والنظافة والاستئناف يمكّنهما أن يرفعا قيمة الإنسان المرأة، ولكنهما لا يحدثان ذلك بالضرورة حتماً.

في حين أن الخياطة لا ضرورة لها، ولا تتصل بالموضوع هنا، وليس لها أن تذكر قط، وهي على أية

(١) نلاحظ هنا تشبيه أناس من البشر تسخر منهم يلينك لأنهم يقومون بأفعال وتصورات تتفاف مع الإنسانية، وأبرزها عب الخمور حتى السكر والضرب المبرح، وهيمنة الذكور على الإناث، واستغلال الصغار أسوأ استغلال، ومن هنا تتحدث الأدبية عن هذا الشيء لا عن هذا الإنسان. (المترجم)

حال ستخفى وشيكاً فى هوة سحقيقة، ولن يحسب لها بعد ذلك حساب، فى حين أن هذه الخياطة إذا تافهت كل التفاهة مقارنة بالحياة والحب فيها، بينما هذه الخياطة لا معنى لها أساساً، ولا يمكنها أن تحل محل رجل ، ولا أن تهين امرأة لزوج قادم، ولا تغيد امرأة ما بشئ إذا كان لها زوج، فلا تأتى بها بزوج إذا هي احتاجت، فى حين أن الخياطة لا تجعل امرأة سعيدة ، وهو ما يتحققه رجلٌ فقط.

«پاولا» لن تكون لها عن طريق تعلم الخياطة قيمة. ولكنها عندما تكون دائمًا نظيفة، تزيد قيمة، توشك أن تصبح جميلة، وهو ما لابد منه لكي تعيش الحب. كان من الممكن أن تتمتع الخياط «پاولا»، ولكن الواقع سنته الجد.

رجلة «إيريش» وجماله ومكاسبه من حيث هو عامل خشاب فى مقابل أنوثة «پاولا» وقبحها، ولكن نظافتها. فى مقابل أجر الصبية المتدرجة الذى تحصل عليه. حب «إيريش» للموتورات السريعة من كل الأنواع فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للكحول فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» لمغامرات الحرب العالمية الثانية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش». حب «إيريش» للدراجات البخارية السريعة والسيارات الرياضية فى مقابل حب «پاولا» لـ «إيريش» ولبيت خاص. حب «إيريش» للسرعة فى مقابل حب «پاولا». للحياة ولـ «إيريش». وكلاهما شئ واحد بالنسبة لـ «پاولا».

في أثناء النزهة تمسك «بريجيته»

(في أثناء النزهة تمسك «بريجيته») يد «هайнتس» على نحو مفعم بالحب وعامد إلى الامتلاك. في كل دقيقة فراغ لا تتمي مصادفةً إلى العمل، تحاول «بريجيته» متظاهرة عليناً بالحب والهيام أن تمسك يد «هайнتس» وتضطر أحياناً أن تجري بجانبه الساعات الطوال لكي تناول مرة فرصة أن يعطيها يده. عندئذ تمسكها مبسوطة كل البساط حتى إنها لا تطبع عليها قبلة.

ومسك اليدين قبل كل شيء آخر مهمًا، عندما تكون نساء آخريات حاضرات يظهرن فجأة جامدات للخطر الذي تجسد واكتسوا لحمًا. بحیاء تتدس صفيرة متلصصة في يد «هайнتس» وتتحدث عن الجو أو وضع العالم أو عن الأكل أو عن الطبيعة.

«هайнتس» يتظاهر أحياناً مباشرة كأنما لم يكونوا هو و«بريجيته» إنساناً واحداً، وإن كانوا هكذا. ألا يرى

هؤلاء النساء أنتا في الواقع واحد، أصبحنا واحداً، لا نفصل، هذا ما تتساءل عنه «بريجيته» مدهوشة، عندما يعتبر نساء آخريات «هاينتس» جسماً خاصاً وروحاً خاصاً.

عندما يعتبر نساء آخريات «هاينتس» شيئاً لا يزال من الممكن الحصول عليه، على الرغم منه لم يعد من الممكن نيله؛ لأن «بريجيته» قد حصلت عليه، فهو لقاء النساء على غير حق وهن ضالات. لكل ماله.

ووقد الفراغ إن خلا من «هاينتس» لا يمكن أن يكون وقت فراغ. والعمل بدون «هاينتس» يكون مليئاً بالأخطار لـ«هاينتس» وـ«بريجيته». والعمل بدون «هاينتس» عقبة في الطريق إلى «هاينتس».

لا نكاد نصدق كم يستطيع إنسان أن يكره إنساناً. لا تحتاج «بريجيته» إلا إلى أن تنظر إلى «هاينتس» فإذا هي تكرهه من جديد.

«بريجيته» تكره «هاينتس» لأسباب كثيرة منها أنه يصعد في داخله شعوراً جسدياً حيال «بريجيته» في الوقت الذي تود فيه «جيتي»⁽¹⁾ أن تتكلم على سجيتها عن مشكلاتها النفسانية، التي تجر وراءها بيتاً صغيراً بحديقة. دائماً عندما تود أن تقلب ما في أعمق أعماقها إلى الخارج وأن تتفقىأ كل الكلام المأثور عن السعادة والمستقبل ورعاية الرضيع والفالسات الكهربائية، يتصرف «هاينتس» كما لم يكن له مخ، بل فقط.

(1) «جيتي» صيغة تدليل من «بريجيته». (المترجم)

ألن يرى «هاینتس» في «بريجيته» إلا مجرد جسد
وألن يرى كل التّنوع الذي يكمن وراءه؟

لقد أجهدت «بريجيته» حروب وأزمات دولية لكي توضع أن الإنسان يحتاج بالضرورة إلى إنسان آخر يعينه بدوره على التغلب على كل هذا الذي يتعرض له.
و«بريجيته» تفكّر، رياه لكم أكره «هاینتس» لهذا السبب.

«هاینتس» مسرور لأنّه وجد في النهاية إنساناً يقهره. ما يكاد «هاینتس» يلمع «بريجيته» حتى يتهيأ ويأخذ وضع الاستعداد. وبينما «بريجيته» لا تزال تشرح له أنها تحبه وأنّها في الوقت نفسه تحس بشيء من الاحترام حيال نجاحه في مهنته، وبينما «بريجيته» لا تزال تهيئ بآفكارها عن الحب والاحترام إلى حفل القران وتتجدد البيت، وقبل أن تأخذ أهيتها، يكون «هاینتس».... قد اقترب

.....

«بريجيته» تكره «هاینتس» كرهًا شديد العنف.

....

«بريجيته» تدع «هاینتس» يعتقد أنه كارثة طبيعية.
«هاینتس» يزفر كذلك حتى ترى «بريجيته» كم يبذل الجهد من أجلها وكم هو قوى.
«هاینتس» يزفر عن قوة لا عن حب.

في الحب يفهم «هاینتس» القليل من الم Hazel، أما

فى القوة فلا يعرف هزاً. عندما يكون للإنسان محل عمل خاص، يكون عليه أن يعتمد على نفسه وحده، أقصى ما يقبله أن يكون هناك آخر يشارك فى البداية برأسما (للانطلاق).

فى الحب لا تفهم «بريجيٰته» هزاً. أكثر الأشياء جَداً تلك التى يمكنها دون رأسما انطلاق أن تعملا من أجل محل عملها الخاص.

«بريجيٰته» لا تعلق على الحب إلا أملاً غامضاً

«بريجيٰته» تقول لـ «هاینتس» جميل أن يكون الإنسان معك، حتى إن الإنسان لا يضيره أن يموت. أما فى أثناء العمل فأننا لا أود على أية حال أن أموت، يا «هاینتس»، وإذا لم يكن من الموت فى العمل بُدّ، فليأت على الأقل قبل العمل.

فضيلات «پاولا»

«پاولا» تفضل الحياة و«إيريش». الاشان عند «پاولا» شيء واحد. فلندخل في الموضوعين!

عندما يبرح «إيريش» أخيراً الحجرة المطبخ النظيفة عند والدى «پاولا»، وفي قلبه موتورات، وفي معدته جاتوه جوجلهايف وخمر الأشنپص، ورأسه خاوٍ ليس بداخله شيء لأنه أبلغ كل ما كان عليه أن يبلغه، لم يعد يذكر على الإطلاق أي شخص من الأحياء، لم يعد يذكر «پاولا»، وإنما كانت لديه ذكري مهوشة عن امرأة عملت معه كل ما كانت النساء يفعلنه معه دائمًا، أي أعطته طعامًا أكله، ثم أعطته طعامًا أكله، ثم أعطته طعامًا أكله، وخدمته أكمل خدمة، وكأنه تمثال قديس يضع الناس أمامه أصص زهور. ولهذا لم تكن لديه ذكري عن إنسان ما، بل ذكري عن آثار ما فعله هذا الإنسان، ألا وهي دفء لطيف في المعدة من خمر الأشنپص وتجمة حلوة في المعدة أيضًا، من الجاتوه.

كذلك القهوة لم يكن بها بأس، فقد كانت من البن الأصلي.

كل هذا بالنسبة إلى «إيريش» منفصل تماماً عما يفعله دائماً مع المصطافات، اللاتي هن بالنسبة إليه أشخاص حقيقيون أحياء؛ لأنهن يستطعن دائماً أن يخترن بين إمكانات مختلفة كثيرة، على سبيل المثال الذهاب إلى الشلال أو الصعود فوق الجبل أو الذهاب للرقص أو للبولينج. مثل هذا القدر من الاختيار الحر يخيف «إيريش».

إلا أن هؤلاء المصطافات ضربٌ من النساء مختلف كل الاختلاف، أو هن نساء آخريات، أما ماما و «باولا» فربما لم تكونا نساء أو العكس، المصطافات إذا نساء من ضرب آخر مختلف كل الاختلاف، فهن لا يقدمن إلى الإنسان بلا انقطاع شيئاً، ولو يتولين أمر رعايته، بل هن يردن أن يعطيهن الإنسان شيئاً، وكثيراً ما يكون معهن مال، وما هن بنساء للزواج كما يقول الكثيرون نقلأً لكلام سمعوه.

وعلى العكس منهن: النساء اللاتي لا يردن علاقة حميمة إلا بعد الزواج، وهو شيء لا يستطيع على الرغم من ذلك إلا القلة القليلة التمسك به أمداً كافياً لبلوغ النجاح. ولهذا السبب يفكر «إيريش» في نوعين من النساء، إذا ما فكر في النساء أصلًا، وهو ما لا يفعله إلا إذا كانت هناك حاجة، وإن وجدت فلا سبيل إلى إرضائهما بالتفكير، «إيريش» إذا يفكر في نساء

لسن بالنسبة إليه نساء، لأنهن مثل ماما التي لا جنس لها يدفعن إليه دائمًا بما يلتهمه وما يشربه، ويفكر في نساء لسن بالنسبة إليه نساء؛ لأنهن لا يجوز لهن أن يكن نساء، لأنهن يقمن علاقات حميمة مع أي رجل دون أن يكن عاشقات له، أو مخطوبات إليه أو متزوجات به، ويستحيل عليهن أن ينظفن بيته كاملاً.

إلا أن القلة القليلة منهن هن اللاتي لديهن بيت كامل. أياً كان الأمر فإن «إيريش» يستوى عنده أن تكون هذه أو تلك امرأة أو لا تكون أو تكون شيء آخر.

«إيريش» لا يفكر على الإطلاق في نساء، أو إذا فكر في نساء لسن نساء، ولهذا فليس هناك في فكر «إيريش» نساء لأن النساء اللاتي عرفهن لسن في الواقع نساء.

«إيريش» يحس بتأثيرات النساء، لا بانسائهن. ولهذا السبب، ولأسباب أخرى كثيرة لا يفكر «إيريش» إلا في موتوراته وحدها دون ما سواها.

لهذا السبب، ولأسباب أخرى أيضاً كثيرة، تفكر «باولا» في هذه اللحظة في «إيريش» وكيف يمكنها أن تصبح زوجته، وهو أمر سيكون صعباً ولكنه لابد من أن يكون ممكناً.

فى الوقت التالى تناوه^(١) الخِيَاطة الأفضل التى تحولت فجأة - دون أن تستطيع أن تعرف لماذا - إلى خِيَاطة أسوأ، خِيَاطة منقضة: يا «پاولا» إذا كفشت عن الاهتمام بي كما تهتمين بي الآن، فلن أستطيع عما قريب أن أصبح الحياة الأفضل^(٢) بالنسبة إليك كما كانت نيتى أصلًا. لن أستطيع أن أكون بالنسبة إليك فجأة، دون أن تلحظى بحق، قطعة من حياتك بعد ذلك.

إلا أن «پاولا» لم تعد تقتصر بحق إلى الخِيَاطة الأفضل.

ذلك أن «پاولا» فى أثناء عکوفها على الخِيَاطة الأفضل، تفكير فى الحياة الأفضل، تلك التى ستكون يقيناً مع «إيريش» أسرع من الحياة الأفضل التى ستكون بعد عامين عندما تكون قد فرغت من التعلم. أما أفضل حياة فربما كان من الممكن أن تبدأ غداً «پاولا» مستعدة فى كل وقت.

لا يزال الأفضل إطلاقاً أفضل مما هو أفضل من غيره.

أفضل من هذا هو أن يرى الإنسان سعادته فى شخص آخر مختلف عنه، كما بحثت ماما والجدة

(١) نلاحظ انسنة الخِيَاطة فهى تناوه وتنكلم الخ كما لو كانت إنساناً. (المترجم).

(٢) نلاحظ فى السطور التالية تكراراً لافتاً للنظر لكلمة أفضل وتنويعاتها. (المترجم).

وأختى عن سعادتها فى شخص آخر ولم يجدنها قط، أفضل من هذا هو أن يرى الإنسان سعادته فى شخص آخر، وأن يجدها فيه، هذا أفضل من أن يصنع الإنسان سعادته بنفسه، أو من ألا يجد سعادته، ويضيع شبابه هدراً.

أفضل من هذا أن تكون السعادة مصنوعة من إنسان إنسانى، على أن تكون مصنوعة من حرير غير إنسانى أو قطن غير إنسانى أو تيل غير إنسانى^(١).

كيف تصبح زوجة لـ «إيريش» يعترف بها امرأة؟ فلا ثبات ولا عراو ولا غرز أچوريه ولا غرز معكوسه خلف خلاف، ولا غرز ملفوفة مقلوبة، أو العمل فقط بنصف قلب.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم.

«إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم^(٢).

اليوم هو اليوم المائة ألف فيه «إيريش» يحش الحشيش طعاماً للبهائم. بجانب عمله فى الخشب على «إيريش» دائماً أبداً أن يحش الحشيش طعاماً للبهائم. وأن ينجز غير ذلك الكثير من الأعمال من قبيل حش الحشيش طعاماً للبهائم، وتنظيف الحظيرة من الروث، ونقل الروث إلى المراعى، ثم حش الحشيش

(١) تكرار كلمة إنسان وتقويماتها من قبيل إنسان إنسانى وانسان غير إنسانى إلخ (المترجم).

(٢) تكرار السطر نفسه مرتين، على طريقة الموسيقى دلالة على الكثرة والإلحاح. لاحظ التكرار في السطور التالية أيضاً.
(المترجم)

طعاماً للبهائم مرة ثانية، ثم مرة أخرى يخشى
الحشيش طعاماً للبهائم وإنجاز غير هذا وذاك مـ
أعمال كثيرة.

«باولا» تزور أم «إيريش» والأشخاص المحيطين بها،
وهم في الحقيقة أشخاص محبطون بـ «إيريش»، كل
شيء يدور حول «إيريش» هو المركز، الذي يخشى
الحشيش طعاماً للبهائم، كأنما كان يفعل ذلك كل يوم.
نهاركم سعيد، آتكم بكيكة مع أجمل تحية من ماما.
كلوها بالهنا والشفاء.

أم «إيريش» تندesh، فليس من المألوف إن كان
لدى الإنسان شيء أن يعطي منها طوابعية قطعة مهما
صغرت، هذا ما لم يحدث من قبل قط، لأن كل واحد
هنا يحاول أن يأخذ، ولا يجب أن يعطى في المقابل
 شيئاً، لأن كل واحد هنا يحاول قدر الطاقة أن يأخذ
دون مقابل. ولما كان كل إنسان يعرف بصفة عامة أن
الإنسان لا يمكنه أساساً أن يحصل على شيء بلا
مقابل، ولا حتى أعتبر البلايا، فهذه أم «إيريش»
تندesh، أن تأتى كيكة فجأة بلا مقابل سيراً على
الأقدام وتدخل عليها البيت بكل بساطة. شكرأ
جزيلاً. مع أجمل تحية. ولكن هذه، كما يقولون،
فرصة أن يحصل الإنسان على شيء هدية، أراهن
واحد مليون، هكذا تفوه أم «إيريش» في تفكيره
أعمق. ماذا تريد هذه البنت يا ترى أن تحصل عليه
في المقابل؟ ما الشيء الذي نملكه، وما قيمته، الشيء
الذى يمكنها أن تتوقع مجرد لحظة أنتا قد نعطيه

وأنها يمكن أن تناهه؟ لا بد من أن يكون على الأقل أكثر قيمة قليلاً من الكيكة، فالإنسان في نهاية المطاف يريد دائماً أبداً أن يسترد شيئاً أكثر مما يدفع على سبيل الاستثمار. لا يمكن أن تتوقع جادةً أن يكون لدينا شيء ما، حتى لو كان ما تحت الأظافر من سواد، نعطيه بلا مقابل، ففي مقابل قطعة من الكيكة تأخذ منها على أكثر تقدير قطعة سمينة من اللحم المقدد، فاللحم الأعجف نأكله نحن، وهي لم تقل من قبل فقط إنها تود أن تحصل على قطعة من اللحم المقدد أو بعض البيض أو برطمان كومبوت البرقوق. أم هل تراها تريد أن تحصل على برطمان من المريء التي صنعتها أنا بنفسي؟ إذا كان هذا ما تفكر فيه، فعليها أن تأتي بتورته وراء تورتها لتفعلها حتى يسود وجهها من التعب، هذا ما يخطر ببالى عندما أفك في الجهد الجهيد الذى بذلته فيها. خير لها أن تأخذ مما عندها من مريء!

«باولا» تمسك زمام حياتها بيدها. لم تُجِّعْ حتى الآن إلا عدم الفهم والنكران وفقدان الثقة.

ولكن «باولا» على الرغم من ذلك نشيطة كل النشاط. فهي تقطف الزهور طالما كانت مزدهرة بل ربما قبل ذلك. فهي تحديداً تفتح في كوب الماء أو في الزهرية الخزفية الجميلة في الحجرة المصنونة. وفيها الشخص وحده أو الزائر المحب ينال شيئاً منها.

ثم يأتي اليوم الذي يتضح فيه أن المريء لا يمكن أن تكون هي السبب. لو كان السبب هو تحديداً المريء

ل كانت «پاولا» بعد قطعة الكيكة الثامنة قالت شيئاً ما عن المريض. ولا يمكن أن تكون حمقاء إلى هذه الدرجة تأتى بعشر قطع من الكيك تتعجب نفسها فى حملها من أجل بربطا مريض، إذا كان فى مقدورها أن تحصل عليه فى مقابل ثمانى قطع فقط!
ماهذا الذى تريده «پاولا» إذا، وتريد منه قدراً كبيراً إلى هذا النحو؟

«إيريش» يخشى الحشيش طعاماً للبهائم من جديد. هل أستطيع أن أساعدك فى حمل علف البهائم، سؤال وجهته «پاولا». وهى لا تلبس ملابس تناسب حمل علف البهائم، بل تناسب على الأحرى الذهاب إلى الكنيسة، ولكنها لا تذهب إلى الكنيسة أبداً؛ لأن والديها كذلك لا يذهبان أبداً، لأن الإنسان لا يحصل على شيء فى مقابل الذهاب إلى هناك. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» كما ينظر الإنسان إلى خنفساء لا تسبب ضرراً، لا يكون عليه بالضرورة أن يدوسها للقضاء عليها إذا كان معتدل المزاج. «إيريش» ينظر إلى «پاولا» وكذلك لا ينظر إليها. ستبعفين فستانك ببقع الحشيش، هذا ما قاله، إنك تبدين كأنما كنت تحديداً تريدين الذهاب إلى الكنيسة. يمكنك أن تذهبى تواً إلى الكنيسة بهيئتك هذه. لا، سأساعدك يا «إيريش»، فعليك دائماً أن تقوم بعمل ثقيل على هذا النحو! نعم ، ثقيل هذا العمل، ولكن من الخير أنك تقوم به فى الهواء الطلق، فأننا أكاد أموتون من العمل فى هذه المصانع، فى الهواء الردىء المحبوس الذى تعمل فيه حتى النساء، وتدخل «إيريش» فى الكلام

قائلًا، وهن ضعيفات ضعفًا شديداً. وردت «پاولا» على ما قاله «إيريش» قائلة: أنت على حق، وتذبذبت نبرة جديدة بينهما، نفمة تقاهم، فالعمل في الهواء الطلق أصح من العمل في المصنع، وهذا ما قرأته أنا أيضًا.

لم يقرأ «إيريش» هذا؛ لأنه لا يقرأ إلا كراسات عن الحرب العالمية، ولكن «إيريش» سمع أيضاً من قبل أن العمل في الهواء الطلق أصح وأكثر حرية. وتدخلت «پاولا» في الكلام قائلة، أنت على حق، الهواء الطلق والعمل فيه يجعلان الإنسان قوياً، سليماً، وأحمر الخدين. وأنت يا «إيريش» بحق قوى. وصحيح البدن. كانت هذه أول محادثة فعلية بين «إيريش» و«پاولا»، محادثة يقول فيها واحد شيئاً، ويرد الآخر عليه برد مناسب من حيث المعنى. في هذا اللحظة خالجت «إيريش» فكرة مفادها أن «پاولا» يمكن أن تكون شخصاً كما أنه هو شخص.

أدرك «إيريش» لب المشكلة على نحو عابر.

أما أمّه فهذا هو «إيريش» يعبر على لب المشكلة بالنسبة إليها عبوراً. لا يشعر «إيريش» من أمّه إلا بالتأثير: إعداد الطعام، التنظيف، صب اللعنات، التهديد بالضرب المبرح، التنظيف وإعداد الطعام مرة أخرى.

وأما «پاولا» فقد ردت بإجابة عن شيء قاله «إيريش».

تلك تجربة مارس فيها «إيريش» مباشرة معايشة نتيجة تصرف من تصرفاته.

ولهذا سمح لـ«باولا» أن تساعده في حمل القفة.

هذه هي اللحظة التي يعمل فيها «إيريش» و«باولا» عملاً مشتركاً معاً، على وجه التحديد أن يحملان قفة مملوءة بالحشيش علها للبهائم.

عندما يعمل «إيريش» و«باولا» في المستقبل شيئاً مشتركاً معاً، فسيحبسان نفسيهما أو يذهبان إلى داخل الفابة.

لن يكون لأحد في المستقبل أن يراقبهما، عندما يعملان معاً شيئاً مشتركاً.

أحياناً في المستقبل أيضاً سيكمل «إيريش» و«باولا» بعضهما بعضاً، مثلًا عندما يسد «إيريش» إليها ضربات مبرحة وتتلقى «باولا» منه ضربات مبرحة، أو عندما يمرض «إيريش» وتمرّضه، أو عندما يقومان معاً بنشر الخشب، أو عندما تطبع «باولا» وياكل «إيريش».

كثيراً ما تخرج من فم الشعب نكت هزلية عن أناس من نوع «باولا». والخلاصة التي تخلص إليها هذه النكت هي أن النساء، مهما كن من الحمق، لكنهن مع ذلك حبيبات.

لكنهن مع ذلك حبيبات.

وفي مواضع أخرى تقول النكت كذلك، إن الرجال، مهما كانوا من الوحشية واللؤم والخبث والمكر، لكنهم مع ذلك حبيبون.

فى هذه اللحظة تبدأ أم «إيريش» فى التفكير فى المشاركة فى حمل القفة. ويحدث هذا فى هذه المرة بسرعة على الرغم من أن مخ أم «إيريش» غير متدرس.

«پاولا» لا تريد إذاً زيداً ولا جيناً، ولا ليناً ولا نبيداً ولا مريئي. «پاولا» تريد الشخص الذى يشارك مشاركة حاسمة فى جلب هذه المنتجات، بماله وبقوته عمله، ألا وهو: «إيريش».

لكنهم مع ذلك حبوبات!
لا (لسن حبوبات) ! هذا هو ما تفكر فيه أم «إيريش».

ذات يوم كانت «بريجيته» و«هайнتس»^(١)

مرة أخرى مشغولين، حيث فتح «هайнتس» السوستة على ظهر «بريجيته»، فجأة كان ظهر «بريجيته» مكسوفاً كله في نور النهار، ويقول «هайнتس»، ليس جميلاً جمالاً يمكن أن يجعل الإنسان يكشفه في ضوء النهار.

ومع ذلك فقد أخذ، وقد مسه كل هذا الحماس العقيم، «بريجيته» بسيارته بعيداً إلى بيت والديه الصغير بالحديق الشري伯ية الها姆شية^(٢).

(١) كثيراً ما تفتقر بذلك العنوان جزءاً من الجملة التي يكملها مطلع الفقرة التالية. (المترجم).

(٢) حدائق صغيرة على هامش بعض المدن الكبيرة لمن يسكنون في المدينة مساكن بلا حديقة، ويحتاجون إلى متفس وظور وأشجار فاكهة، ويعظر فيها عادة بناء البيوت، ويستثنى من ذلك الشاليهات الخفيفة الصغيرة، التي ربما تحايل أصحابها ووسعوها، فكر في إنشاء هذه الحدائق رجل أسمه شرiber (١٨٦١ - ١٨٠٨)، وما زالت موجودة، وهي علامة على أن أصحابها من محدودي الدخل أو صغار البورجوaziين. (المترجم)

وإذا كان للإنسان بيت صغير في حديقة شريرة فتلك سعة كبيرة جداً، ولكن ربما اتسع البناء وارتفاعه ليكون بيتاً لعائلة أو لعائلتين. ومن شأن البيت الصغير في الحديقة الشريرة على ضالته أن يحفر «هاينتس» على الصعود إلى بناء أعلى. ليس المقصود إلا يفكر وأن يترك التدبير لرب التدبير، بل أن يدع آخرين يفكرون، وأن يقوم هو بالتوجيه.

الأب والأم يعرفان ما فيه الخير لـ «هاينتس».

لهذا فهما يستحسنان أن تدخل «زوزي»، التلميذة بالمدرسة النسوية الثانوية، في الحياة المشتركة.

«زوزي» تدخل إذا دخولاً كاملاً وتعرض للخطر بذلك في الوقت نفسه الحياة. لا نقول الصائرة - في «بريجيت»، بل التي تُرجى لها الصبرورة.

«زوزي» شيء رفيق، و «بريجيت» ليست كذلك.

لایمكن أن يقارن الإنسان بين الاثنين. هذا مستحيل.

من الممكن أن يحب الإنسان هذه أو تلك، وعلى «هاينتس» أن يقرر.

هل يفضل هذه أم تلك.

عندما يقرر اختيار «زوزي» وكل ما هو رفيع، سيعطيه والداته رأسمال جميلاً يبدأ به الحياة الزوجية، سيعطيانه على وجه التحديد كل ما وفراه طوال حياتهما كلها. وليس هذا بالكثير، ولكنه جميل.

«بريجيت» تذهب إلى مصنوعها لإنجاز كمية الإنتاج الإلزامي المحددة. «زوzi» تذهب إلى مدرستها النسوية الثانوية لحضور الطهي. «زوzi» أصبحت من الآن مبكراً امرأة صفيرة بحق بكل العيوب الصفيرة والنقائص التي تسمِّي أية امرأة والتي علمتها إياها أمها نفسها بجهد جهيد بجرائم صفيرة متواصلة، وهي نقائص كثيرة. ما يكاد الإنسان يلقى «زوزانه»^(١) حتى تتكلم عن وصفات أصناف الطبيخ. إنها تحرك في بيئه يُعتبر الحديث فيها عن وصفات الطبيخ موضوعاً من الموضوعات اليومية. اليوم مثلاً تحكي أن رقائق اللوز التي أعدتها مؤخرأً كان شكلها مغرياً ولكن طعمها كان منفراً. وعلى الرغم من ذلك فقد أكل بابا بعضاً منها حتى لا يمس كرامته العزيزة؛ لأن كرامتها كلها في الطهي. لقد بذلت في إعدادها جهداً فائقاً ودهنتها حتى ببياض البيض لكي تكتسب لمعة جميلة، وهاهي ذى جميلة الشكل ولكن طعمها رديء، أهـ. كذلك أخوها الكبير «هاینتس» يُلسن بأسلوبه، أسلوب تلاميذ المدارس الثانوية، الذي تكرر فيه كلمة نيلة^(٢) مراراً وتكراراً، وهى التي تحس «بريجيت»

(١) عن الفرنسية والإنجليزية = سوزان . اسم زهرة بالمربيّة = سوسن . (المترجم)

(٢) الكلمة الألمانية معناها العرفى براز ولها مقابل في اللغة العامية الدنيا، يستخدمه السوقه، والمعلوم أنها منتشرة على المستوى الاجتماعي اللغوى المنحط ليس فى المانيا وحدها، ولكن فى فرنسا والبلاد الناطقة بالإنجليزية، ولكن أفضل استخدام كلمة «نيلة»، فهي كافية للدلالة على المعنى. وعبارة يلينك ساخره، تسخر من الذين يذهبون إلى المدارس ليتعلموا لغة لائقة فتصبح كلمة «براز»، ومشتقاتها علامة مميزة للفتهم. ومن قائل إن هذه الكلمة تدل على اتجاه تمرد جرىء . (المترجم).

طوال الوقت بهذه الكلمة القذرة تحرقها في فمها فهى
تمنع نفسها غصباً من النطق بها. أخرجى يا
«بريجيت» القذارة من فمك ولا اختقت بسبيها!

بابا قال: استمرى في التدرب على الطهى يا
«زو زانه»، بالأمس طبخت المكرونة الإشپيتسلى^(١)،
صحيح أن منظرها كان بشعاً، ولكن طعمها كان في
المقابل لذىداً، طعمها كان كأن التى طبختها ربة بيت
حقيقة صفيرة. وقالت «زو زى» وهى تثرثر مع
«هاینتس» الذى تمدد على الكرسى الطويل: ثم قال
بابا أيضاً، آه، ثم قال بابا أيضاً، ولما كنت قد أصبحت
ربة بيت حقيقة صفيرة يا «زو زى»، فعلى الإنسان أن
يكون متساماً معك فيما جرى على رقائق اللوز،
ولتكن نظراً لأنك لا تزالين بنتاً صفيرة، تحديداً: بنت
بابا الصفيرة، فلا بد من أن تعاقبى. لن تخرجي مساء
اليوم من البيت. وستترنم معاً على الطبخ، فتقتربين
خطوة مهمة من ربة البيت.

النهاية.

والدا «هاینتس» يتافسان في الابتهاج الذي يشع
من وجهيهما عندما لاحت لهما في الأفق ومضة.
أسرة «زو زى» مباشرة حبلى بالمستقبل، عندها ابن في
المدرسة الثانوية، بل وابن آخر في الجامعة! الأمل

(١) الإشپيتسليه Spätzle نوع من المكرونة المنزلية المنتشرة في بعض مناطق جنوب المانيا والنمسا وهي تشبه الشعرية البلدية التخينة. (المترجم)

معقود على أن يكون ابننا «هایتس» مسلحاً لكل هذا. ونحن قد أعطيته تسليحاً جيداً. تدريباً عملياً مهنياً متيناً وأفكاراً في أن يكون له محل خاص به.

تعارف الاثنين («هایتس» و«زوبي») في حمام سباحة على الشاطئ، وهو مكان تتلامس فيه اهتمامات كثيرة، إنه نقطة التقاء كل الطبقات والمذاهب والاتجاهات.

«زوبي» إنسانة لها اهتمامات. «زوبي» تهتم بكتب الجيب والسينما. وهي تهتم بالناس الذين يهتمون بنفس كتب الجيب والأفلام أو أشباهها. يتبع ذلك مباشرةً أن يستطيع هؤلاء عندئذ أن يختاروا وأن يتخذ قرارات بشأن اختيار كتب الجيب والأفلام. «زوبي» تهتم بنفس الشيء، بالشيء الذي قد صارت هي إليه. تكاد أن تكون تلك مهمة حياتية أن يختار إنسان بين فيلمين مختلفين فيلماً يود أن يشاهده مع آخر، أن يشاهد أحدهما كلاهما معاً. يتملك الإنسان على الفور الشعور بأن الكون يدور حوله.

«زوبي» تهتم كذلك اهتماماً شديداً بالطهي. وليس هناك ما يقال في هذا الشأن؛ لأن الاهتمام بالطهي صحيح ومهم. للبشرية كلها التي تمسها «زوبي» كذلك أحياناً فيما يدور من أحاديث. «زوبي» يمكنها أن تمسها لأن لديها الرؤية الشاملة.

عندما يسأل الإنسان «زوبي» : غامق أم فاتح ،
تقول: وسط.

وتحصل ضحكة حبوبة.

«زوزى» شيء وسط، وهو الأضمن؛ لأنه ليس فوق وليس تحت. في الوسط لا يكون على الإنسان أن يتحمل ضغطاً مفرطاً، ولا يكون عليه من الناحية الأخرى أن يقوم بالكثير المفرط من العمل الرائد.

وهي في المدرسة الثانوية النسوية في موضعها الصحيح.

ولا تكون الإنسنة^(١) في موضعها الصحيح إلا مع الزوج الصحيح. والزوج الصحيح يكون مثلها أو أحسن قليلاً، وعلى أحسن الإمكانيات أفضل كثيراً منها. والإنسنة تكون في وضع مائل سيئ إذا كان زوجها دون مستواها. ومستوى «زوزى»، كما ترى «زوزى»، مستوى مرتفع.

فرغت «زوزى» بسرعة الريح من تقدير كل شيء. تعلمت «زوزى» هذا من أمها التي لا تفعل طوال اليوم شيئاً آخر غير التقييم والقياس والوزن والعد. والنتيجة أن «هайнتس» أقل. تلك الكلمة قاسية، ولكنها نهائية.

وعلى الرغم من ذلك فمن المفید لبنت مثل «زوزانه»، متعطشة للمعرفة أن ترى الكثير من البشر

(١) كثيراً ما تستخدم يلينك كلمة man ومقابلها في العربية الإنسان أو الواحد أو الشخص دون تحديد لذاته، ودون تحديد للجنس، ولكن بعض الجمل لا تستقيم بكلمة إنسان إذا كان المقصود هو يقيناً المؤنث، وهنا نستخدم أحياناً لفظة إنسانة. (المترجم)

المختلفين والذين يكادون في واقع الأمر أن يكونوا متطابقين، متساوين، وبالتحديد على مستوى دون مستوى «زوزي»، إلى حد بعيد، تراهم على تل واحد.

بينما تقوم «زوزي» بالقياس والوزن تتشى تثنى المرأة على الكرسي الطويل. لم تعد بنتاً صفيرة، بل أصبحت امرأة تماماً، كما يلاحظ الإنسان ذلك بدقة عندما يراها تتشى.

«زوزي» تشعر بالتسامح حيال «بريجيت». ويدافع من التسامح تود «زوزي» أن تعلم «بريجيت» مبادئ فتون الطهي، فلا تجني إلا التكران والإنكار. وتعود «زوزي» إلى الصمت وقد ألم بها شيء من الضيق. خسارة، في هذا اليوم الصافي الجميل.

«بريجيت» ينتابها في التو والساعة غثيان بمجرد أن ترى روب حمام «زوزي» الناصع البياض وشعرها الأشقر الطويل. ورد فعلها هذا الذي يثير الاهتمام يختلف كل الاختلاف عن رد فعل «هاینتس». «هاینتس» أدرك تميُّز «زوزي»، ولهذا سيصبح ذات يوم رجل أعمال جيد. «بريجيت» لا تستطيع أن تدرك تميُّزاً، ولهذا فمن الممكن ذات يوم أن تضيع.

«زوزي» لا تشعر بكراهية نحو «بريجيت»؛ لأن أفكارها تدور حول التورته اللينتسية (١) وكِيكة ظهر

(١) التورته اللينتسية Linzertorte تورته منسوبة إلى مدينة لينتس النمساوية عليها مربى موزعة على تقسيمات صفيرة بشكل المعين أو متوازي المستويات . (المترجم)

الفزال المفرزة^(١). الكراهية على اختلاف أشكالها غريبة على «زوزى». «زوزى» بنتَ ودودة وروحها فى بيتها.

هل يرى حائزو بيوت حدائق الشرييرية الصفيرة المجتمعون أن «زوزى» تهمهم بعض الشيء لأنها ودودة. ليس هذا صحيحاً. فـ«زوزى» لا تهمهم فى شيء.

خلاصة الموضوع فى رأى «زوزى» أن «هайнتس» ووالديه كثيراً ما يكونون وقحبين وقليلين الأدب، وهو شيء عليهم أن يفكروا فى إصلاحه، فلافائدة فى أن يكون الإنسان فظاً وقحاً إذا كان فى استطاعته أن يكون ودوداً فى نفس الوقت أيضاً. هذا ما تراه «زوزى» السعيدة.

فى محيط «بريجيتة» يكره كلُّ واحد المنافسة بكل أشكالها. فى دوائر «بريجيتة» تعتبر الكراهية شيئاً مهماً بارزاً. «بريجيتة» لا تستطيع أن تحب كل من يكون على شاكلتها، فهذا من شأنه أن يخرب كل شيء.

فى محيط «زوزى» يسود الحب الذى يجب أن يسود فى العالم كله، والذى لا بد من أن تصمت الكراهية أمامه. «زوزى» حبوبة جداً حيال «بريجيتة» لأن «بريجيتة» لا تهمها فى شيء مثل قطعة خشب

(١) كيكة ظهر الفزال المفرزة bespickter Rehrücken نوع من الكيك المشهور فى النمسا وهو يعد فى قالب مستطيل، ثم يزين بكسوة من الشوكولاتة وعلى الجانبين حلبات بيضاء متقطعة وકانتها غرزت بالمسلسلة بغز متواالية. (المترجم)

عفنة. «بريجيته» تكره «زوزى» كما يكره إنسانٌ ما كلَّ
الكره أساساً شيئاً معيناً يلبس روب حمام أبيض
بياض الثوج.

طلبوا من «بريجيته» أن تُرى «زوزى» الحديقة
وأشجار الفاكهة بها. «زوزى» تصفق من شدة الفرح.
«بريجيته» ترتعش أمام كل شجرة برفوق، إنها لا قدر
الله تريد أن تأخذ منى هذه الشجرة التي تكاد أن
تكون ملكاً لي، هذه الشجرة بالذات، وهذه، وهذه،
وهذه! سأقتلك يا «زوزى» إذا أردت أن تأخذنى منى
أشجار فاكهتى المستقبلة، تلك التى تكاد أن تكون الآن
ملكي، وإذا أردت أن تأخذنى منى حياتى المستقبلة التي
اسمها «هابينتس»، وإذا أردت أن تأخذنى منى بيتي
المستقبل الذى اسمه «بريجيته وهابينتس»، إذا أخذت
كل هذا منى سأقتلك، تأكدى من ذلك!

«زوزى» تتط طاييرة فرحانة من خلال النجيلة. دون
انتباه منها تطا زهور الأراولا والداليا وزهيرات
الحديقة، طق طق. «بريجيته» ترتمى على الأرض
وتقيم بعنابة زهور الأراولا والداليا وزهيرات الحديقة،
عسى ألا تكون بينها زهور انقصفت ولم يعد من
الممكن إصلاح حالها. عسى أن تتط نطة تطيرها إلى
الخارج، بعد هذا الذى فعلته.

«بريجيته» تحافظ بكل جسمها على ملوكها الذى
سيكون ذات يوم ملكاً لها. عندما لا يكون الإنسان قد
امتلك ملكاً خاصاً من قبل قط، فإنه يدافع عن الملك

الافتراضى كما يدافع عن حياته ذاتها. فهى ترتمى على شجيرات الكِشمش^(١)، لتحميها من يد «زوزى» التي استبدت بها الوقاحة منذ قليل فأرادت أن تقطف ثمرة منها. ففقصت «ب» بجسمها الفشيم عدة كيلوجرامات من ثمار الكِشمش الحمراء. تدفع رأسها ثمناً لها!

«زوزى» مندهشة. تقول أنا أستطيع أنأشترى الكِشمش فى كل مكان عندما أريد. «بريجيتة» تقول نعم ، ولكن هذا الكِشمش هنا مِلكى. مِلكى. مِلكى. وملکى هو مِلكى.

و«هائينتس» هذا مِلكى. مِلكى. مِلكى.

وسأمتلك ذات يوم بيتأ، سيكون أجمل بكثير من هذا البيت الصغير البسيط فى الحديقة الشريبرية، الذى سنتركه لوالدى زوجى، بينما سننتقل، «هائينتس» الذى هو مِلكى، وأنا، التى أنا كذلك مِلك نفسى، إلى بيت أكبر وأجمل، سيضم الدور الأرضي فيه محلأ خاصاً للتركيبات الكهربائية. هذا عن «بريجيتة».

تقول «زوزى» متلطفة، لقد ملئوا جعبتهم، و«زوزى» ليس لديها أى اهتمام بـ «بريجيتة». من منظور «زوزى» يمكن أن يكون لـ «بريجيتة» وجود أو لا يكون.

(١) الكِشمش بالألمانية Johannisbeer بالفرنسية groseille برى له ثمار كالعناقيد الحمراء يصنعون منها شراباً ومربي وخشاف. (المترجم)

وجود «بريجيته» لا يمس حياة «زوزى» على أى نحو.
«زوزى» حبوبة جداً مع «بريجيته»؛ لأن ذلك لا يكلف شيئاً ولأن «بريجيته» لا تستطيع أن تأخذ منها شيئاً،
ولا حتى فنون طهيهما.

أما «بريجيته» فتكره كل شيء في «زوزى». وجود
«زوزى» تهديد مستمر. إذا ما عرضوا ذات مرة على
«هاينتس» ما هو أفضل، فمن الممكن عندئذ أن يريد
امتلاكه أيضاً. لا

«زوزى» تريده أن تأخذ منها شيئاً.

ربما كان خير ما تفعله «بريجيته» أن ترمي نفسها
أمام «هاينتس» والحدائق والبيوت، كما رمت نفسها
على شجيرات الكشمش وتحميء بذاتها من أصابع
«زوزى» الوقحة.

«زوزى» تشير إلى جمال زهرة عباد الشمس. تقول
كم هي جميلة. جميلة كالبسكويت.

«ب» صماء حيال جمال الطبيعة. «ب» ليس لديها
القدرة على استقبال الجمال، «ب» مرتبة كل
الارتباك، مشدودة، كالحبل. «ب» كومة صلبة من
الكراهية. من منظور «ب» ليس هناك شيء جميل،
ليس هناك إلا شيء يريدته الإنسان ويكون عليه أن
يمتلكه.

«زوزى» تعدُّ بإيقاع حر الكثير من الجماليات
النباتية وضروباً مما لذ طعمه وطاب مذاقه من
أشياء.

«زوزى» لديها حسٌ جمالي بارز المعالم، هذا مما يقوله بابا كذلك. «بريجيت» تريد أن تملك تملك تملك، وكل ما عدا هذا أنتهى وختم. «ب» تناضل. «زوزى» أكثر أنوثة من أن تناضل. «زوزى» امرأة كلها.

«زوزى» تناضل.

«بريجيت» ليست شيئاً على الإطلاق.

تابع، مشاعر «پاولا»

شيء ما في نفسي إذا يسمونه حب، هذا ما تشعر به «پاولا» للمرة العاشرة.

في نفسي علاوة على ذلك شيء يتمنى أن يكون له أولاد. لا يجوز التصدي له.

ستفقد الخياطة فرصتها الأخيرة عندي على أقرب تقدير في اللحظة التي سأصبح فيها أمّاً. في الخياطة كل شيء ميت تماماً، أما في الطفل الصغير بكل شيء حي تماماً. الطفل الصغير هو الحب الشخص. ما هي الخياطة الميتة بالقياس إلى طفل حي.

عسى ألا يولد الطفل ميتاً!

في البداية يأتي ما هو حي، ثم تأتي بعد ذلك الأدوات الجامدة التي لا حياة فيها. وحتى لا يكون الإنسان وحيداً وحيداً في شيخوخته.

«إيريش» يفكر ملياً في أشياء لها موتورات، هي أيضاً شديدة الحيوية. سيارة السباق مثلاً لها قوة تساوى قوة عدد من النمور.

إنها وحدة جميلة الشكل تشمل الشكل والحركة. في لحظاته الفائقة الصفاء يفكر «إيريش» ملياً في حياة بأيدي نظيفة وقمصان بيضاء وبنطلونات چينس ضيقة وشغل خفيف. أو بدون شغل.

«إيريش» لا يفكر ملياً لللحظة واحدة في «باولا» «باولا» بالنسبة إليه بديهية مثل الهواء الذي نتنفسه. «باولا» لا تريد أن تكون شيئاً بديهياً، بل شيئاً متميزاً.

لهذا تجتاز «باولا» الشارع بفستان يشبه المريلة خاطته بنفسها. «باولا» تعض على النواجد تمسكاً بالنظافة. شعرها ومريلتها وشنطة مشترواتها وساقاها النحيفتان تبرق كلها في سباق على النظافة، وكأنها ريح بيضاء تدور كالدوامة!

وهكذا تلاشى الشيء المتميز في «باولا» مرة أخرى.

في كل مكان على عتبات البيوت تقدّد نساء مشرفات على الموت مثل ذباب مهروس لا يعمر إلا يوماً واحداً، يقعدن كأنما لصقين في موضعهن بزفت سائق ويحطّن بنظرهن دون ما هوادة مما يملكن الصفيرة الخاصة، ممالك ربات البيوت، التي يتربعن فيها تربع الملوكات على العروش. أحياناً يجعلهن

صابون سائل ملکة، وأحياناً تجعلهن حلةً ممتازة
التصميم ملکة^(١).

الحدائق في صدور البيوت محاطة على نحو
نظيف بأسيجه ومحزولة عن العالم الخارجي. زهور
عباد الشمس والشجيرات الكثيفة تعزل العالم
الداخلي عن العالم الخارجي الذي هو عدائي.

بعض العائلات تعيش في بيوت صفيرة تقىم فى
البيت الواحد عائلات عديدة. ستحصل «پاولا» على
بيت من هذا النوع ستستطيع «پاولا» أن تترىع فى
مطبخه على عرش الملكة، حيث كل شيء سيلمع
وسيبرق فيبهج جميع من يرونها.

«پاولا» تعب على البيوت عبواً وتفكر في الدرجات
المتعالية من النظافة، ما يكون نظيفاً، ما يكون أنظف،
ما يكون هو الأنظف. هنا وهناك تبرز واحدة من
النساء المشرفات على الموت وتشد حفيداً، ابنأً أو بنتاً
إلى صدرها وكأنها حصن أو تمثال خشبي منحوت
على غليون^(٢) مقارنة بـ«پاولا» النظيفة التي لم تتزوج
بعد. وهناك ترتمى إحداهن بداعف الحماية على ابنها
الذى سألته «پاولا» عن المدرسة. وقطع كلام ابنها

(١) توييمات ساخرة على جملة ألمانية متكررة لا تتعجب النساء
فى رأى يلينك من تكرارها على سبيل الفخار، وهى أن البيت وتدبر
النظافة وتلميغ حل الطبيع فيه، هو مملكتهن، وكان الصابون السائل
او الحلة اللامعة المميزة بتصميم خاص هو الذى يجعلهن ملكات،
وهن لا يدركن أنهن ضيئنن أعمارهن وأصبحن كالذباب المهدوس.
(المترجم)

(٢) من الفرنسية Galion وهي سفينة. (المترجم)

وتحكى فحورة عن أنواع القلق التى تفشاها بسببه، إنها تعتز بالقلق على ابنها الشقى العنيف، وتتججل من قلقها على ابنتها. تقول إن مَنْ ليس عندَه أولاد لا يمكنه بتاتاً أن يعرف الحال الذى يكون فيها الإنسان عندما يكون عندَه أولاد.

وتوضح كذلك أنها مسرورة لأنها لم تعد مضطربة للعمل بائنة، فليس مما يحقق الرضا للإنسان أن يعمل من أجل الآخرين. ولقد أخذوها من منضدة البيع إلى هيكل الكنيسة وزوجوها.

ولديها الآن بعض الأعراض المرضية التى يبدو عليها أنها خطيرة.

الطبيب لا يستطيع أن يجد شيئاً.
أما هى فقد وجدت سعادتها.

سعادتها هذه هى أن يكون كل ما تعلمه من أجل زوجها، يتم عمله من أجلها هى نفسها فى الوقت ذاته أيضاً. الجوارب المفسولة والقمصان والملابس التحتانية والأحذية النظيفة، كل هذا (الذى تعلمه من أجل زوجها) تعلمه أيضاً من أجلها هى نفسها ومن أجل أولادها. ليس فى مقدورها أن تعمل شيئاً لنفسها هى مباشرة.

أحياناً تذهب إلى الكوافيير، مزيّن النساء. ففى ذلك تجميل.

عندما تسأل «پاولا» إحدى النساء عما تتمناه، تجدها تتمنى شيئاً للأسرة كلها، مثلًا سيارة تركبها

الأسرة كلها، والأم فيها متنبهة تترىص دائمًا بالطفل لتضرره، تأدبياً له، لكي تستطيع أن تبرر وجودها هي.

وعلاوة على ذلك يستطيع الإنسان^(١) أن يزين السيارة أيضًا بزهريات وخداديات. ففى ذلك تجميل.

دائمًا يصرخ في مكان ما في بيتِ ما طفلٌ ضُرب تأدبياً له. وما يكف طفل عن الصراخ حتى يبدأ طفل ثان بالصراخ.

وأناس يصفقون يبرزون من النوافذ التي تلمع كالمرايا^(٢).

«باولا» تقول: لا تضربي «كارلى» بهذه القسوة، فهو لم يفعل شيئاً، دعيه يمشي.

وهنا تُطالبُ «باولا» بأن تقفل حلقها؛ لأنها لم تلد شيئاً ولم تخلف أحداً.

أما دور الجدة فهو دور مواساة.

لهذا فالأولاد كذلك يحبون تيتا جداً. أما الأب والأم فهما لا يحبان تيتا لأن تحشر نفسها.

وزوج تيتا نفسه، جدو، يكره تيتا، أولاً لأنه كان دائمًا، أبداً منذ سنوات الصبا يكرهها، فاللاعب القديم

(١) المقصود: المرأة. (المترجم).

(٢) نلاحظ هنا وفي مواضع كثيرة جداً من الرواية حرص يلينك الساخر على كلف المرأة في النمسا والمانيا وربما في بلاد أخرى على التطهيف والتلميع البالغ فيه والتاديب البالغ فيه أيضاً، وهي في رأيها أمور تتضيّع فيها المرأة صحتها وعمرها، فتصبح كالميتة قبل أن تموت في النهاية. (المترجم)

أصبح عادةً لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها بالسرعة المأولة، ويحتفظ الإنسان بهذه الكراهية في الشيخوخة، فما هذا الذي يحتمكم الإنسان عليه في الشيخوخة، لا شيء، اللهم إلا الكراهية العظيمة القديمة المجرية.

والكراهية كذلك تزداد وتتزايد دائمًا لأن تيتا فقدت منذ وقت طويل رأسمالها الوحيد، ألا وهو الجمال الذي ربما كان موجوداً ذات مرة. تيتا اعتبرت كهنة مكهنة عديمة القيمة. والنساء الآخريات، الأصغر سنًا، ضيئن منذ أمد بعيد بالنسبة إلى الرجل المستهلك العجوز المكحوك، وكسبهن رجال آخرون أصغر منه سنًا، مستهلكون أيضًا، ولكنهم ما زالوا قادرين على الكسب.

النساء الأصغر سنًا لن يقامرن من أجل رجل عجوز منفر بعياتهن المضمونة بجانب هؤلاء الرجال الأصغر سنًا.

هكذا يموت جدّو وينتهي، صحيح أنه يموت على نحو أكثر بطئاً وترددًا من زوجته التي تكاد أن تكون ميتة، ولكن الموت موت، والضياع ضياع، وكل شيء راح وانتهى. وزوجة الرجل نفسها تظل حتماً تذكره بتدهوره وتحوله من الشاب المتعافى إلى الشيخ الهرم المنفر المقرف.

جدّو مستهلك، وتيتا ستصبح مستهلكة. والعين لا ترى مستهلكاً، ولكن الإنسان يُستهلك..

وتيتا تعلم يقيناً أن زوجها ابتدأ من عمر معين
يبقى لها دائماً أبداً إلى أن يصيبه مرضُ الموت وما
يتبعه من خروج من الدنيا. إنه لا يستطيع أن ينصرف
عنها ويتركها ويترك الفرن والأكل والشرب والمائدة
وغسيل المواتين ومزود العلف.

إلى أين يذهب الشيخ العجوز.

الشيخ العجوز الهرم مرتبط بتناول الأكل المنفر.
وهكذا تظل سلسلة سراويله المتتسخة وجواريه
الفعمة بالعرق تمر من خلال يدي تيتا.

وتيتا في شيخوختها تستقم منه بأفعال صفيرة.
فلديها إمكانات كثيرة للانتقام الفعال.

وهكذا تتبع سلسلة من الآلام التي يمكن تدبيرها
لتيتا، تخرج من بين يدي جدو، سلسلة من الأيام
البشرية. جدو يضطر إلى أن يتولى بيديه أعمال كل
يوم قدر على تيتا أن تعشه. هو شخصياً. وليس
لإنسان آخر أن يحشر نفسه ليشارك بشيء.

ولكن جدو اعتاد منذ الطفولة أن تنجز له تيتا كل
ما يحتاج إليه في حياته اليومية، كله تتولاه ماما أو
تيتا. إنه لا يستطيع أن يعد لنفسه بيديه أى شيء ولا
حتى بيضة مقلية.

إنه معتمد على غيره مثل الطفل، في الأشياء
الصغيرة اللطيفة وفي شغل البيت الثقيل، ومن الممكن
أن يثير الإنسان غيظه ويدفعه إلى ثورة عارمة بسهولة

عن طريق أشياء صغيرة ومنفصالات طفيفة وعن طريق
أعمال تخريبية.

والزوجان المسنان مثل حشرتين بعض كل منهما
الأخرى عضة دائمة غائرة، أو مثل حيوانين يفترس
بعضهما البعض، واستقر أحدهما نصفاً في بطن
الآخر.

اللحم مفخوذ شديد الصبر.

مثل قافلة من الجمال يسير طابور من نساء لم
يتجاوزن الشباب تظهر ظلياتهن بوضوح شديد على
الأفق، يحملن شنط مشترواتهن ويسعن بشدة أطفالاً
صفاراً وراءهن.

بابا يتأملهن راغباً من خلال المنظار المقرب.
وتحرك فيه بقية من رجولة.

وفي المطبخ ترفع ماما عقيرتها، وعلى البقية أن
تصمت.

الشمس تميل أخيراً إلى مغيب.

ولكن «باولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن
تحب أحداً

كأنما لم تكن مشقة بيت عائلى صغير بحديقته
المنزلية الصغيرة كافية وحدها بدون ذلك أيضاً. ولكن
«باولا» فكرت فى أن الأمر سيكون أسهل بكثير مع
بيت صغير.

وسوف يعمل بدن «باولا» أقصى ما يستطيع.

الشمس مالت أخيراً إلى مغيب.
ولكن الليل أيضاً رغم ذلك يحمل إلى الرجل والمرأة
ما هو أكثر فظاعة.
ولكن «باولا» الغبية غباء البقر أصبح عليها أن
تحب أحداً.

«بريجيته، تكره «هاينتس»،

على الرغم من أن «بريجيته» تكره «هاينتس»، فإنها
تريد أن تحصل عليه ليكون بال تمام والكمال لها هي،
ولا يكون لغيرها.

وإذا كانت «ب» تكره «هاينتس»، منذ الآن قبل أن
تتاله أصلاً، فكيف سيكون كرهها إياه، إذا حدث ذات
مرة ما هو مشكوك فيه جداً، فنالته على الدوام
والى الأبد، ولا يكون عليها أن تبذل الجهد لتحصل
عليه.

على «بريجيته» مؤقتاً أن تخفي كرهها بعناء، فما
زالت هي لأحد، أي خياطة سوتيلات، وتريد أن
تصبح أحداً، أي زوجة «هاينتس».

خياطات كثيرات يأتين من يوغوسلافيا والمجر
وتشيكوسلوفاكيا أو غيرها من بلاد الكتلة الشرقية.
قد يتزوجن ويختفين وقد يضعن.

والواحدة من كثيرات عديدات تعتبر أساساً وأصلاً واحداً.

«ب» ترى أنها لأحد فهى واحدة من خياطات سوتيانات كثيرات عديدات، منها كثيرات يخطن نفس الخياطة التى تخيطها. «ب» ترى أنها تكون أحداً عندما تكون واحدة من زوجات كثيرات جداً. «بريجيتة» ترى أنها ستصبح أوتوماتيكياً أيضاً أحداً؛ لأن «هـاينتس» أحد، أى هو واحد سيكون ذات مرة أحداً، يمتلك محلأً خاصاً به.

إذا لم يأت بريق من العمل فى خياطة السوتيانات، فلا بد من أن يأتي البريق كل البريق من «هـاينتس».

لأن البريق الذى نقرأ عنه أو نراه فى التليفزيون، يأتي من أحد آخر تماماً ويعود إلى أحد آخر تماماً، وأن بريق المجلات والأفلام يدور حول أناس غرباءأشد الغربة كثيراً ما لا يلبسون حتى سوتيانات، ناهيك أن يفكروا في خياطة سوتيانات، وأنه ليس هناك بريق أصلأً، فإن «بريجيتة» تصنع بحماس بريقاً. ساعات طوال. ودائماً حول «هـاينتس».

وهي تأمل أن يعود عليها شيء من إشعاع هذا البريق. ولكن من لديه بريق يحتفظ به لنفسه، هذا ما أحاطت به أم «بريجيتة» خبراً. فقد أتى البريق إليها من مندوب مبيعات. ومتى انطفأ؟ منذ سنوات عديدة. مع سيارته.

أم «بريجيته» تقول: على «بريجيته» أن تدع «هайнتس» يسير بـلجام طويل تمسكه ولا تتركه من يدها، أما الحبس فليس الآن ولكن فيما بعد، ولكن عليها رغم ذلك أن تمسكه بشدة وأن تربطه فيها، عن طريق ألف من الطفائف، منها على سبيل المثال طفل صغير. ولكن كذلك عن طريق مواهب وقدرات حرفية خاصة: مثلاً غسل الفسيل.

والواضح أن أم «بريجيته» لم تكتف بهذا على كثرته.

الواضح أنه لا يزال في سحنة أم «بريجيته» مكان صغير خال.

مطاردة صيد بلا رحمة.

لا المطارد «هайнتس» ولا الصياد المسكين المرهق الذي هو «بريجيته» يمنحان فسحة للراحة. والصياد يكون أحياناً في موقف أسوأ من الصيد.

في حالة «بريجيته» هي في موقف أسوأ منه.

«زوzi» إنسان له بريق. وهي تنط بهمة مفرطة وقد غشاها من نور الشمس بريق فائق، تنط وراء فراشة يسمونها فراشة ليمونية. وشعرها الأشقر مثل الشعر الأشقر بالضبط.

البعض يكفيهن نور الشمس بريقاً، والبعض الآخر يحتاج إلى بريق يأتيهن من محل تركيبات كهربائية.

ليس لـ «بريجيته» أن تجافي التواضع إلى هذا الحد، وأن تقنع بالشمس مثل «زوzi».

«زوzi» تكتسب في الحديقة بريقاً فوق بريق. الحديقة ليست حديقتها بل حديقة «هابينتس»، أي حديقة «بريجيته». «ب» ترتمي فوق «زوzi» وتطرّحها أرضاً بعيداً عن مرمى أي بريق. أحّب شء إلى نفسها أن تدفن «زوzi» في التربة، في الطين المohl.

«بريجيته» تتمدد فوق «زوzi» طولاً وعرضًا وتشرح وهي تلهث لماذا يستطع الإنسان أن يفعل ما يشاء بملكه الخاص، أما بالملك الأجنبي فليس للإنسان أن يعمل إلا ما يسمح به المالك الأجنبي، في هذه الحالة : «بريجيته». مثال ذلك: تقول «ب» في المصنع على أن أعمل ما يقولونه لي. أما في دولابي الصاج فأستطيع أن أعمل ما أريد؛ لأنّه ملكي، فيمكّنني أن أراعي النظام أو الفركشة، كما يعلو لي تماماً. النظام بدائي. في الكانتين على أن أراعي الزماللة لأن الكانتين ملك مشترك للجميع، أما في مكانى على المائدة فيمكّنني أن أعمل ما أريد. لأنّه ملكي أنا وحدي. نعم ، البداية تكون بأشياء صغيرة.

وتفسّس رأس «زوzi» في ماء راكم إلى أن يأتي «هابينتس» ويخلص «زوzi» بالقوة من قبضتها.

وتستأنف «بريجيته» كلامها، وعندما يأتي صاحب المصنع إلى بيته، يكون عليه هو نفسه أن يفعل ما

أريد، لأن بيتي هو قصري. وعلى قدر صفره، تعظم
قدرتى أيضاً على الأمر والنهى فيه.

وتمتّمت «زوزى»^(١) : صاحب مصنوعكم لن يأتي
أبداً إلى حضرتك في بيتك، لأنك فظة كل الفاظلة.

لا فعلاً؟ ربما يأتي ذات مرة. ولن يستطيع أحد أن
يمنعه، ولا حتى حضرتك، على كثرة ما تريدين أن
تمنعي. أما صاحب مصنوعى فلن تستطعى تخويفه.

ربما يأتي ذات مرة ليزورنى ويزور كذلك أمى؟
وردت «زوزى» ، لن يأتي أبداً. لأن حضرتك تافهة.
لأن حضرتك أحاط واتقه ما يوجد.

وتقول «بريجيتة» وهى تلهث: ولكنه لوأتى سيكون
عليه أن يعمل فى مسكننا ما نأمر به، بل إن هذا
قانون قانونى^(٢) . إنها تعرف الأمر أحسن من
الآخرين.

بعد خمس دقائق تجلس المتصارعان صراع
الديوك إلى المائدة لتناول وجبة خفيفة.

«بريجيتة» تكلمت بكلام مفيد، مليء بالمضاريات
والاحتمالات والتوقعات، كما هي الحال في الحياة
الاقتصادية.

(١) زوزى تتكلم بصيغة الاحترام «حضرتك». (المترجم)

(٢) من أمثلة التكرار «قانون قانونى»، كذلك نلاحظ من أمثلة
معامل يلينك مع اللغة أنها تكثر عمداً من استخدام كلمات
الحسو من قبيل «أيضاً»، «إذًا» على طريقة عامة الناس، وتكرر
الأسماء الأعلام، وتكرر «أحد»، «لأحد»، «الناس»، «الشيء»،
وغيرها من الكلمات الدالة على ما هو مجھول أو غير قابل
للتحديد. (المترجم)

ربما استطاعت «بريجيته» أن تستغل نتائج هذه المحادثة، عندما يكون لها ذات مرة محل أعمالها الخاص ويكون «هайнتس» قد أصبح لها.

الحب إذا هنا الآن

الآن جاء الحب للمرة كذا، ولكن الحياة الأفضل بالنسبة إلى «باولا» لم تبدأ حتى الآن بعد. حان الوقت لكي تدخل الحياة والتطور أخيراً في هذه المسألة التائهة!

«باولا» لا تستطيع أن تتمتع حقاً بعها الكبير؛ لأن عليها أن تصحو الساعة الخامسة لتعد للأب طعام الإفطار. «باولا» تعلم أن الحب الكبير يحتاج إلى وقت لكي يستطيع أن ينمو، ولكن يكبر أكثر مما هو كبير. «باولا» ليس لديها وقت.

في الوقت نفسه تطلع أم «باولا» وفي يدها الشوكة إلى المراعي على سفح الجبل لكي تدبر أمور مملكتها الصغيرة. تحيط الأم ببصرها على الدوام مملكتها من حدود ربة بيت إلى تلك التي تليها. وتلف الأم رأسها هنا وهناك بفتة بحثاً عن عابري الحدود الخارجين عن القانون.

الأم تنظر على الدوام من بداية مملكتها إلى نهايتها، دائمًا أبداً هنا وهناك، وتفرح بأن لها مملكة ربة بيت.

ربما كان عند آخرين أكثر كثيراً مما عندها، ربما كان آخرون يعملون نجارين، كهربائيّة، سباكيّن، بنائيّن، ساعاتيّة، جزارين! أو صناع اللحوم المدخنة.

ولكن في المقابل كل الناس في أسرتها بصحة جيدة.

عندما تمر الأم بيوم سيئ تفكّر في أن زوجة صانع اللحوم المدخنة على سبيل المثال تمتلك مملكة ربة البيت، ولكنها عندها أيضًا مصنع تدخين اللحوم الخاص بها. ثم تحت الأم حفيض «فرانتسى» بخطبة من أسنان الشوكة الحادة، صرّاخ «فرانتسى» وعويله يعرض الأم حيال زوجة صانع اللحوم المدخنة التي لديها مملكتان خاصتان بها، مملكة ربة البيت ومملكة زوجة صانع اللحوم المدخنة. صرّاخ «فرانتسى» يوجه اهتمام الأم مرة أخرى إلى لب القضية، تحديداً إلى أنها هي نفسها عندها كل شيء يمكن أن تتمناه امرأة. والجميع بصحة جيدة. تنسى زوجة صانع اللحوم المدخنة. تواصي «فرانتسى» بالتفصيل. ما الذي يمكن أن تتمناه الأم أكثر من هذا؟ لا شيء.

أم «باولا» لا يمكنها أن تتمنى لنفسها شيئاً أكثر من هذا؛ لأنها استهلكت قدرها دون أن يثمر هذا الاستهلاك شيئاً.

ولما لم تكن أم «پاولا» تستطيع أن تتمنى شيئاً أكثر مما أوتيت؛ لأن الأوان تأخر أشد التأخير، فإنها سعيدة لا تتمنى المزيد.

تخرج أم «پاولا» إلى الحقل. وتتصت إلى أعماقها، هل هذا رنين نغمات أغنية أو شدو شحور في موضع ما بها، لا إن ما تسمعه هو السرطان الذي ينشرها بمنشاره ويفترسها. ليس عند الأم ما تتصدى للسرطان به ولا حتى الكحول باعتباره مضاد للسم.

والسرطان قد رأى أشياء أجمل من هذا البطن الخرب الذي جرى فيه على مرسنوات الزوجية الطويلة ما جرى. ولا نريد بتاتاً أن نبدأ بحديث عن جلسات الماء الساخن رغبة في الإجهاض.

أما ما لم يُسمح للدكتور أن يراه قط، فقد بقى الآن من شأن هذا المرض الخطير المميت. ويكاد الأمر يبدو كأنما وفرت هذه الإنسنة لنفسها آخر طاقاتها الضئيلة طوال حياتها، لكي تُقتل عندئذ على نحو بطء مؤلم، وتُخرب.

من أجل من تُخرب البطن في نهاية المطاف ...؟ من أجل المرض. المرض يحصد ما لا يزال من الممكن حصاده. ولم يعد كثيراً.

صحيح أن الأم قرأت الكثير عن هذا المرض الخبيث في صحف نهاية الأسبوع، إلا أن الخوف يتملکها الآن بكل قوته. وعلى الرغم من أنها قرأت أن الخوف لا يؤدى إلا إلى أن كل شيء يزداد سوءاً، وأن

على الإنسان أن يحفظ توازنه، فإنها تخاف خوفاً
فظيفياً وفقد توازنها كلياً.

قالت «باولا» ذات يوم إنها ستدبر إلى طبيب
أمراض النساء ليصف لها الحبوب عندما يعین حين
ذلك، حتى لا تلد أولاً كثيرة. يا وقحة يا خنزيرة،
أتريدين الذهاب إلى طبيب، إلى رجل أجنبي، يفحص
جسمك ، يا للقرف، هذا من عمل الشيطان. عندما
تكون «باولا» مقيمة في مملكة ربة البيت الخاصة بها،
فلن تفعل ذلك.

«باولا» أحست بالارتياح؛ لأنها لم تكن تريد الحياة
طويلاً في مملكة الأم، بل في مملكتها هي.

ولكن «إيريش» لا يتخذ أية إجراءات لأى شيء.

الخياطة تجعل «باولا» عصبية وقلقة. والذهاب
المتعدد إلى مركز التدريب على الخياطة ^(١) يلهيها عن
«إيريش». «باولا» لا تحتمل الانتظار بتاتاً إلى أن تعود
إلى البيت. خسارة أنتا لن نحصل على بيانات عن
تجربة «باولا». «باولا» تود أن تعتكف في الحياة
الخاصة. إلى اللقاء يا «باولا» على مستوى أكثر
خصوصية وأكثر راحة

(١) سلم العاملين الحرفيين يبدأ بالصبى المدرج أو الصببة المدرجة
التي تتحقق بالعمل بهذه الصفة وتلتقي أجرأ بسيطاً ويكون على
هؤلاء المبتدئين تعلم الحرفة عملياً بالمارسة وبمتابعة حصن
تدريب نظري وعملي، ثم تادية امتحان. ويمكن أن يتعلم
الناجع ليصبح عاملاً حرفيأً. أعلى درجة في سلم الحرفيين
هي درجة المعلم ولها دراسة عملية ونظرية وامتحان صعب،
(المترجم)

ما تكاد «پاولا» ترجع من حصة التدريب على الخياطة حتى تلقى بنفسها فى أجمل فساتينها، الفستان الأحمر، وتطلع الجبل تجاه «إيريش». فوق يتلقفونها كالبوميرانج^(١) حتى قبل أن ترتاح تماماً من جهد الجرى ، تلقى ضربة بالقدم من الخلف، فتجرى البنت عائدة إلى البيت.

«پاولا» تصعد الجبل عدواً ويكون عليها أن تدور دورة حول نفسها، وأن تعود عدواً هابطة سفع الجبل، مثل من يبلغ عن حريق. كأنها لم تصل إلى نتيجة.

مقاليد الأمر والنهى فى البيت فوق فى يد أم «إيريش» وجدة «إيريش».

مقاليد الأمر والنهى الفعلية فى قبضة الرجل الوحيد فى البيت، زوج أم «إيريش»، الذى كان موظفاً حكومياً، وهو ما لا يستطيع الكثيرون أن يقولونه عن أنفسهم عندما يحين فى نهاية المطاف حين الحساب الأخير.

زوج الأم واسمها «رِيُو»^(٢) لأنه مريض بالريو يشغل المرأتين المضمضتين حتى تكون هناك بهجة.

(١) عصا خشبية محوية من أستراليا تلقى من بعيد على الهدف فإذا أخطأته عادت إلى الرامي وأصابته. يضرب بها المثل فيمن تصيبه ضربته الفاشلة. (المترجم).

(٢) بالألمانية Asthma وهى الكلمة التى تعنى مرض الريو المعروف. (المترجم)

هي بهجة بالنسبة إلى «ربو». وهي بالنسبة إلى المرأتين بهجة أقل من بهجته، ولكنها بهجة أيضاً.

وهو يتولى الأمر والنهى بحيلة ماكرة، حيلة موظف الحكومة.

يتولى الأمر والنهى بلا كلام، فقط بشخصيته. «ربو» الموظف المريض المحال إلى المعاش، يقعد مثل سلحفاة أرضية في مكانه ويزودونه بالطعام والشراب وبرنامج التليفزيون.

ويحوم «ربو» مشيخاً شخصة داخلية قبيحة مطبقاً فوق كل شيء مثل الكابوس.

«ربو» يسيطر على كل شيء سيطرة مطلقة، كما كان في الماضي يسيطر على جزء صغير من السكك الحديدية الاتحادية ولكنه جزء جوهري. كثيراً ما يحكي «ربو» عن هذه الأوقات. فيسود توتر تحبس معه الأنفاس.

بينما «ربو» يحكي حكاية تتقطع من فرط الحشارة عن وقائعه في السكك الحديدية، تلك الواقع التي لا يصدقها العقل وإن كانت حقيقة، تتراوله الأم بعملية تنظيف وتكييس تدخل بها إلى داخله وتخرج بها إلى خارجه، وتطلع بها من فوقه وتزل بها من تحته، حتى تصبح هناك متنة^(١).

(١) استخدام ساخر لكلمة المتنة، ثم كلمة السعادة، حيث أن المقصود هو العكس! (المترجم)

لم تشعر الأم منذ سنوات بشيء من المتعة.
المتعة التي كانت الأم في الماضي تشعر بها أحياناً
اضطررت أن تدفع ثمنها غالياً بطابور طويلاً من
الأولاد.

وقد تبعت المتعة سعادةً دائمة، سعادة لم تكن مثيرة
إلى حد كبير، ولكنها في المقابل كانت أكثر بقاءً، لا
وهي سعادة كثرة الأولاد.

«ريبو» يدعهن يخدمنه وقد غمرته المتعة كدجاجة
الليجمورن (١).

«ريبو» يود أن تمحو الأم كل ذكري عن متع
قديمة في داخلها. وأحب شيء إلى نفسه أن يرى
كيف تقوم الأم بكتح القذارة من الأرضية
بأظافرها. الموت وحده للأسف هو الذي سيتحول
دون إنجاز الأم كتح كل شيء غير نظيف عملته
من قبل.

«ريبو» يراقب زوجته مراقبة عنيفة، فكثيراً ما كانت
تقع في الغواية في الماضي. أما الآن فـ «ريبو» وزوجته
على الطريق الصحيح، إنهم تقريباً في القبر. لم يبق
لهما إلا برهة قصيرة.

«ريبو» ينظر في جو الجبل المسالم إلى زوجته وهي
تعمل. نظام حوضها المريض تحتاج بالطلاققة
الصارخة على هذه المعاملة القاسية. لا شيء

(١) فصيلة من الدجاج، والدجاجة الليجمورن كثيرة البيض.
(المترجم)

يساعدها. ولا بد من أن يقوم أحدهم بالعمل،
وأحدهم هذا هو الأم. والامتنان^(١) يعينها على
ذلك.

الامتنان يعصر من أجلها خرقه مبتلة.

يفرح بهذا روماتيزم المفاصل.

الأم تشبه قرن فاصوليا فارغ أو شنطة مشتروعات
خاوية بعد أن وقع منها كل شيء من زمان. إنها تشبه
شبكة زادت فتحاتها خروماً كثيرة.

في هذه الأثناء تصعد «باولا» الجبل عدواً.

عندما تدق حافلة النقل العام نفيرها علامةً على
وقوفها في محطتها تكون تلك العلامة بالنسبة إلى أم
«إيريش» علامة على أن «باولا» رجعت من شغلها.

وتنتظر الأم فوق منذ برهة، آه ها ، الآن تلبس
«باولا» ملابس نمرة، الآن تمشط شعرها
الخفيف المصبوغ باللون الرمادي الفيراني، تمسك
الآن قلم أحمر الشفاه، الآن الحذاء المصنوع من
البلاستيك الذي كان رخيص الثمن ولكنه جميل
الشكل. الآن تأخذ أيضاً الشنطة الصغيرة، المناسبة
لها لوناً، البيضاء. الآن: إلى الأمام سر.

(١) كلمة «الامتنان» مستخدمة على سبيل السخرية. ويدرك
الألمان والنساويون بعد سقوط النازية أن كلمات «الامتنان»
والشكراً، كانت ترد في خطب هتلر وجوبليس فاتخذت طابعاً مقلوباً
(جوبلز) وأصبحت عبارة «امتنان الوطن» تعنى الكارثة والمعاناة.
ونلاحظ أن الامتنان هنا مؤنسن على طريقة يلينك التي تؤنسن
المجردات. (المترجم)

إلى «إيريش».

الآن تبدأ الأم كذلك في التحرك، شعارها اليوم هو: نعم للبطء الجميل، ولا للعجلة.

تظهر «باولا» عند المنحنى، وتصطدم بالأم، جامدة ومغيبة. الأم تفكر حانقة وقد افترستها الكراهية: إذا كان الموضوع هو الرجل فهي تتحرك، أما إذا كان هو الشغل فهي فجأة لا تتحرك.

«باولا» ترطم في جريها بأم «إيريش» كما يرطم الطائر في طيرانه بلوح زجاج، بحائط خرساني، النتيجة واحدة: التوقف.

إلى الأمام سر. نزول في الاتجاه المضاد، وبشيء من الهمة من فضلك.

الأم تقول: «باولا» لم تفقد هنا شيئاً. بينما «باولا» فقدت هنا قلبها.

الأم تود أن يستمر «إيريش» في حلب البقرة الوحيدة التي تدر لبناً لقهوة بابا، وتود أن يسكن الخنزير علاوة على ذلك. الأم تعانى من سل العظام، وهذا قدر مشئوم على «إيريش» أن يخففه عليها. قياساً على تقلبات حياتها كان العدل أن تستحق الأم شيئاً أسوأ من سل العظام، ولكنها نالت موظف حكومة، و«باولا» تستحق شيئاً أكثر سوءاً، وسوف تتاله.

«إيريش» يحتاجون إليه في الأعمال الثقيلة، وفي الأعمال الدقيقة إذا كان يصلح لها بمخه المحدود.

سلام الرب عليكم^(١) ، أتيت من أجل «إيريش»، بهذه الكلمات تستطيع «پاولا» أن تشدو كالعصافير، ولا تستطيع أكثر من ذلك. إنها لا تخجل من الجري وراء «إيريش». «إيريش» هو أعظم ممتلكاتها إنتاجاً.

مثل اللعبة ذات الزمبرك التي على شكل حيوان تندفع «پاولا» مسرعة هابطة سفح الجبل، وكل خطوة تبعدها عن هدفها، عن «إيريش».

الأم تبعد دائمًا، إذا لم تكن مشغولة بعمل، عند كوة نافذتها للمراقبة وتحدق في درب الجبل.

«پاولا» تبعد دائمًا، إذا لم تكن مشغولة بعمل أسفل درب الجبل، وتحدق فيه من أسفل إلى أعلى.

والجدة تبعد عند كوة نافذتها بحجرتها، والجدة تقدمت بها السن وبلغت الحد الذي أصبح الناس عنده على الأحرى يحتملونها على مضمض، ولو لم تكن ابنتهما هناك هي وزوجها «ريبو» الذي يعولها لضاعت. وجود الجدة معلق في خيط حرير، فوجود آكل أكثر معناه وجود آكل أكثر من الاحتمال، حيث إن «ريبو» يلتهم كل شيء وحده.

الجدة والأم تقومان على التبادل بورديات مراقبة حتى لا يأخذ منها أحد «إيريش». «ريبو» على أية حال لا يأخذ منها أحدًا بل يبقى لهم. ولا يقف الأمر الآن عند حد أن كل واحد يكره كل واحد، بل إنهم

(١) التحية في النمسا وجنوب المانيا Grüß Gott = حرفياً حيَاكَمَ الرب، سلام الرب عليكم. (المترجم)

جميعاً ياجماع جميل يكرهون كذلك أيضاً «باولا» التي ليس عندها ما تقدمه هدية إلا الحب ونفسها.

وهذا قليل أشد القلة.

«باولا» تميل على الأحرى يقيناً إلى أن تستغل قوة عمل «إيريش» لأهدافها الخاصة القدرة، ألا وهي بيت وطفل وعيال وسيارة. والمنفعة التي يمكن أن تجنيها «باولا» من «إيريش» لا يمكن أن تعادل الضرب المبرح الذي سينهال به «إيريش» عليها. الضرب المبرح لا يعادل المال أبداً. المال أقل من الضرب المبرح.

«باولا» في المقابل ليس لديها ما تهديه إلا نفسها وحبها.

وهذا قليل أشد القلة.

الفرق بين «زوزى» و«بريجيت»، المشترك المحتمل بين «زوزى» و«بريجيت»،

بين «زوزى» و«بريجيت» خط حدودى لا يمكن زحزحته: إبريق القهوة الملىء. إنه خط فارق حاد أليم يضع كلاً منهما فى مكانها ويفصل بين الشخصيتين اللتين لا سبيل إلى الجمع بينهما. إذا رفعت إحداهما إبريق القهوة وصبت القهوة، إذا بـ «زوزى» و«بريجيت» فجأة معاً جمِيعاً وليسَا مفترقتين منفصلتين شتى.

ثمة نقطة فارقة بينهما هي على سبيل المثال أن «زوزى» تروم أن تحقق الخير للإنسانية كلها، للجميع، كباراً وصغاراً، وعلى نحو خاص الأطفال الصغار الجوعى في العالم كله؛ لأنها امرأة وستكون عما قريب أمّا. تصوّرُ الأطفال الصغار الجوعى بشغفٍ في نظر «زوزى»، المرأة في داخلها ثائرة من أجلهم، الأم المستقبلية في داخلها تهب ساخطة من أجلهم.

ولهذا السبب ومن أجل هذا الهدف نشطت بقدر ضئيل في اتحاد طلابي سياسى وبقدر كبير في فريق للرقص الشعبي. وهى تخفي بمهارة على والديها الحبيبين أمر الاتحاد الطلابي السياسي أما فريق الرقص الشعبي فتحمله أمامها كالحمامات المحبوبة

....

«بريجيت» تريد «هاینتس». «زوzi» تريد في المقام الأول أن تناقش وأن تعاور. تخطر بيالها كلمات كثيرة والأشياء المرتبطة بها، وهي تصرفها عن نفسها في اللحظة التي تخطر فيها بيالها.

«زوzi» تبصق في كل مرة تفتح فيها فمها كمية كبيرة من الجوع في الدنيا قاطبة. «بريجيت» تبعد القشدة المضروبة . الكريم شانتي. عن بصر «زوzi» وتضعها في مكان آمن. «زوzi» تحب أن تتعلم الطهي، وهو ما يعلمونه في المدرسة الثانوية النسائية، حتى لا تدع «زوzi» على الأقل زوجها وأولادها، عندما تكون قد تزوجت، يضطرون في المستقبل إلى الجوع مثل آخرين كثرين يمكنها أن تذكر أسماءهم. «زوzi» تجد عبارات مختلفة كثيرة جداً تعبّر عن الجوع والظلم. «بريجيت» لا تجد إلا أن من الظلم فقط أن ينشغل «هاینتس» بـ «زوzi». وزوzi تجد أن من الظلم أن يشبع «هاینتس» وترضى نفسه، بينما يجوع الكثيرون. وتردف قائمة شيء جميل أن يرقص الإنسان على طريقة الشعب في فريق رقص شعبي، ولكن شيء جميل أيضاً، على النقيض من ذلك، عندما يكون الإنسان إنساناً مفكراً، يهتم للبؤس في العالم.

«بريجيته» لا تعرف إلا كلمة واحدة هي: هاينتس. وهي حقيقة تعرف الكلمة الدالة على العمل، ولكنها لا تتطقها؛ لأنها لا صلة لها بها. وهي تقول بالفخر كل الفخر إنها لم تعرف الجوع قط، ولن تجوع أبداً في المستقبل على العكس من الكثيرين الآخرين الذين لا تستطيع أن تذكر أسماءهم، الذين يستحقون ما يجري عليهم؛ لأن الجوع لا ضرورة له، عندما يكون الإنسان مجتهداً، و«ب» هنا تفكير في «هاينتس» واجتهاده، ولا تفكر في اجتهادها هي.

و«بريجيته» تزهو بأنها كان عندها دائماً ما يكفيها، وبأن «هاينتس» سيكون لديه ذات مرة أكثر مما يكفيه، بل سيكون لديه أكثر مما يكفيهما كليهما جميعاً.

أحياناً يصيب «بريجيته» من المنففات ما يكفيها، أحياناً تطلع المنففات من داخلها حتى تصل إلى حلقاتها. عندما تتأمل «هاينتس» في مثل هذه اللحظات، تحس من فورها عندئذ بأن ما بها أقل من القليل، ويكون على «هاينتس» عندئذ أن يعمل، أن يشغل المحرك وأن يحقق إنجازاً عملياً. إنجازاً عملياً يستطيع الجميع رؤيته.

«هاينتس» موهوب تقنياً، ولهذا فعل إنجازه أن يقع في مجال التقنية. «زوzi» و«بريجيته» تزهوان بما تخرجه التقنية كل يوم. «بريجيته» أكثر زهواً من «زوzi» لأن «هاينتس» واحد من هؤلاء الذين خضعوا للتقنية، وفهمون كيفية التعامل معها. سيبقى

«هاینتس» و «بریجیتہ» الكثیر من الأجهزة الكهربائية، بل سيكون في مقدور «هاینتس» أن يصلحها.

«زوّزی» أكثر زهواً من «بریجیتہ» لأنها سيكون في مقدورها مالياً أن تشتري كميات كبيرة من هذه الأجهزة. وسيكون في استطاعتها أن تعطى «هاینتس» أوامر لإصلاحها إذا ما أصاب بعضها عطل.

هناك فرق كبير بين زهو «بریجیتہ» الحرف، وزهو «زوّزی» الامتلاكي. «بریجیتہ» ليست فنية حرفية، «هاینتس» هو الفنى الحرفى. كذلك «هاینتس» يحس بالزهو.

«هاینتس» يزهو بأنه ذات مرة سيكون في استطاعته أن يعين عنده عملاً حرفيين، يؤدون من أجله أعمال الإصلاحات القذرة. عندئذ سيكتفى بمزيد من مراقبة محل.

في هذه الأثناء تظل «زوّزی» دائمًا تحس بالأسى حيال الناس الذين أحوالهم أسوأ من أحوالها هي.

وفي هذه الأثناء تظل «بریجیتہ» دائمًا لا تحس بالأسى حيال من هب ودب؛ لأن عليها أن تركز كل التركيز على «هاینتس».

«زوّزی» لا مصلحة لها في «هاینتس». فالواضح أن «زوّزی» عندها كل شيء. و«زوّزی» تحس بالأسى حيال «بریجیتہ» أيضًا.

«بریجیتہ» تحس بالأسى حيال «زوّزی» لأن «زوّزی» لا تستطيع أن تعرف مميزات «هاینتس».

ومع ذلك وعلى الرغم من أنها لا تود أن تنبه «زوزى» إلى هذه الميزات، وعلى الرغم من أنها لا تود أن تسيل لعاب «زوزى»، فإن «بريجيتة» لا تتكلم عن شيء آخر إلا ميزات «هاينتس».

«زوزى» لا تزال تحس بالأسى حيال «بريجيتة»، التي لا يبدو عليها أنها تدرك أن هناك منتجات متميزة أفضل من «هاينتس».

والإنسان يلاحظ أن هناك بين الاثنين حدوداً طبيعية هي من القوة بحيث لا يستطيع أحد هدمها.

«بريجيتة» عدوة لـ «زوزى» أكثر من أن «زوزى» عدوة «بريجيتة».

«هاينتس» يتبع بانتباه ما تشرحه «زوزى». وهو ينظر حوله، وينظر حواليه، ويبحث في أي مكان عن جوع، مما يقال عنه إن الموجود منه كثير. ثم يقول على سبيل الفكاهة لقد اشتدت شهيتي بحق الآن بعد كل هذه المحادثات حول الجوع والبؤس، إلى تناول شريحة من اللحم المحمر.

ويمسح «هاينتس» بيديه على كرشه الشحمي وهو يزوم.

وتهب «زوزى» و«بريجيتة» قائتين كائناً وخذلهما عقريتان من جنس التراثنة^(١). كل منهما تحاول أن تسبق الأخرى على الطريق إلى المطبخ. «زوزى» تفعل

(١) نسبة إلى مدينة تارانتو الإيطالية ويضرب بهذه العقارب المثل في الوحز الأليم السام. (المترجم)

ذلك بدافع الاعتداد بنفسها، و«بريجيته» بدافع الخوف من براعة «زوzi».

وتطرح البنتان بعضهما بعضاً أرضاً. وتلاكمان وتحدثان الواحدة في الأخرى جروحاً قبيحة وكدمات زرقاء. بل أصيّبت «بريجيته» بسحجات. ويرقد «هайнتس» على الكرسي الطويل وينعم بالصمت والطبيعة والروائح المنبعثة من المطبخ. لديه الآن بالفعل شهية لتناول شريحة حلوة من اللحم على الطريقة الشيناوية^(١) مع سلطة الخيار.

وينصت «هайнتس» مبتهجاً إلى صرخ «بريجيته» وزعيقها وقد همت بجذب «زوzi» من شعرها لتبعدها عن فرن المطبخ. ولكنها لا تنجح لأن «زوzi» رياضية متمرة وتلعب كذلك التنس وكرة السلة. وتلتقي «بريجيته» من «زوzi» ضرية تأديب على أصابعها، «بريجيته» تولول. تعود كابن آوى، هكذا تذوب كل فرحة اليوم الجميل في المسلى المقدوح. ففي هذه الأثناء تكب «زوzi» على العمل.

«زوzi» هادئة وباردة للأعصاب كالثلج ومتئدة مثل الموت ذاته وهي تفتش البيض.

كذلك الأم بعين ضاحكة وعين باكية ترهف السمع إلى ما يجري في المطبخ. بابا يقول إن البنتين

(١) Wiener Schnitzel شريحة اللحم على الطريقة الشيناوية نسبة إلى مدينة فيينا عاصمة النمسا تصنع من لحم العجل البيتلوا وتكتس بالبقسماط، ولها شهرتها في النمسا وخارجها.
(المترجم)

تصابحان كالدجاج. عين الأم الباكية تقول إنها تفقد الآن «هاینتس» الذي ستأخذنه «زوبي». هي التي ريتها، والآن تأخذنه «زوبي» التي سترعاها هو وبطنه رعاية جيدة، لا قلق من هذه الناحية. وعين الأم الضاحكة تقول «بريجيت» بقى لها أن تنظر من خلف «هاینتس» وهو يولي عنها.

باستثناء دار المسنين لن تكون أم «هاینتس» على حق. «هاینتس» يفكر في أن «زوبي» عما قريب لن تقزز نفسها بموضع الجوع في العالم عندما يكون عليها أن تشفل كلية بجوعه هو. سيمثل كل يوم من أيام «زوبي» ذات مرة كل الامتلاء.

سيكون هو شغلها الشاغل وستلتقي الحياة الأسرية لتتزوج في رأسها ثابتة راسخة.

«هاینتس» يمسك بالخيوط كلها في يده.
هكذا، شرائح اللحم تم قليها.

أبدعتها «زوبي». ولهذا يحق لـ «زوبي» أن تحمل الأكل كله وتدخل به. «بريجيت» تحاول أن تأخذه من يدها بالضرب، ولكن أم «هاینتس» أسرع من «بريجيت»، إنها تضريها على أصابعها ضربة قوية ترن وتحدث صدى.

يقول «هاینتس» لـ «بريجيت» الصارخة متئداً:
عندما أكل أحب أن أنعم براحة. اسكتي، ولا تلقيت
مني ضربة أخرى. ضربة تسند ضربة.

ضربة تسند ضربة. «بريجيٰته» تلزم السكون على الفور، وتفكر في سعادتها المزدوجة، في البيت وفي محل الأجهزة الكهربائية. «بريجيٰته» تلزم الصمت لكي لا تعرض سعادتها للخطر.

«زوّزي» منفوخة جداً، من فرط الزهو. أفكارها نظيفة جداً ونقية.

«هainتس» الحلوف العلوف لديه أفكار قذرة جداً، يكتبها الآن وهو يلتهم العلف. على الرغم من أن «زوّزي» تخفي دائمًا أبدًا بمهارة أنوثتها فهى موجودة. بعد الكيك والقهوة عندما يشبع «هainتس» سيفكر في «زوّزي» وأنوثتها

«هainتس» لا يفكر الآن في شيء، فكاه يطحنان ببطء ولكن بإتقان.

«بريجيٰته» التهمها الكرة تماماً حتى إنها نفسها لا تستطيع أن تلتهم شيئاً. وهى تحاول أن تحظى من قيمة الشريحة الفيناوية التي أعدتها «زوّزي». أما «هainتس» فيرفع بدوره من قيمة الشريحة الفيناوية. ويلتهم نصيب «بريجيٰته» من فوره. إلى هذا الحد كان الطعم لذيداً.

«هainتس» يعتبر نفسه نواة الخلية الأولانية، هذا ما علمه إياه والداه الحبيبان.

«هainتس» يعتقد أن الارتباط بينه وبين امرأة أصلية كاملة الأوصاف لابد من أن يؤدي إلى العلاقة المثالية.

«زوزى» تعتقد بالفعل أنها امرأة أصيلة كاملة الأوصاف، ولكن هذا لا يمكن أن يؤدي إلى علاقة ما بـ «هاینتس». «زوزى» تريد رجلاً أصيلاً كاملاً الأوصاف تتخلذه زوجاً، وليس هذا الرجل هو «هاینتس» في نظر «زوزى» «هاینتس» بروليتاري علقوف. والرأي عند «زوزى» أن «زوزى» طباخة ممتازة، حتى لأبيها.

«زوزى» تحاول الاستمرار في شرح البؤس حولنا وتحريض عائلة «هاینتس» على اتخاذ موقف ضد هذا البؤس.

أبو «هاینتس» يقول بلهجة شديدة الود إن عليها أن تسد حلقاتها؛ لأن ابنه «هاینتس» لا يود أن يسمع في أثناء التهام الطعام شيئاً محزناً، بل يود أن يسمع شيئاً بهيجاً. وابنه «هاینتس» الآن يلتهم الطعام مرة أخرى، ألا تستطيع «زوزى» أن ترى ذلك.

«زوزى» تصمت مفروضة، إنها تخجل من أجل الجمهور العام البليد الذي يجسد هنا أبو «هاینتس». «زوزى» هادئة تسترسل في حلم: انقضت ساعتان مرة أخرى، وحتى الآن لا يبدو طبيب أول في الأفق.

«هاینتس» يحلم في يقطنه بأشياء صغيرة: «زوزى» الصغيرة تتنمط بمريلة صغيرة لطيفة في حجرته المطبخ.

«هاینتس» الخبير الماهر بأمور الحياة، المتخصص الذي يعرف ما يعرف نقلأً عن والديه، يقول له «زوزى» هازلاً : ستولى عن حضرتك هذه الأمور في الزواج.

«هайнتس» الذى يتكلم دائمًا بجمل عامة، كأنه يعرف الموضوع، كأنه تعلمـه، أو خرج به من خبرة. والواقع أنه سمع به فقط من والديه أو من زملائه فى العمل. والداه لا يعرفان شيئاً، وإلا ما كان الأب ليقوم بسفريات بعيدة. وإلا كانت الأم على أية حال ستضطر إلى الاستمرار دائمًا أبداً في شغل البيت. وأيًّا كان الرجل فإن شغل البيت يظل ملك يمينها. «هайнتس» يتكلم كأنما كانت له خبرة كبيرة بالحياة، وما كانت لديه هذه الخبرة.

«زوzi» تحكى عن هواياتها: الأجانب من البشر والبلاد الأجنبية. «هайнتس» الخبير يقول الحال عندنا أجمل حال. «زوzi» تتكلم بازدراء. وعلى الرغم من ذلك يعرف «هайнتس» أحسن منها، هو رجلٌ رجل. «بريجيـته» تظهر في هذه الأثناء شدة اهتمامها بصيني وملأعـق عائلة «هайнتس».

«بريجيـته» تحافظ على الصيني لكي لا تتباهـه بد أجنبية.

«بريجيـته» تبين كم تحب الصيني المزخرف بالزهور الصغيرة، وتمسك الفناجيل بين أصابعها كأنها كنكتوت خرج لتوه من البيضة. بخفة بالغة. ما كان يمكن أن تؤمن على هذه الأشياء هذه الأيدي غير المدرية. المسألة تسبب حرجاً لوالدى «هайнتس». قد تعتقد «زوzi» الآن أن الصيني شيء خاص متميز عند عائلة «هайнتس»، وما هو بشيء خاص إلا في نظر العاملة «بريجيـته». والدا «هайнتس» يسأـلـان

بتأكيد أنها يتاولان الطعام كل يوم في طقم صيني مزخرف بزهور صغيرة، فإذا تكسرت قطعة، هننشترى جديدة بدلها.

«بريجيت» تعتقد أن اهتمامها البالغ المفعم بالحب سيضطر الأفكار الأجنبية الخارجية التي تلاحظها الآن أحياناً عند «هابنتس» إلى أن تتلاشى، ولكنها لا تتلاشى؛ لأنها ليست أجنبية خارجية بل داخلية فهى أفكار موروثة عن والديه. أخطأت «بريجيت».

«زوzi» تمد يدها إلى الإبريق وكأنما هو من الصاج وكأنما هو ملك لها. نحن لسنا في السجن حيث الأواني المصنوعة من الصاج، إننا مع الصيني عند عائلة خطيبى المستقبلى. خطيبى! «بريجيت» تريد أن تتزع منها الإبريق، وتحافظ عليه، وتضمه إلى صدرها إلى قلبها وتهدهده كالربيع، حتى يرى كل واحد كم تقدر هى أيضاً قيمة ما سيكون ملكاً لها. وعلى الوالدين أن يسدوا حلقهما، فى دار المسنين، سيكون فى مقدورهما أن يلتهمما الأكل الردىء من طبق صاج، هذين المُهَكِّعَيْنِ المرعوشين.

إحدى البنات على خطأ بين. كما هي الحال دائماً: «بريجيت». «بريجيت» و«زوzi» تلعبان على الحب والأنوثة.

«زوzi» تتجح في هذا المسعى لأنها فعلاً حبوبة، وهذا ما تستطيع بسهولة أن تكونه، فهو لا يكلفها شيئاً، ويُسْرُ كل من حولها. ولو كان يكلف شيئاً، فإن «زوzi» قادرة على تحمل النفقات.

«بريجيته» لا تنفع في هذا المسمى لأنها في الطريق القاسي إلى «هابينتس» أصبحت قاسية وامتلأت مراة. بالنسبة إلى «بريجيته» لا ينفي أن يكلفها شيئاً، اللهم إلا جوهرها. وجوهر «بريجيته» ينخر فيه الآن الكثير من الضيوف الذين لم يستخفهم أحد: خط السوتويانات الجامد هو أشد هؤلاء الضيوف الناخرة عتواً. جوهر «بريجيته» رقيق كالحرير المستهلك التايك.

الصمود وحده هو الذي يحفظ الحصن. أما الحب فقد ذهب منذ حين لينام. ليس هناك من يستطيع أن يظل يقطأ كل هذا الوقت.

مرة ثانية يضطر الحب إلى الفشل وتنتصر القوة الفاشمة.

لابد من أن تنتصر «زوzi» دائماً؛ لأنها حبوبة وطيبة. وأن عندها إنسانية. «بريجيته» ضد الإنسانية.

«بريجيته» تكسب بكل القسوة الصراع على إبريق القهوة. تضطر «زوzi» ذات الأنوثة والنعمومة إلى أن تترك الإبريق. وتجذب «بريجيته» المجردة من الأنوثة والنعمومة إليها الإبريق منتصرة، وهذا هو الإبريق تضمه «بريجيته» إلى صدرها: لقد انتصرت. «زوzi» تقول، عندنا في بيتنا إبريق أجمل من هذا بكثير، سأذهب الآن إليه.

وترمى أم «هابينتس» نفسها في سكة «زوzi» لكي تبقى. وتعدها بأن تشتري أجمل إبريق على الإطلاق

إذا بقيت ولم تخرج. وتضم أم «هайнتس» «زوزى» بقوة إلى صدرها الذي أرضع «هайнتس» منذ سنين وجعله فيما بعد رجلاً ينظر إلى ما هو جوهري. لا إلى اللاجوهري. أى «بريجيته».

أم «هайнتس» تقول لـ «زوزى»، علينا أن نتضافر أنتوياً ضد القسوة اللأنثوية - «بريجيته».

وكسبت «زوزى» المعركة في النهاية بفضل أنوثتها ونعومتها. عليك أن تبقى هكذا يا «زوزى»! لا تدعهم يعلمونك الخشونة!

ولكم ود «هайнتس» أن يصفع «بريجيته». في اللحظة التالية يصفعها «هайнتس» بالفعل. على الرجل أن يفعل ما آلى على نفسه أن يفعله. هذا الظلم مؤلم! لقد أنقذت «بريجيته» في نهاية المطاف إبريق العائلة من الدخيل. لا تزال تضم الصيني إلى صدرها، الصيني أصبح دافئاً دفء الجسم، على عكس «هайнتس» الذي ظل بارداً حيال «بريجيته».

على مفرش المنضدة بقعة داكنة كبيرة. «زوزى» تعود إلى المطبخ، لكن ترضى غرائزها التي تقول لها: نظفي المفرش!

تظهر في الصورة خرقـة مبلولة. بنجاح شخصى تدع «زوزى» الخرقـة المبلولة تنزلق على مفرش المنضدة. تقول «بريجيته»: أنا لا أعطى الإبريق إلا الحمأة أو هайнتس، أما حضرتك فـ«لا». ولكن لم يهتم بها أحد. وصفق الجميع المتحمس المكون من «هайнتس» وأبويه، لـ «زوزى».

«بريجيٰتٰه» غير موجودة. ولو لم تكن «بريجيٰتٰه» لا
تزال تمسك الإلٰريق بکوارعها المخرمة، لما رأها أحد
اطلاقاً.

أما ما أخطأت في عمله «بريجيٰتٰه» بلا أنوثتها،
فقد أصلحته «زوزى».

وهي لا تريد في مقابل ذلك شكرًا، لا لا .

«بريجيٰتٰه» تريد في مقابل «هابينتس».

ولكن هذا المسعى يتحقق على هذا النحو على أية
حال.

حيث يكون حب، يكون أيضاً طريق

القسيس يقول الحُبُّ طرِيقٌ إِلَى الْأَنْتَ^(١). «پاولا» تسعى إلى تقاهم مع «إيريش». «پاولا» تبحث إذاً عن طريق إلى الأنت أكثر قريباً من الأرض. «پاولا» تبحث عن أساس تستطيع أن تقابل عليه «إيريش»، حتى يكون في مقدورهما أن يقوما عندئذ ب أعمالهما القدرة المشتركة معاً.

كل منظومة مهما كانت من الصراامة فيها في مكان ما ثغرة يستطيع الإنسان أن يتسلل من خلالها. وكثيراً ما يقوم الحب باكتشاف مثل هذه الثفرات. فكر حُبُّ «پاولا»^(٢) من فوره في الوكالة الاستهلاكية. حماتها المستقبلية نسيت الوكالة الاستهلاكية، وأصبح على «إيريش» دائماً أن يقوم بمشتروات الأسبوع الكبيرة.

(١) إد + أنت . مثل أنا والنحن والهو والخ. (المترجم)

(٢) تعمد يلينك إلى تشبيه البشر (يبحث عن شيء أفضل بمعنى شخص أفضل)، وإلى انسنة الأشياء فتجعلها تقول وتفكر (الغرائز تقول : الحب يفكر). (المترجم)

وأخذ معه كراسة فيها تسجيل لكل شيء. «إيريش» يقدم الكراسة إلى السيد رئيس الفرع الذي يضع الأشياء في الشنطة التي تحمل على الظهر فتزداد ببطء ثقلاً شيئاً فشيئاً ويميل ناحية المطعم.

في كل مكان حول «إيريش» بل في داخل «إيريش» حيطان من أجساد نساء، كلهن أمهات، من كل سن على الأقل أم، وأمام باب الوكالة تزاحم ثمار بطونهن^(١) بالذينيات^(٢) وتتدلى كالعناقيد الكثيفة على الواجهة، وتتدفع بجنون على رولرات فتصطدم بأتوبيسات وعربات النقل الخشبية والسيارات الخاصة، وتقع تحت موتسيكلات وسيارات كومبي وسيارات نقل بمحظورات، وفي حالات نادرة تحت الجرارات البطيئة التي يستطيع الإنسان أن ينجو منها بالقفز إلى جانب الطريق. وقد لوحظ وسجل فقدان طبيعى بين ثمار البطون. ولكنه يؤخذ ببساطة؛ لأن من الممكن على الدوام إنتاج ثمار جديدة بدل فاقد. وعمل الثمرة ليس لطيفاً، والحمل ربما أقل، وليس الوضع بكل تأكيد هزاً، ومن يكون عنده عيّل يعاني الأمرين. ولكن أياً كان الأمر فوجود المرأة كأم يظل لعدة أعوام من خلال العيّل مبرراً ومضموناً.

كل واحد يرى: عائلة كاملة. الرجل يرى: الآن عندي مخلوق آخر غير زوجتي أستطيع أن أضريه

(١) = العيال ، الأطفال الخ الكلمة من لغة الكتاب المقدس.
(المترجم).

(٢) الذينة أو الدستة = عبوة الجملة المكونة من ١٢ قطعة.
وتشتمل الكلمة للدلالة على الكثرة وقلة القيمة. (المترجم)

ضربياً مبرحاً وأن أزعق فيه، ولحم الطفل ناعم،
ولكنه محدود المساحة.

المرأة ترى: لقد أنجزت شيئاً، يتبغى أن يكون
حافظاً لى على مزيد من الإنجاز.

الطفل نفسه: الشخص الرئيس، التبرير الحى
لكل الوقت المضيع دون ما فائدة، كل الوقت المشحون
شحناً هائلاً بأعمال لا فائدة فيها لمن تقوم بها، فهى
تجزها من أجل آخرين، من منطلق فكرة خلفية
معتمدة مفادها أنها فى نهاية المطاف ستترند إليها على
هيئة نور أمومة ساطع على الأقل فى عطة يوم الأحد
بالكنيسة، وهو ما لا يحدث أبداً؛ لأن الأعمال تقع
عليها، لا فى هيئة ضياء قدسى، بل كتلة تزن خمسين
كيلوجراماً تطعن الإنسان وتحيله إلى طحينة. وذات
يوم تذهب كتلة بلا شكل اسمها ماما إلى الفراش
ويكون من يدعى بابا قد مات ودفن من وقت طويل

....

الشخص الرئيس، الطفل الصغير، تغير له اللفظ
والكوافيل، إلى أن يمشى ويجرى بالرولر، عندئذ
تهال عليه الصفعات، ويحملونه أثقال شنط
المشتروعات، ويحشوونه بالمحشيات، ويفتتونه تحت
السيارات، أو يسقط فى الترعة الشيطانية، أو فى
أيدي أب مخمور، أو تحت خشب الوقود المفلوق أو
شطايا خشب الوقود المهدور أو فى أيدي بعض هاتكى
الأعراض. عندما ينجو بحياته يمكن أن يرطم وهو
ابن الخامسة عشرة مخموراً راكباً المتوصيل فى
عمود الكوبرى الخرسانى.

من الممكن أن يلاحظ الإنسان طفلاً منهمكاً في محاولة لعبه تتنفس انتفاضات واهية، فينجذب عنها فجأة جذباً شرساً، وتهال عليه ضربات على الرأس، وشلاليت ورميات بحقيقة الظهر، ثم هيا إلى شراء علف للبهائم. رجوع وملع.

لا يخطر ببال صاحبتي «باولا» شيء من ذلك بينما هي في الخارج تحت أعين الأمهات المشككات وعلى أمل أن تلقى عيني «إيريش» المعجبتين، أمام باب الوكالة توزع بونبون. وتمنع الأولاد الكبار من أن يأكلوا ما تعطيمهم من بوبون، وتحضهم على أن يأخذوه إلى البيت لإخوتهم الرُّضع الصغار جداً. فإذا دس أحدهم سراً بونبونة في فمه تهال عليه صفعه، تخلخل من عنفها الأسنان.

كثيراً، كثيراً، ما تترك حلة الطهي وهي تغلى دون أن يعبأ بها أحد، وتندفع المرأة كالمجنونة إلى الرضيع الذي لا إرادة لها، لكي تجرد جسمه بالقوة من الثوب الملوث بالبراز^(١)، وتعمل بطاقة عارمة على أن تدسه في ثياب بيضاء ناصعة كالثلج مفسولة لتوها. ثم

(١) نلاحظ في كتابات يلينك الالتزام العلمي بتسجيل التفصيات الحيوية التي تشمل الجنس والإخراج والضرر المنفي والدم والجراح والمرض والموت والسداجة التي تؤدي إلى الكوارث والجهل والجري وراء الرجل باى ثمن ووراء خلف العيال دون تدبر وتدبير. ويشمل هذا الالتزام استخدام السجل اللغوي المباشر الذي قد يهز الحياة والتحفظ ورقة الإحساس لدى من لم يألف قراءة هذا اللون من الأدب. ومن منظور مفهومي عن تناقل الثقافات أقف موقفاً وسطاً، مراعياً أن يكتسب القارئ الوعي الانطباع الصحيح عن الأصل.(المترجم)

تتوالى القبلات الكثيرة من أفواه كثيرة تتطبع على البرياتوز الممتلئ. ويجري نقل البراز إلى الفسالة. معجزة من معجزات الطبيعة تتكرر دواماً، كيف يبدل الشيء الأبيض، بل الأكثر بياضاً من الأبيض بالشء الداكن النتن. نُسَي البراز، وطلعت الشمس. أفواه كثيرة معجبة جاءت لتوها زائرة، تقول للطفل الصغير يا خنزور وتقول للأم السعيدة يا أيتها الأم النشيطة. كثيراً ما تحس «باولا» بدافع نحو «إيريش». كثيراً ما تحس الأم بدافع نحو التنظيف.

وهذا هو الدافع نحو «إيريش» قد حل. الشاب الحليوة يحدث أثراً طيباً على هذه الخلافية من أجسام النساء ومن أصحاب المعاشات المهمومين المرتعشين ومن الصفار غير البالغين المحملين بأثقال فوق الطاقة. وبشق «إيريش» عفونة العرق كما تشق الستارة، وهاهو ذا.

وراء منضدة الوكالة نساء متبرمات بلا دبل زواج، لابسات معااطف بيضاء يصلحن كويتها، بينهن أم ولد غير شرعي، وسيذهب الولد، الآن عما قريب، مبكراً، إلى الفابة لقطع الخشب. تسريرات شعر برمانت، بلوثرات جديدة عليها اسم الوكالة تحت المعااطف البيضاء، أحذية واطية برياط ومن فوقها سمانة رجل بيضاء تخينة، أسنان ذهب، سلسلة ذهبية يتدلّى منها صليب. تهال على «إيريش» أسئلة كثيرة صعبة مجلجلة عن أمه وجدته وأبيه، وتخرج إجابات من فم «إيريش» أبطأ بكثير من الأسئلة. حيال الأسئلة يقف

«إيريش» كالثور أمام السياج الحديدي. شكرأً بخير.
نور النيون غير مألف للعيون التي ينتح لها أن تعم
بهواء الريف النقى. نور النيون غير طبيعي وغير
صحي. «إيريش» جميل الطلعة مشوق القوام.
البائعات يتملکهن في الحال حنين إلى نُفَّة من
الحب.

«إيريش» ليس لديه نُفَّة من الحب ليوزعها، بل
ليس لديه حب بتاتاً. حتى أقرب قرباته، اللاتي
انقصعت أيديهن من مدها أكثر من مرة تطلب
«إيريش» وضرره المبرح، لم يُتَّح لهن التعلق به، بحسب
«إيريش». «إيريش» يتمنى أن يقتل أبياه وأمه، ولكنه لا
يجد لديه الشجاعة للتتنفيذ. والجميل أنه بدلاً من
ذلك يعذب كلباً صغيراً، قطة أو طفلاً صغيراً، عندما
لا يراه أحد.

ليت «پاؤلا» تعرف ذلك.

«پاؤلا» تجري وراء الحب جري الخنزير وراء حشف
البلوط.

«پاؤلا» تشمسم في كل الشقوق بحثاً عن «إيريش»
لتهبه نفسها.

والحانة تتظر ساكنةً إلى هذه الأعمال، ولكنها
سوف تدخل فعلياً عما قريب في الصراع بين
الجنسيين.

عندما يكون الإنسان مخموراً، يضرب أسهل من
غير المخمور، ولكنه يفيد من الضرب أقل لأنه يضرب

وكان غيامة تفشه، ولا يستطيع حتى أن تكون لديه ذكرى جيدة عن الضرب. على «إيريش» أن يجد طريقاً وسطاً يمكنه سلوكه، وهو ما يتطلب سنوات كثيرة من الزمن، إلى أن يقع مرض الشيخوخة أو تقع الشجرة. سنوات كثيرة من الممارسة.

أما «باولا» فلا تزال تعتقد دائماً أن الحياة والحب أمامها، ولم تعرف للآن أن حبها وحده على أكثر تقدير هو الذي أمامها. على الإنسان أن يعمل كل شيء بنفسه. في مقابل ذلك ينتج شيء. عندما يعمل الإنسان كل شيء بنفسه فسيكون كما ينبغي، ونقول في نهاية المطاف إن الإنسان لم يعد في مقدوره أن يعتمد على أحد حق الاعتماد.

في الخارج صرير فرامل. إنسان أفلت من الموت.

«باولا» ترافق «إيريش» ومشترواته إلى الشونة القديمة. عدد من أولاد الريف الأصحاء سبقوها ودخلوا ثم خرجوا مرضى. البعض وجدوا فيها سعادتهم ثم فقدوها بعد ذلك مباشرة، والفالبية وجدت هنا تعاستها. قليلون هم من وجدوا هنا شيئاً يمكن أن يدخل السرور على النفس. الشعور بالسعادة ليس هو القاعدة هنا، هنا تسيطر الحسابات وعمليات الجمع وعمليات الطرح . هنا برودة ثلاجية.

هنا لم تتحقق بعض أشياء كانت مأمولة. هنا قال البعض عما قريب سنكون ثلاثة. هنا تحطمته بعض الزجاجات وبعض القلوب. هنا يسود الولع الذي لم يره أحد حتى الآن رأى العين. هنا يدخل الإنسان مبتوراً

عاطفيًا ويخرج مبتورًا عاطفيًا. وما جرى بين دخول وخروج فلاشى، ولا يغير شيئاً. هنا يسود قانون أسفل البطن، على خلاف قانون الغابة، الذى ينطبق عند العمل. وتبتلى فى الختام صنوف مختلفة من مياه أذىب فيها مسحوق الفسيل الملابس المتسخة التى كانت قد دخلت الشونة نظيفة مفسولة.

«إيريش» يتعرّض قليلاً تحت وطأة شنطة الظهر الثقيلة وتحت تأثير السيد الكحول^(١). «باولا» تحس وخزاً فى قلبها وضيق تنفس لأنها تتأهب لشيء كبير. والسيد «إيريش» الكبير موجود، ولن يأتي شيء كبير غيره من بعد.

«باولا» تافت فرحانة إلى الحب الذى لن تطاله. حتى بعد أن انصرف «إيريش» تبحث «باولا» بين كتل الخشب وفي المزود المن TNT وفي التبن وفي مصرف الروث عن الحب.

ولكنها لا تحس إلا بألم فى

«إيريش» يصعد الجبل

«باولا» تعلم أن الحب يؤلم عند فقد إنسان عزيز، حدوث مصيبة، حادث بالسيارة الرياضية، الموت تحت مشرط الجراح أو انتشار مأساوي.

كيف يمكن أن يؤلم الحب عندما يأتي؟ وليس فقط عندما يذهب؟

(١) تصور الخمور والكحوليات على سبيل السخرية على صورة إنسان تسميه السيد الكحول. (المترجم)

«باولا» تجلس في التبن تقربياً في لحظة تحول الطفل المرتجى في مخها إلى خوف فظيع وخطر مستطير. من طفل مرتجى إلى طفل مرعب. «باولا» والعواقب.

إذا لم تكن «باولا» بجسمها الذى لم يكتمل نموه وعقلها الضامر، واحتفالها المبتدئ في الخياطة وفستانها الأحمر الجديد، قد استطاعت التمكّن من «إيريش» فكيف يمكنها التمكّن من «إيريش» بطفل صغير؟

ونحن لم نصف الحب بين «إيريش» و«باولا» لأنّه لم يكن له وجود. كان ما بينهما كحفرة في الأرض يعثر فيها الإنسان، فيقع داخلها، ثم يسير من بعدها بخطى عرجاء. لم ينكسر شيء إلاّ إنسان من البشر في زهرة عمره.

ويوم الفسيل في البيت يبتلع بلا حياء المنديل كما ابتلع قمصان الشفل العرقانة الخاصة بالأب والأخ. هكذا يكون الفرح والألم والعمل قريبين أشد القرب بعضهم من البعض الآخر.

بالنسبة إلى «باولا» يتطلب الحصول على «إيريش» والاحتفاظ به عملاً ثقيلاً. لم يعد للعب مكان في الجسم الحب في رأسها فقط

خير للإنسان أن تكون لديه حجرة مطبخ جديدة لامعة من أن تكون لديه فرخة في بطنه. الفرخة لا تدوم والمطبخ يبقى ويدوم. كذلك لابد من أن تأتي غسالة آلية.

على «پاولا» الآن أن تربط بين عمل آلة وبين مهارة
الراقص على الحبل.

ما يتهددها شيء أكثر من الانهيار.

ما يتهددها هو انقطاع التعب....

وليس جميلاً دائماً أن ينقطع التعب.

للأسف

ألا يوجد سوى عطلات نهاية الأسبوع في الحديقة
الشريرية، هذا ما تفكر فيه «بريجيته» التي ناداها
الواجب لتوها: تعالى يا «بريجيته».

كثيرات يدخلن في العمل بشراً لم يتغيروا ويخرجن
منه وقد اعتراهن مزيد من التصلب والسوء.
«بريجيته» لا تريد أن تزيد صلابة، بل تريد
طفلًا.

لا شيء في رأس «بريجيته» سوى «هابينتس».

«هابينتس» يقع في نهاية مستنقع طويل كما
يمكن أن يجد الإنسان مثيله في رءوس كثيرات من
زميلاتها. مع فارق هو أنه ليس هناك عند نهاية كل
مستنقع واحد كـ «هابينتس» يقع ويملأ، وليس هناك
صناiper ماء منكلة ولا سخان ماء ولا سلطانيات
تواتيت.

عند نهايات المستنقعات الكثيرة الأخرى ينتظر

أناس أقل بكثير من «هайнتس» عقلاً وبدناً وخلقاً.
كثيراً ما لا يكون لديهم أيضاً وعي بالواجب.

كذلك «بريجيتيه» ليس لديها وعي بالواجب. في الزواج ستتعلم «بريجيتيه» الوعي بالواجب، كما تعلمته صبايا كثيرات كن من قبل مستخفات متساهلات إلى حد كبير. «هайнتس» يصر - عن وعي بالواجب حيال بدنـه المحتاج للراحة وحيال أصدقائه - على ممارسة البولينج. «بريجيتيه». عن شـك فى نوايا «هـайнـتس» أو عن معانـدة - لا تذهب لممارـسة لـعبة البـولـينـج. كثيرـاً ما يرى «هـайнـتس» وهو يمارس البـولـينـج نـسـاء أجـنبـيات، وأحيـاناً بـدون زـوج شـرـعـى.

النساء اللاتى ليس لهن رجال قوامون عليهم خطيرات جداً على شـاب لم يصلـب عـودـه بعد مثل «هـайнـتس» الذـى لن يصلـب عـودـه إلا فـى الزـواـج.

عـندـما تـأـخـذ «برـيجـيـتـه» بـعـد ذـلـك «هـайнـتس» الذـى تـعـلـقـتـ بـه كـله قـطـعـة وـاحـدـة بـحـيـث تـفـوحـ مـنـه رـائـحةـ الـبـيـرـةـ الـقـمـيـئـةـ وـتـتـشـرـ فـى كلـ مـكـانـ، فـإـنـها تـحسـ بـإـحساسـ خـالـصـ بـالـامـتـانـ، وـكـأـنـا اـمـتدـتـ يـدـ الجـنـ

....

لم يكن هناك شيء يمكن الإحساس به حتى ذلك الحين، ولكن هذه الراحة المائلة عدلـتـ مـزـاجـ «برـيجـيـتـه».

وهـذا أمرـ ضـرـورـى لأنـ أـمـامـها مـرـةـ أـخـرى يـوـمـ عـملـ شـاقـ.

وقد حدث

وقد حدث لـ «باولا» أن انقطع التعب.

تبع الخوف من انقطاع التعب ، ولم تكن امرأة في محيط «باولا» تستطيع أن تفكر فيه إلا على أنه تعب، انقطاع للتعب لا راد له.

حتى الآن لم يأت من الحب شيء، بل انقطع شيء، علامة على أن شيئاً سيأتي من شأنه أن ينشط وظيفة «باولا». شيء كبير.

نفس الحياة أى لمس «باولا»، ولكنه لم يمسها فقط.

الخياطة ما زالت هناك. ولكن «إيريش» هو الذي ما زال مختفيأً.

ليس لـ «باولا» أن تصعد الجبل، وهو ما لم يكن يعني بالنسبة إليها شيئاً لأن سرها الحلو، كما يسميه الناس، يحيطها بأستاره أيضاً في الوادي.

سر «پاولا» الحلو لابد أن يُبلغ للرجل الذى تحبه والذى .. ، حتى يتبع ذلك الزواج.

عما قريب سيجعل سر «پاولا» وجهها أنعم، ونظرتها أحن، وبطنها أضخم، وصدرها أكبر، وظهرها أشد إيلاماً، وزنها أثقل، وخوفها أشد. السبب: «پاولا» تخشى والديها اللذين يتسمان بخشونة الطبع، ولكن السر سر حلو.

«پاولا» لم تقل لـ «إيريش» حتى الآن أنا أحبك؛ لأنها لا تكاد تعرفه، والآن تقول الجملتين بنفس واحد، أحبك وفي بطني طفل منك.

وعلى «پاولا» أن تبلغ الأم والأب. ويلاه.

«پاولا» تحتاج إلى «إيريش» في وقت الحمل هذا على نحو خاص جداً؛ لأنه يعني بالنسبة لكل امرأة موقف أزمة، وبالنسبة للتكون العضوي الأنثوي حملاً، ولكن حمل مفرج. «پاولا» تحتاج في وقت الرجاء الصالح هذا إلى الكثير من التفهم والعناية والحماية من الحيوانات الشرسة والعمل الصعب والضرب العنيف والمعاملة الإنسانية. و«پاولا» تفكّر في أن كل معاملة لإنسانية، حتى لو كانت هينة، ستثير الأسى في قلوبكم، إذا ما علمتم أنني أشعر في داخلي بحياة ناشئة. الحياة التي لم تولد تتّمطى داخل «پاولا»، وتتمدد نحو الشمس.

«پاولا» تخيل أحياناً في كوابيس مرضية ما يمكن أن يحدث إذا هي قالت لأبيها: يا بابا أنا أحتاج الآن إلى الكثير من الرعاية والعناية لأن في داخلي شيء لم

يولد يتمطى ويتمدد نحو الشمس. حينئذ تقبض يد استهجان حديدية على «پاولا». على الرغم من أن بابا أتجب الكثير والأكثر من الكثير من العيال.

هل سيقول مرحى! مرحى! حفيدي يخرج الآن من أحشاء ابنتى، يا مرحباً، أهلاً وسهلاً، ادخلوا، هانحن أولاء لدينا مرة أخرى في بيتنا حياة رضيعية صغيرة تكونت لتوها، المهم أن تكون سعيدة؟

والأم، هل ستعطى تقريراً فنياً من خبيرة عن هذا الوضع البهيج الطويل الذي ليس بلا نهاية؟ هل ستحيط ابنتها بالرعاية والعناية؟ هل ستساعد فى شراء لوازم الطفل؟ لونها أزرق أم وردى؟ أم أصفر؟ موضوع ظريف. عندئذ لن تكون «پاولا» وحدها هي التي تعيش، بل هناك كذلك حياة ثانية حياة طيبة. مما قريب حياتان سعيدتان بدلاً من خيطة واحدة.

و«إيريش»، الأب السعيد، سيمضى كل دقيقة فراغ مع الأم والطفل، سيكرس كل دقيقة فراغ للسهر على زوجته الصبية، وسيكف عن شرب الكحول، ولن يمكت أحداً بعد الآن، ولن يبعثر النقود، إلى آخره.

«پاولا» تتوى أن تفتح لأمها داخلها كله بما يجيش فيه. والسبب: الأم نفسها كانت أمأً عدة مرات وتفهم هذا الوضع الذي تهيم فيه «پاولا». بل إنها تفهمه أكثر من رجل لا يمكنه إلا أن يكون أبياً ولا شأن له بهذا القرف المعرف الذي هو من شأن النساء «پاولا» تحكى حكاية مسألة نسائية لامرأة هي الأم التي هي امرأة.

«باولا» تضع ثقتها فى أنوثة أمها، فيخيب رجاؤها.

الأم تهمال على «باولا» بكل حاد من التقرير والتثنيع وتدكها فى الأرض دكاً. وكل الأولاد الذين كانوا فى زمن مضى حملأ ثقيلاً فى أحشائهما، يبدو عليهم أنهم يذكرون معها بكل همة، هكذا حطت على المرأة كل هذه القوة الهائلة فجأة.

لم تسمع «باولا» حتى الآن ضربات البلاطة مدوية بعيدة الصدى إلا فى الغابة. ولو لم يكن التدبير لقتل «باولا» بالبلاطة ليتم بكل هذه الكراهية، ل كانت عملاً بهيجاً. المحبة تضم، الكراهية تفرق. أم «باولا» تكره «باولا» بسبب الطفل الذى فى بطنها. أعضاء مختلفة أخرى فى جسم «باولا» تحطم نتيجة لهذه المعاملة.

أم «باولا» كرهت زوجها من قبل مراراً بسبب الأولاد فى بطنها، بسبب زيادة الشفل، وعملية الولادة المقرفة، وكذلك كرهت مراراً وتكراراً الأولاد فى بطنها ثم الأولاد خارج بطنها، والأم الآن فقدت شعورها ولبها نهائياً حتى أنها لا تكره فقط طفلًا خارج بطنها وداخل بطن ابنتها، بل تكره علاوة على ذلك ابنتها. سيعتقد الناس أنها ربت ابنتها نفسها تربية غير صحيحة. هذه الفضيحة وهذه السخرية. فوق هذا الشفل الجنونى كل يوم تأتينا الفضيحة والسخرية. تستطيع أم «باولا» ارجاعاً أن تذكر ذينة من الناس، كلهم خشابون، ومعهم معيتهم، سيفرون لهذه المصيبة من فورهم ارتجالاً أيضاً. ومنهم أناس فرحتنا فرحاً هائلاً لمصابب حلت بهم (ابن معتوه، أب فى السجن

بجريمة هتك عرض، أم استأصل الجراحون أحشاءها كلها، أب وقفت فوقه شجرة قضت عليه، أم هربت من زوجها وعيالها ودخلت المصنع، طفل يعيد السنة في المدرسة مرة بعد مرة، سحب رخصة قيادة نهائياً بسبب السكر، سقوط قاتل من أعلى الجبل، كرسي جديد تماماً مزقه الابن شر ممزق بالمقشط... إلخ).

ومن الممكن أن يفرح هؤلاء الأنداد بمحبيتنا فرحاً زائداً، وهذا خاطر فظيع خطر ببالها.

البنت «باولا» سيكون عندها طفل

البنت «باولا» سيكون عندها طفل!

مشهد كراهية مضحكة في قاع الوادي هنا.

الكراهية تستقل كالنار المتدافعة من جبل إلى جبل.

و«باولا» في قلب النار، بل ربما هي التي أشعلت النار.

تذهب «باولا» متلطفة كل التلطف إلى أمها التي هي أم أيضاً وتسلك إليها طريقاً شاقاً مطولاً، وتدس رأسها الصغير الذي لم يصفف شعره، تحت ذراعها، كما كانت «باولا» الصغيرة تفعل دائماً في الماضي في زمن الطفولة التعيس، تذهب إليها للتعرف وتريد أن تأخذ بعض صفات تريكو وكروشيه تستخدمها في الجاكيتة اللذيذة الزرقاء أو الوردية التي تود أن تستغلها أو تطرزها لطفل «إيريش». وكوفئت ثقة «باولا» كالمعتاد بالضرب المبرح وصرخ الكراهية الهائل..

رأس «باولا» معلق في خيط رفيع، فليس في جسم
التي ستتصبح أاماً موضع سليم.

وعندما يظهر الأب القوي في الصورة التي هي
الواقع ستكون الحال غير الحال!

وهاهو ذا يظهر، ويعرف الخبر بكلمتين على
أسلوب البرقيات، لكي لا يضيع وقت الضرب المبرح
الثمين، الألم قطعت النفس من فرط الضرب المبرح
الذى انهالت به على «باولا»، لا تستطيع أن تضم
شتات الحكاية وترتبط الأسباب بالأسباب، فعليها أن
تضرب وأن تزيد وتعيد في الضرب.

وتستمر تواً، هيا إلى مطاردة الصيد البهيج، هذا
أجمل وقت لها، من كان الخنزير؟ من هو الخنزير؟ أى
خنزير هذا الذى عليه الآن أن يتزوج، أراد أو لم يردد
عجبية من العجائب أن هذا اليوم المثير لم يتبعه
سقوط الجنين.

«إيريش» ذو الرأس الخنزيري.

في الفترة التالية لم يجر على «باولا» الكثير مما
كان من المأمول أن يجري عليها. لم يجر على «باولا»
في يوم من الأيام شيء ذو بال. يقولون إن جروح الروح
كثيراً ما تؤلم أكثر من جروح البدن، ولكن جروح
«باولا» البدنية في هذه الحالة ليست هينة، إنها تحتاج
إلى عناية وبعض المراهم.

«باولا» تشعر بأنها تعامل كشيء غير مستحب، ولا
تعامل كإنسان، فهي إنسان. ولو كان الوالدان قد انهالا

بالضرب المبرح على شيء صلب لا يلين، فالأرجح أن رسفاهما كانا سينشقان.

ولا حاجة بالإنسان إلى أن يقول شيئاً عن حالة «باولا» النفسية. لقد أصبحت إنساناً صلباً كالصخر متجمداً كالثلج.

لم يأت أى «إيريش» ليُساعد. «إيريش» تملّكه الغابة، أما الغابة فلا يملّكها «إيريش» بحال من الأحوال.

إذاً لم يكن حديثاً من امرأة لامرأة. وهذه نماذج الكروشية المقصوصة ملقاة مكموшаً على الأرض متسخة ومدنسة.

صحيح أن «باولا» لم تُرجم رجم المدنسات، ولكنها خائرة منهاارة. الطفل في بطئها الضيق يهدد حياته حماماً الماء بالصابون المحبوب ذو المفعول الأكيد الذي يقولون إنه سيجعله ملكاً صغيراً، وإن كان الفشل يتحقق به أحياناً؛ لأن الحياة الناشئة تتثبت بأرض الأم.

ماء جيد ساخن يفلّي بصابون من علب مسحوق الغسيل الجيدة النظيفة الملونة وفيها الكثير من السم الجيد^(١). يمكنه حتى أن يقضى حتى على الأب إذا ما ابتلعه. ولكن الأب يفضل ابتلاع سجق حثالة الخشابيين.

(١) نلاحظ السخرية في استخدام كلمة جيد ثلاثة مرات متالية في جملة واحدة. (المترجم)

وهذا وسيط في طريقه إلى «إيريش» من خلال الغابات والحقول والترع الشيطانية. ليس الموقف رومانتيكياً على الإطلاق.

من المأمول أن تكون السحاجات والخدمات الزرقاء والجروح والرضوض قد خفت إلى أن يحين حين عقد القرآن.

في كيان «باولا» رنين نشيد، ولكنه ضعيف جداً.
فيه بدلاً من الجروح فستان دانتيلا أبيض طويل
يصل إلى الأرض ومعه طرحة (١).

لا ماء بالصابون، بل قبعة جميلة من الزهور.
لا إجهاض، بل تورته زفاف جميلة.
ليس فيه سقط ميت صغير، بل شواء جيد من لحم الخنزير.

من الحجرة المطبخ تحملق نظرات كراهية مثل الأشواك، كثيفة هذه الأشواك، فلا يكاد أحد يستطيع من خلالها أن يدخل المطبخ.

حيوات وأمنيات خائب رجاؤها تتقم الآن متزامنة من «باولا» (٢).

(١) في السطور التالية استخدام ساخر لبعض تقنيات النصوص الشعرية الفنائية البسيطة، وبخاصة الشعبية، من قبيل تكرار كلمة مرتين أو اللعب بكلمة لها أكثر من معنى أو التجنيس الناقص، أو القافية الضعيفة ، مع عدم الاهتمام المعتمد بالقومات الشكلية الكلاسيكية التقليدية لأسلوبيات وجماليات الشعر الفنائي. (المترجم)

(٢) لا يصدر عنف الانتقام عن منظومة دينية أو أخلاقية، بل عن معاناة أفراد طوال حياتهم من ظلم وبؤس وانتقام يتحول الآن إلى هدف مستضعف. (المترجم)

البقية الأخيرة من الحسية في «باولا» تتسلل في التربية. فقدان كامل للإحساس البدني.

محاولة قتل الصغيرة «زوزانه» في بطن «باولا» لا تنجح. أما قتل الأب والأم فقد تم منذ سنوات. هناك بالنسبة إلى «باولا» عالم تحطم، وليس لذلك أهمية، لأن العالم على أية حال لم ينتم في يوم من الأيام إلى أي جزء من «باولا».

بل لى صديقة

لى صديقة تذهب إلى المدرسة الثانوية، هكذا تتفاخر «بريجيته» أمام إحدى السكرتيرات وجزر الكناريا التي جاءت منها. عند التفكير في «زوزي» تتقاصل معدة «بريجيته»، وتකاد القهوة المصفاة (١) تصعد إلى أعلى وتخرج من فمها ومن فتحتي أنفها. وعلى التو يخالج «بريجيته» الأمل في أن يتحقق الحمل في هذه المرة. ولكن ليس الذي في مخيلتها سوى «زوزي».

«بريجيته» تدعى أن «زوزي» تعاملها كإنسان.

السكرتيرة ترتب أشياء خاصة بالمكتب بحركات تم عن التملك. وهي تشعر بأنها تتمنى إلى رئيسها، وهي لا تشعر في أية لحظة بأنها تتمنى إلى «بريجيته».

(١) القهوة المصفاة هي القهوة العاديّة التي يشربونها في ألمانيا والنمسا. (المترجم)

فبين «بريجيته» وبينها هوة عميقة. والهوة بينها وبين «بريجيته» أسمها: مدرسة التجارة.

وليس هناك غير هذا ما يقال أو ما يحس به.

وليس هناك ما يُعمل إلا الانتظار.

«بريجيته» و«باولا» تنتظران الزواج.

«هاینتس» إنسان طيب؛ لأنه سيتزوج «بريجيته» بسبب طفلها وسيهيئ لها حياة في حياة الأعمال.

وقت الانتظار لا يمكن أن يشغل أحد بموسيقى أو بكتاب جيد مشوق أو برنامج تليفزيوني أو أمسية بولينج. لا بد أن يصبح وقت الانتظار صفحات خالية. «ايريش» إنسان أسوأ؛ لأنه لا يريد أن يتزوج «باولا» بسبب الطفل. ولكن لا بد أن يفعل على الرغم من ذلك.

مرة أخرى يقوم أبو «هاینتس» الذي نقص نصيبه نقصاً مفرطاً بتقريع ابنه بقبضة بوليسية، تعينه عليها غضاريف عموده الفقري المستهلكة علينا نشيطاً. إنها ترسل من أسفل إلى أعلى إشارات ألم كالأشارات التلفرافية إلى مخ الأب. يتكلّم الأب بثقل كل خبراته الحياتية الكئيبة. «هاینتس» يضيق نفسه وتلهث بحثاً عن هواء وعن «زوzi».

«زوzi» تلهث بحثاً عن هواء تنفسه تحت المعانقات الرياضية القوية التي يضمها بها أبوها الرياضي الذي يمارس أيضاً لعبة التنس. أبو «زوzi» يعانق ابنته لأنها أنجزت وحدها بالتمام والكمال تورته جيدة.

أبو «هابننس» لم ينجز^(١) حتى الآن حياته تماماً إلى نهايتها على الرغم من أن عموده الفقرى المكسر لا يكاد يستطيع أن ينجز شيئاً له فائدة، لا من يعطيه لقمة العيش، ولا لصاحب العمل، ولا للأب نفسه. لا يزال أمام «هابننس» حياته، وهذا هو ما أن يعتقده. و«بريجيته» أمامها حياة «هابننس».

بينما أمسك الأب «هابننس» من رقبته مسكة الخنق بكل طاقات سواق المسافات البعيدة الذى لم يعد صالحأً للسوادة على المسافات البعيدة، ترك الأم بركبتيها على صدر «هابننس»^(٢) وتطالب «هابننس» بألا يسرق منها ثمار توفيرهما، بأن يأتي بواحدة مثل «بريجيته» إلى البيت الذى بنياه بما وفرأه من نقود. إنهمما يفضلان واحدة مثل «زوzi». ولكن واحدة مثل «زوzi» لا تفضلهما، وهو ما لا يخطر ببالهما. فهما يعتبران «زوzi» شيئاً أقل؛ لأنها امرأة، ولهذا فهو دون «هابننس». «زوzi» باعتبارها امرأة شيء واطى، ولكنها كإنسان يحتل درجة ما فى المجتمع، شيء أعلى من «هابننس».

(١) نلاحظ استخدام نفس التركيب «أنجز تماماً» مرة في الحديث عن التورته ومرة أخرى بعدها مباشرة في الحديث عن حياة الأب، وهي طريقة تشبه النقلات الموسيقية، والأصل الألاني للتعبير غير مألوف في هذا المجال الدلالي ولكنه مفهوم في اتجاه التضخيم والسخرية. (المترجم)

(٢) نلاحظ كثرة استخدام أسماء الأشخاص على نحو غير مألوف ، فقد يرد الاسم في السطر الواحد ثلاث مرات ، وفي الصفحة عشرين مرة ، وهي طريقة إلحاح في التدقيق يلجأ إليها محدودو الثقافة والمشككون . (المترجم)

هذا شئ بالغ التعقيد بالنسبة لواحد (سائق سيارة) لا تقع عيناه دائمًا أبداً إلا على لافتات المرور، طول عمره تقريبًا.

هذا شئ غير مفهوم كلية بالنسبة لواحدة لا ترى عيناه دائمًا أبداً إلا الصحون «هاينتس»، طول عمرها تقريبًا.

هذا المشهد يجري لأن الأب مضطرب إلى الخروج إلى المعاش المبكر؛ وقد حُجز له في حفل الآلام للرقص المقنق، وفي حفل رقص الكارنفال مكان، ولهذا فقد تعرض حساب توفير الزوجين لتجاوز مفرط إلى أبعد حدود الإفراط. لم يعد الأب يقف على رجليه كليهما في قلب الحياة كما كان حتى الآن. إنه غارق في المصائب الرهيبة حتى رقبته. تلك أرض غير مطمئنة إلى حد بعيد.

صحيح أن الحياة مستمرة في المسيرة ولكنها تُعبر على والدى «هاينتس» عبوراً.

كل الآمال معلقة الآن على «هاينتس» الذي سيخيب رجاءهما.

ما أخذاه خطأً أو اقتناه أصبح في حوزة «هاينتس»، فكأنهما لم يكدا ولم يشققا. والأمر الجوهرى بالنسبة إلى «هاينتس» هو الآن أن يحتاز امتحان «العامل الفنى» وامتحان «الأسطري» ويكون له محل أجهزة كهربائية.

طريق حساب التوفير هو: إلى «هاينتس»، وفرملة أمام «بريجيت».«

وهذه «بريجيته» فى غرفة معيشة أمها تتبادل الحديث مع بطنها. «بريجيته» تسأله: هل الصفير الذى لم يولد فى الداخل الآآن؟ لا، هكذا يرد البطن، لا أزال خالياً. آسف. ولكن ربما فى الشهر القادم.

«بريجيته» ترفع رأسها عالياً. والشغف يبقى لها على أية حال، إنه ينتمى إليها وحدها. لن أعود إلى العزلة أبداً.

جثمان (١) أم «بريجيته» ممدد على الأريكة ويقرأ فى جريدة بيوت الأمراء. هي فى بيتها ملكة. أما «بريجيته» فليست للأسف فى بيتها الخاص بعد.

(١) يلينك تعتبر المرأة ميتة بمعنى أنها وهي حية فى حكم الميتة.
(المترجم)

فوق في الطبيعة

فوق في بيت الفلاحين الصغير تتصادم في هذه الأثناء مصالح أهالي الريف العاملين. مصالح أناس لم يستفزوا قط مصلحةً أى شخص آخر، وهم أنفسهم لا يعرفون أنهم من الممكن أن يكون لهم شيءٌ ما يشبه أن يكون مصلحةً. وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعتبرون أنفسهم البنزين في الآلة ويعتبرون «باولا» الرمل الذي يعطلاها.

«ريبو» يصدر من أنفه صفير حشارة كفار مدهوس. لا حاجة بـ«ريبو» إلى أن يتكلم لكي يظل بعض الأشخاص يتحركون دائمًا، يتحركون حواليه. بطن «باولا» الضئيل - الذي سينتفخ ويكبر عما قريب، بحيث يمكن أن يكون هناك فجأة في مقابل النقود نفسها (التي تتفق على الأكل) زيادة في وزن «باولا» مقداره عدة كيلوجرامات - معروض للمزاد. ولكن ليس هناك من يريده. لو كانت الزيادة في وزن

خنزير لا تعتبر زيادة هائلة في القيمة. في «پاولا»^(١) تعتبر الزيادة علامة على أنها كانت سهلة المنال، سهلة سهولة مفرطة، وأصبح عرضها في المزاد الآن صعباً صعوبة مفرطة.

لا أحد يريد ما في بطن «پاولا» وحده، يربىء ويحبه. لا أحد يريد «پاولا» كشخص ببطن أو بدون بطن. حتى جلدها الخارجي لا يريده أحد. فلا يمكن أن يصنع منه شلتة لأريكة ولا كليم من قطع مرتفقة بعضها في البعض.

أما رأس «پاولا» فلا فائدة من الكلام عنه. من يأخذ جسم «پاولا» وقوتها العاملة، يأخذ رأسها فوق البيعة. هدية للدعاية أو هدية الشركة لمن خدمها طويلاً بأمانة. والناس الذين ينظرون إلى المستقبل ويسكبون حساب ملكها، ثروتها المنتجة المسماة «إيريش»، من المحتمل أن يعتبروا رأس «پاولا» مصيبة تفكك أكثر من الكثير، فلا يمكن لهذا السبب توجيهها التوجيه الصحيح.

«ريبو» يتفس من خلال خياشيمه بصعوبة ويتاؤه بعد أن أكل غذاءه. الموظف السابق له أن يطلب. أما «پاولا» التي تطلب «إيريش»، فلهما أن تطلب ولكنها لا تحصل على شيء. وأم «إيريش» تتدفع إلى أمام تجاه الفرن الساخن الذي يغلى فيه الطعام وينضج. وما كاد الأب الذي يجد عناء في

(١) المقارنة الساخرة الأليمة بين الإنسان والخنزير.
(المترجم)

الكلام يلقى أوامره بالحشريجة، حتى كان الجلاش^(١) أمامه.

الخلاصة: «باولا» لن تدخل هذا البيت، إلا إذا مات ثلاثة أشخاص كبار. لم يبق هناك عمل لأحد، نحن نقوم بعملنا وحدنا، النساء تقوم بشغل النساء، و«إيريش» يقوم بعمل الرجال وهو كثير. كذلك «إيريش» مهم في تدبير النقود. تقاد النقود تكون أهم وأصعب في الحصول عليها من العمل. فلم ينقصنا فقط عمل، أما المال فكثيراً ما كان ينقصنا.

الإدارة العليا يتولاها السيد المايسترو «ريبو». هو الذي يقود دون كلام أوركسترا هؤلاء العجزة. أما البهار الذي يرش فوقه فتدبره الأم بالأم مفصل الحوض، ومن شأنه أن يضمن لا يكون في المطبخ والقبو والزربية والسرير أبداً سأم. إنه يجعل العمل مثيراً ومنوعاً.

و«ريبو» باعتباره موظفاً حكومياً سابقاً مدرب على إصدار الأوامر. ولكن «ريبو» لديه أيضاً قدرة تؤهله لذلك. «ريبو» لم يعد يستطيع التنفس، ولكن مهاراته المدرية بعناية ما زالت تحدث أثراً. التعليم الدقيق العميق في السكك الحديدية الاتحادية يبقى مع من يتلقاه طول العمر، حتى بعد انتهاء وجود السكك الحديدية الاتحادية. في هذه الناحية ليس عند «باولا» شيء تعلنه أو تريده أو تقوله.

(١) الجلاش Gulasch لعم مقطع على شكل كتاب الحلة يطهى مع البصل والبهارات الحريفة ويعتبر من الأكلات الفمساوية المشهورة، ومنه تسميات مختلفة. ولا علاقة للجلاش بالحلوى المسماة عندنا «جلاش». (المترجم)

«باولا» تقعـد مـرتـدية فـسـتان يـوـم الأـحـد تـارـة هـنـا وـتـارـة هـنـاكـ. رـأـسـها المـدـهـوسـ بـالـصـفـعـاتـ يـسـتـرـ فـي بـطـنـها المـدـهـوسـ بـالـرـكـلـاتـ. تـحـولـتـ «باولا» إـلـى كـرـةـ صـمـاءـ مـتـكـورـةـ عـلـى نـفـسـهاـ كـالـقـنـفذـ. وـلـكـنـ بلاـ أـشـواـكـ. وـيـداـهاـ اللـتـانـ لـمـ يـكـنـ عـلـيـهـمـاـ إـلـىـ الآـنـ أـنـ بـيـتـياـ بـاـمـتـحـانـ الـخـيـاطـةـ تـمـسـكـانـ كـلـ النـسـيجـ الذـيـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ مـسـكـهـ. الـخـيـاطـةـ لـاـ تـقـدـمـ باـقـةـ زـهـورـ. فـالـاثـتـانـ، «باولا» وـالـخـيـاطـةـ، لـمـ يـتـمـ بـيـنـهـمـاـ بـعـدـ إـلـاـ قـلـيلـاـ مـنـ التـعـارـفـ. فـىـ رـأـسـ «باولا» يـبـزـغـ بـرـعـمـ صـفـيرـ، أـمـاـ كـانـتـ الـخـيـاطـةـ بـالـحـقـ أـفـضـلـ مـنـ «إـيرـيشـ». الـبـرـعـمـ يـجـثـثـ فـيـ الـحـالـ وـيـدـاسـ بـالـأـقـدـامـ. فـىـ قـلـبـ «باولا» يـذـبـلـ آـخـرـ غـصـنـ حـبـ سـاـكـنـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـفـسـهـ. فـىـ مـاءـ الـفـسـيلـ تـغـفـفـ الصـحـونـ نـعـسـانـةـ فـىـ مـحـيطـهـاـ الـمـأـلـوفـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـفـسـهـ. طـرـيـحةـ جـديـدةـ مـنـ الصـفـعـاتـ تـتـكـورـ فـيـ الطـبـقـةـ الـدـهـنـيـةـ الزـنـجـةـ لـقـلـاـيـةـ الـعـائـلـةـ إـذـاـ مـاـ لـمـ تـمـلـ «باولا» فـوقـهـاـ تـوـاـ. لـقـدـ مـالـ «إـيرـيشـ» إـلـىـ «باولاـ»ـ، فـلـمـ يـقـدـ ذـلـكـ أـيـاـ مـنـهـمـاـ إـلـىـ أـمـامـ، إـلـاـ «باولاـ»ـ قـادـهـاـ إـلـىـ الـتـعـاسـةـ الـتـىـ كـانـتـ تـقـعـدـ فـيـهـاـ مـنـ قـبـلـ. بلـ إـنـهـاـ أـلـقـتـ بـ «إـيرـيشـ»ـ إـلـىـ الـوـرـاءـ فـىـ مـسـيـرـتـهـ اـحـتـرـافـ قـيـادـةـ السـيـارـاتـ وـالـدـرـاجـاتـ الـبـخـارـيةـ(١ـ).

(١ـ) المقصود : المـوتـسيـكلـ الخـفـيفـ الذـيـ يـسـمـيـ بالـأـلمـانـيـةـ Mopedـ موـبـيدـ ، وهـىـ كـلـمـةـ مـكـوـنـةـ مـنـ موـ = مـوـتـورـ وـبـيدـ = بـيـدـالـ، أـىـ درـاجـةـ ذاتـ مـوـتـورـ، وـيـرـاعـىـ فـيـ صـنـاعـتـهـاـ الـأـقـلـ سـرـعـتـهاـ حـسـبـ الـمـواـصـفـاتـ الـأـلمـانـيـةـ - عنـ ٤٠ـ كـيـلـومـترـ فـيـ السـاعـةـ، وـالـأـ تـزـيدـ سـعـةـ مـوـتـورـهـاـ عـلـىـ ٥٠ـ سـنـتـيمـترـ مـكـبـ. أـمـاـ المـوتـسيـكلـ وـاسـمـهـ بـالـأـلمـانـيـةـ مـوـتـورـرـادـ Motorradـ فـمـعـرـوفـ بـقـوـةـ الـتـزاـيدـ وـسـرـعـتـهـ الـمـتـعـاظـمـةـ وـجـاذـيـتـهـ لـهـوـةـ الـانـدـفـاعـ، وـكـمـاـ يـقـولـونـ: التـحرـرـ مـنـ قـيـدـ الـأـرـضـ. وـهـنـاكـ مـنـ يـقـارـنـ الـجـسـورـينـ مـنـ رـاكـبـ الـمـوتـسيـكلـ بـالـفـرـسانـ رـاكـبـ الـخـيلـ. (المـترجمـ).

من الممكن أن يأكل طفل ما شعر هذا أو ذاك إذا ما أراد.

لعل الدرجة البخارية تنتصر في صراع المصالح هذا، هذا ما يتمناه «إيريش». بعد أن اتخذ «إيريش» هذا القرار إذاً مغلباً الدرجة البخارية على «باولا» ودسه في عين «ريبو» الشبيهة بعين الضفدع، هاهوذا يركب الدرجة البخارية منتصراً، ويندفع تجاه الغرب في الشمس الفاربة. «ريبو» يحس بالارتياح. وسوف يطرد من مخ الولد هذه الدرجة البخارية التي لا فائدة منها والتي تقترن النقود، واحدة وراء الثانية.

والدا «باولا» المفتاطلان يهبطان الجبل مندفعين بجنون بين ذراعي «باولا» عدة مرات متتالية، بين أمام وخلف، وعندما يتركان حطام «باولا» التي لم تفل حتى الصخون، لم يكن بقى منها إلا القليل من العظم ومن الريش.

أما الغرب فقد امتلاه «إيريش». في الغرب كان مصطافون جدد قد أتوا، منهم أيضاً نساء.

الآن يبلغ فن حب «إيريش» أخيراً غايته.

«باولا» تعاني عناء هائلاً حتى تكاد أن تجن. إنها تعتقد أن عقلها يتسرّب منها من خلال كل الفتحات، من كل فتحة يتسرّب قليل من العقل، حتى يفرغ. وهي تتدفع برأسها مرتطمة بالحائط، والوالدان الطيبان فرحان، لأنها توفر عليهما الضرب المبرح، «باولا» تتولى ذلك بنفسها، برأهو.

من ناحية الأم لا تتوقع «باولا» تضامناً أثنيوياً، إذا كانت الأم ستفتق حتماً نتيجة للسرطان، فعلى «باولا» على الأقل أن تعانى القليل من المعاناة النفسية، وهو أقل وطأة بكثير من الآلام الجسمية التى ستدخل البيت إلى الأم قريباً. والأب يقول (١) الآن تستطعين الاستمرار فى تعلم الخياطة لتفقى على طفلك.

«باولا» تبعيغ حزينة قائلة: إنها تريد أن تكون بجانب طفليها، عندما يكون قد جاء، ثم هى فيما تريد أن تنتظر طفلها عندما يأتي بالقطار وأن ترافقه، وأن تكون دائماً وفي كل لحظة حوله. لا تريد أن تكون أمأ تمارس حرفة، فالطفل يعاني من ذلك. «باولا» تفضل أن تكون هي من يعاني.

الآن يحزن في نفس الأب بطبيعة الحال، أنه لم يقتل «باولا» في الماضي بالخياطة، ولكن الوقت فات، وتتأخر تأثراً مفرطاً.

(١) تعمد الكاتبة إهمال علامات الترقيم ، فبعد فعل يقول لا تضع النقطتين (:) ولا تضع علامات التصنيم (‘’). لا تستخدم إلا النقطة في نهاية الجملة والفصولات التي تخضمها لتصوراتها . وقد ذكرنا من قبل أنها لا تعرف بالحروف الكبيرة التي لا تستهل فقط - بحسب قواعد الإملاء الألمانية - الأسماء الأعلام والكلمة الأولى في الجملة، بل كل الأسماء وما ينتسب في حكم الأسماء من الفاظ أخرى . وهذا التمرد ، الذي نجده عن كتاب آخرين أيضاً، يهدف إلى إعادة النظر في الموروث، وإبراز دور الفرد المفرد حيال القيود الجماعية التي تهدد الهوية الشخصية الفردية، وهوية الإنسان أساساً. (المترجم)

«پاولا» تترىص بـ «إيريش». لم تعد تفعل ذلك من أجلها شخصياً، بل من أجل حياة الطفل التي ستتأتى والتي هي أهم منها ذاتها.

يكاد «إيريش» يكون بلا أهمية بالنسبة إليها، ولكن بالنسبة للطفل عندما يستطيع الكلام، لن يكون «إيريش» بلا أهمية، سيكون أباً. «پاولا» تترىص وراء خميلة البندق، ووراء خميلة البلسان أو وراء الكتبة المصنوعة من خشب الصنوبر.

من هنا تقفز بصرخة حربية إلى «إيريش» الذي يعود مسكيناً ومرهقاً من العمل. إنه مرهق مرهق مرهق مرهق. تكاد يداه ألا تكونا الآن أيدي بشرية، بل يغلب عليهما أن يشبهها الشجر أو الجذور. «إيريش» يثرثر ويرغى متوجهًا نحو مرفأ الوطن والفراغ. «پاولا» تررق آخر احتياطيات «إيريش». وهي لم يعد لها أدنى اهتمام بـ «إيريش» الإنسان، وإنما بـ «إيريش» الأب المستقبلي.

وهاهي ذى تندفع إلى أمام، وتتشبث بظهر «إيريش» وتتكلم عن الحب والطفل. وتحكى «پاولا» عن مشاعرها الموجودة حيال «إيريش». «پاولا» لم تعد تشعر بشيء إطلاقاً نحو «إيريش»، وكذلك «إيريش» لم يعد يشعر نحو «پاولا» إلا بأقل من لا شيء. «پاولا» لم تترك المدرسة إلا منذ وقت قريب، فما زالت تعرف كلمات كثيرة يعبر بها الناس عن المشاعر. أما

«إيريش» فلم يمض في داخل المدرسة وقتاً يكفي
لتكون لديه كلمات تعبّر عن أي شيء روحى (١) .

غير البيرة والإشنپص. ها ها. إنه يذكر دائمًا عند
سماع كلمة روحى من قبيل النكتة الإشنپص (٢)
والبيرة أو النبيذ.

نكتة جيدة.

«باولا» تقول أنا بحاجة إليك، وطفلنا المشترك
بحاجة إليك أيضًا، ربما أكثر مني، يا «إيريش»، وكم
أنا بحاجة إليك!

ولما كان من هم بحاجة إلى «إيريش» كثيرين فقد
ألم به الفضب شيئاً فشيئاً. وحال تناقله بينه وبين
صد هؤلاء، فأخذ يضرب كالجنون حواليه، وكثيراً ما
كان يصيب نفسه فقط. وهما ذا في الوقت الأخير
يقابل «باولا» فيأتيه اللقاء بنوع من الرضا.

يدرك «إيريش» أن قراراته وتصرفاته أصبحت
فجأة مهمة لشخص آخر. وأن أحدهم تابع له. وأن
أحدهم على نحو ما تحت رحمته. وهو ما يعطيه

(١) تلعب الأدبية هنا وفي الجملة التالية بالمعنى المزدوج لكلمة روحى
التي تستخدم أيضاً للدلالة على الخمور : المشروبات الروحية.
واللعل بالمعنى المتعدد للكلمة الواحدة مالوف لديها، وهي
تتوسل به إلى التعبير عن صعوبة التفاهم بين الناس، فما هو
المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب بالضبط؟ هل هو ما فهمه
المستمع أو القارئ؟(المترجم)

(٢) الإشنپص Schnaps مشروب كحولي من مجموعة البراندي
يحتوى على نسبة عالية من الكحول. (المترجم)

إحساساً جميلاً جديداً. «إيريش» يريد أن يختبر إمكان الإفادة منه.

«نكي لاودا» اختبر من قبل الكثير، حتى إنه اختبر سيارات الفورمولا رقم واحد أو سيارات سباق الدرجة الأولى^(١) الرائعة.

الموضوع نفذ إلى مخ «إيريش».

وذهب الاثنان إلى الشونة القديمة، فلم يكن فرق بين الذهاب وعدم الذهاب. ولقد عانت «باولا» الكثير

....

من فوق الحقل الذي حش نجيله يطير سرب من الطيور تجاه قلب الغابة، الواحد وراء الآخر، عما قريب يحل الخريف. في مقابل نقود حضراتكم لا تتظروا هنا المزيد من وصف الطبيعة! ونحن لسنا هنا في السينما.

«باولا» ترقد ساكنة وهادئة على ظهرها... تستطيع أن تستريح وهي تنظر إلى السماء الزرقاء، والبرد قد بدأ وعما قريب ستظهر سحب الثلوج الأولى. المستقبل وحده هو الذي لا يظهر على أي شكل. من التربة يصعد ضباب، والغابة

(١) سيارات الفورمولا واحد بالألمانية 1 Formel 1 سيارات سباق حددت المنظمات العالمية رتبة تبعاً لمواصفاتها، وهناك سيارات الدرجة الأولى، وسيارات الدرجة الثانية وسيارات الدرجة الثالثة إلخ. ونقلأً عن الإنجليزية تسمى في صحفتنا فورمولا واحد، وأعتقد أن تركيب «الدرجة الأولى» يعني بالفرض، يعني أن تكون هناك موافقة عامة عليه. (المترجم)

تلاصق أشجارها وتصبّع جداراً، وجذوع الشجر
البيضاء تخنق في الظلام. الطبيعة شء قاس، هذا
ما تفكّر فيه «باولا». إنها أقوى من الإنسان، إنها قوة
أولانية.

أليس هذا وعل صفير؟ بعد قليل تبدأ نشرة
الأخبار المسائية في التليفزيون!

أخيراً تستطيع «باولا» أن ترتاح مرتّة، وربما
استطاعت في أثناء ذلك أن تربط «إيريش» بها
بالسلاسل.

من الممكن نسيان الألم الخفيف، فهناك آلام أعتى
تستطيع «باولا» أن تذكرها. الحب ألم هين نسبياً في
سلم الآلام.... مرة أخرى يقع من «باولا» أمل في التبن
المتعفن. وإذا فقد الإنسان أملاً، فهو على الأقل قد
استطاع أن يستريح. والرقد أيضًا يفيد الجنين.

ليس في «باولا» حنان. ليس في «باولا» شيء على
الإطلاق. عندما تكون كل الآمال قد سقطت من
«باولا» فستصبح خفيفة جداً كالريشة، كالقطة
الصغريرة أو كالكتوك الصغير.

كل الجزائريين! صناع اللحم المدخن! النجارين،
الساعاتية، الخبازين، ومنظفي المداخن احتفوا على
الأفق. يلاحقون الغربان.

الخياطة تحزم الآن حقائبها، إنها تريد أن تلحق
آخر أوتوبيس قبل أن يفوتها.

الحب لم يفتح حقائبها ولم يخرج منها متابعته ولم
يرتبه.

تحول العمل إلى حالة تمرير، وهي تمسم بيدها على ملأة السرير في المستشفى لتسويتها.

لا حب على الإطلاق في «باولا».

إذا كان في «باولا» شيء فهو الكراهة التي تنمو وتنمو.

لم تُداخِلها هذه الأحساس من تلقاء ذاتها، وإنما كان على البعض أن يستغلوا شفلاً ثقيلاً من أجل ذلك.

الظلام ينزل، في الغابة تبدأ بعض الحيوانات في إحداث حفيظ، في بيت الثعلب يتحرك شيء، رجلان مرهقان يجتازان هرولة طريق القرية، يريidan الرجوع إلى المنزل، إلى العائلة وإلى التليڤيزيون. أنوار متفرقة تضاء. في بعض المطابخ يصبح بعض الأولاد. الأم تضع طعام العشاء على المائدة. ضوء سيارة مبهرا ينبرم بصعوبة من خلال الضباب. ما من أحد يفكر في الغابة إلا على اعتبار أنها أرض ممتدة. الغابة مكان عمل. لسنا هنا في رواية موضوعها الوطن! لم يعد هناك أمل في داخل «باولا».

علينا في هذا الموضع أن نقطع بشيء من المبالغة قدر بريجيته

لما كنا نمسك في يدنا قدر «بريجيته» فبإمكاننا
في أي موضع يحلو لنا أن نقطعه المرة تلو المرة.
أحساس «بريجيته» لا يطرأ عليها تغيير، فقلبها
يضرب دائمًا من أجل «هاینس»، و«هاینس» يرد
الضرب (١) دائمًا.

ينبغي أن يكون الحديث هنا عن أحاسيس، لا عن
وقائع.

«بريجيته» لا قدرة لها على الأحساس، ولهذا
فليس ثمة ما يقال عن «بريجيته».

«بريجيته» لا تصنع وقائع، بل الواقع تقع عليها.

«بريجيته» تصنع الآن پلوهر لـ «هاینس».
والپلوهر لا يتقدم إلا ببطء؛ لأن على «بريجيته» أن

(١) نلاحظ: القلب يضرب وهاینس يضرب. (المترجم)

تفق وقت عملها على العمل، وقت فراغها على
مراقبة «هайнتس» والعنابة به، ورعايتها ...

يقال إن كل امرأة لبست سوتياناً خاطته
«بريجيتة» تتصور نفسها ملكة.

«بريجيتة» لن تتصور نفسها ملكة إلا في بيتها
الجميل.

و«بريجيتة» لديها علامة على ذلك القدرة على
إنجاب أطفال، وتلك قدرة ليست عند كل إنسان. وهي
تمنى أن يكون لها أن تنجذب مثل هذا الطفل عما
فرب.

منذ أن عرفت «بريجيتة» «هайнتس» يمتلكها دافع
يدفعها إلى أن تنجذب طفلًا. إذا لم يكن هذا إحساس،
فما هو الإحساس إذًا؟

تكلم قلب «بريجيتة» فقال «هайнتس». «بريجيتة»
تبغ هذا القلب إلى حيث يقودها، تحديدًا إلى
«هайнتس».

تلقت مائة مرة شلالات ...

«بريجيتة» تستطيع أن تعلن خبر النجاح، إلا وهو
أن الطفل منتظر. ستشرق الشمس أيضًا على
«بريجيتة». «بريجيتة» تشتري اليوم على عجل
بيكيني ليوم الأحد القادم.

سيكون الطفل طفلًا مُرجحٍ. «بريجيتة» تترجميه،
أما «هайнتس» فلا.

صحيح أن هذا الوضع غير ملائم، ولكن الطفل في المقابل سيسهل عليه دخول الحياة عن طريق محل خاص للأجهزة الكهربائية.

«بريجيت» نفسها كان دخولها الحياة صعباً.
كثيراً ما تحس شيئاً كأنه ذنبها هي، بينما هو ذنب يحمله أجنبي.

إنها تعتقد على سبيل المثال أن الذنب ذنبها هي إذا كان تحتم عليها أن تعمل على خط الإنتاج في المصنع. بينما الذنب ذنب «هابينس» وحده دون سواه، فهو الذي لا يريد أن يتزوجها وأن يحررها من رقعة خط الإنتاج في المصنع.

كثيراً ما رأت «بريجيت» في السينما، أنه من الصعب أن يضطر إنسان إلى أن يعيش بذنب.

سيرة «بريجيت» تتناقض وتتناقص بدون أحداث تذكر. ويمكننا مستقبلاً أن نقصر كلامنا على بضعة عناوين تتصل بالوضع العام، ونريد بها أن نذكر باختصار وضع «بريجيت» الثقيل على نحو خاص.

كل ما سيأتي الآن يتلخص في انتظار وفي تتصت استبطاني، هل هناك أخيراً حركة أو عجلة.

الجبهات تم توضيحيها وتفسيرها.

لن تجري أحداث باستثناء الحدث الكبير المذكور.
العمل سيجري على وتيرته.
فذلك مؤلم بما فيه الكفاية.

كذلك الولادة خبرة مؤلمة، ولكن من الضروري المرور بها، حتى يمكن أن تتحقق هبة الطفل.

ولا ينبع أن تكون هناك هبة الطفل في نهاية المطاف لكي يفرح بها الطفل الصغير، ولكن لكي ليفرح بها الرجل الذي ينال الهبة. إن حصول الطفل على اسم عائلة «هابيتس» والضمان الكبير الجيد الذي يجره معه مثل هذا الاسم، هبة كافية ينالها.

ال طفل والمرأة مدينان له «هابيتس».

من الممكن من الآن أن يضمن الإنسان للطفل، أنه بعد ذلك لن يتأخ له الكثير من الفرح، باستثناء زيارة الحموين أو زيارة يقوم بها عميل مهم. إذلال الأم يعود يقيناً على الطفل، يعود على الطفل الأول بالضرب المبرح والأضرار المزمنة، ثم يتم بعد ذلك إنتاج الطفل التالي. من الممكن أن يموت الطفل ضحية الاستهلاك العام أو مواصلات المدينة الكبيرة، فمن الضروري أن يكون هناك واحد احتياطي. الأفضل أن ينجو الإنسان طفلاً من قبيل المخزون الاحتياطي وتعويض المستهلك.

وربما يكون الطفل أفضل من ماكينة الخياطة، فمع الطفل يستطيع الإنسان أن يخرج للنزهة في الهواء الطلق، أما مع ماكينة الخياطة فلا. الماكينة ليس لها قلب، الطفل له.

والماكينة علاوة على ذلك مكانها في المصنع، والطفل في البيت في بيئة منظمة.

من الممكن أن تستمر السيرة عدة أشهر أخرى، وهنا في الكتاب ما زالت عندنا صفحات كثيرة، إلى أن يخرج الطفل من بطن الأم ويمد رأسه كالدودة عندما تخرج من التفاحاة، قد لا نصل إلى هذا المدى، وربما تحتم علينا أن نقطع قبل ذلك. ولكن هذا لا يهم، فتحن نعرف كيف تسير الأحوال. الحياة تستمر بدون مفاجآت، ولكن في مسارات منتظمة.

تدخل «بريجيته» بيت أمها الكئيبة الكئيب مجردة من الأمل كحالها دائماً، وهاهوذا «هاینتس» في المرحاض يدبر.... إنه لا يريد أن يُقْبض عليه ويتحول إلى أسير، بدلاً من أن يتتحول إلى مقاولٍ حر.

«بريجيته» تهال عليه بالضرب صارخة بدافع من العاطفة، كما قالت لـ «هاینتس» فيما بعد شارحة... وكان معها كيس من بسكويت نوسكيپفرل⁽¹⁾ ، ألقته على الأرض حتى تكون يداها حرتين

بسكويت النوسكيپفرل يتبعثر في هذه الأثناء على ألوان الأرض الخشبية المتتسخة طوال الوقت تفك «بريجيته» بسكويت النوسكيپفرل الذي اتسخ الآن، وضاع عليها، خسارة. «هاینتس» يفكر عابراً هل سيكون بيتي متتسخاً على هذا النحو إذا كان على ريماء أن أتم إجراءات عقد القران؟

Nusskipferl (1)

«بريجيته» التي خمنت أفكاره، تجيب بـ«لا»، عندما يكون البيت بيتي ملكي الخاص، فسأعمل على العناية به وصيانته.

بيتي ملكي الخاص فقط.

كذلك «هاينتس» يتمسك بالملك الخاص. في هذه النقطة يتلاقيان.

الملك الخاص هو فقط الملك الخاص الذي يحوزه الإنسان. ما يملكه الإنسان يكون ملكه، وما لا يملكه الإنسان لابد أن يسعى لامتلاكه. فإذا لم يحصل الإنسان عليه، فهو شيء لا يهمه.

ملك الغير حرام⁽¹⁾. «هاينتس» ملك «بريجيته»، وهو لهذا حرام. حرام بالنسبة لـ«زوزى» وبالنسبة لكن جميعاً.

....

أفكار «بريجيته» لا تزال عند بسكويت النوسكيپفرل وشنطة اليد الجديدة المطبقة على الأرض

تفاحتا عينيها تتبعان طريق بسكويت النوسكيپفرل وسط القذارة على الأرضية. الأم في الواقع خنزيرة عجوز، فهي لا تكس الأرض ولديها الوقت فليس لها رجل عليها أن ترعاه

(1) في الأصل tabu (المترجم)

فى هذه الأثناء تقدَّم الأم متحفظة متباعدة فى المطبخ. تلزم الصمت الكامل حتى لا تزعج سعادة ابنتها بعبارة متسرعة.

فى حجرة الجلوس مشهد سعادة «بريجيت»
«هائنس» يطلق صيحة الجيران سيشكون

....

«هائنس» يسرع إلى أصحابه فى ملعب الرياضة.
«بريجيت» تنطف البسكويت النوسكي بفرل لأن اتساخه يحز فى نفسها.

الآن تزداد «باولا» بدانة

الآن تزداد «باولا» بدانةٌ وهو منظر شديد القبح.
في داخل «باولا» تصعد أحاسيس الخجل. أحاسيس
تعاودها بعد زمن طويل، ولكنها ليست أحاسيس
طيبة.

في القرية عندما تذهب «باولا» محتممة بدائرة
مناخية واسعة، أو غير محتممة بشيء في غير
وجودها، لشراء الحاجيات، كثيراً ما تصيب حصواتَ
رأسها من خلف، أو مقدمتها، أو بطنها أو سمانتها
ساقيها، أو شنطة مشترواتها، وأسوأ الحالات حالة
شنطة المشتروات ويدخلها الزجاجة التي لا بد من
إعادتها فارغة إلى المحل، فتحطم عندئذ.

في البداية تحطم شيء في «باولا»، والآن تتحطم
الزجاجة ذات الرهن.

«باولا» لديها إحساس أن القرية انتهت هذه
اللحظة غير الملائمة؛ لكن تظهر الأولاد والهموم

الشرعية مع الرجال. في كل موضع بالشارع كم من المال والخيرات^(١) هنا وهناك.

«باولا» ليس عندها مال ولم تكن خيرًا.

«باولا» تعتبر أماً ناشئة، ولا تعتبر ربة بيت ناشئة.

«باولا» تعتبر ميته.

النساء الآخريات يُعتبرن مثل الأحياء، وهو ما يعني أنهن لم يصبحن أحياء. أزواجهن يتظاهرون بأنهم أحياء جداً.

إذا مات أحدهم ذات مرة بتليف الكبد بدلاً من السرطان، فهذا من قبيل التوبيع. ومن الممكن في هذه الحال أن يشمل التوبيع على سبيل التبديل أعراضاً مرضية أجنبية. فقد يحمل بعضهم أحياناً في وقت شراء لوازم البيت عاملأً خشاباً غارقاً في الدم بعرية جipp إلى المستشفى.

من أفواه النساء الحوامل شرعاً تدوى صرخة مفروزة كأنها تصدر من فم واحد. ويضفطن بأيديهن على بطونهن الحساسة للصدمات ويسرن بخطى متعرثة إلى أمهاتهن أو نساء من أقاربهن. ويخفين رءوسهن في حجور مختلفة، يخفن على ما لم يلدن بعد من أولاد، أن يؤثر عليهم منظر المشوه الذي رأينه فيخرجوا إلى الدنيا مشوهين.

(١) اللعب بالمعاني والاستخدامات المختلفة للكلمات، توبيتان أو أكثر، هنا أربع توبيعات لكلمة *allaq*. (المترجم)

على التو تُمدد هذه النساء الحوامل شرعاً في البيوت المختلفة، وتذكّرن بما في بطونهن من أولاد، وتُغطّين بأغطية دافئة.

وتُدوى كلمات مواساة غالباً ما تعبّر عن أن المصيبة كان من الممكن أن تصيب زوج هذه أو تلك، والحمد لله أنها أصابت رجلاً أجنبياً، لابد أن زوجته تبكي عليه حتى تجمد عيناهما. وبعد قليل تجف دموع الحوامل، وتهداً البطون المرتجفة ببطء، وتخرج من الأنوف نفحة شمشمة راضية.

أما «پاولا» التي لا تستطيع أن تذكر رجلاً زوجاً لها، فإنها تكمش على نفسها متضائلة كل التضليل، وتتزوي في ظل سقف بيته. وتصهر مع محيطها مستحبيلة إلى لا شيء.

بينما النساء زميلاتها يدسسن أنفسهن في المخدات والشتل وينعمن بجسدهن الممتلئ الثقيل، توحدت «پاولا» مع الظلام.

جفات مختلفات في بيوت مختلفة يؤدين أشغال البيت الثقيلة بدلاً من بناتها اللاتي ينعمن براحة فترة الحمل.

أما «پاولا» فلا تنعم بشيء، وليس لها راحة فترة حمل. ولما كانت «پاولا» قد نعمت بمتعة محمرة منذ وقت طوويل فلم يعد لها أن تنعم بأي متعة.

وبينما يتبع الجميع عملية رمي القرون^(١) التي يسترسل فيها الشباب غير المتزوجين ويصفقون:

(١) لعبة عربية متوارثة يلاحق فيها الشبان البنات ولا يتدخل الآهالي الكبار عادة لمنها، بل قد يرونها على العكس نوعاً من اللهو الذي حفظه التقاليد. (المترجم).

استحساناً لكل قرن كبير هائل يُرمى، تخرج «پاولا» من مكانتها الظليل وتذهب في سكون إلى البيت. وفي هذه الأثناء يصيب «پاولا» مراراً قرناً منها إصابة محسوسة.

حتى الشيوخ الذين لم يعودوا يستطيعون رفع ذراع أو رجل وهم جالسون على الدكة اللصيقة بالمدفأة، يفشّي وجودهم بريق كأنه من العالم الآخر ويفرّحون عندما يصيب «پاولا» قرن من القرون.

إنهم يفكرون في زمان رميهم القرون.

هذا الزمن ولِي منذ أمد بعيد، وتلك مأساة.

على الدكك بطول الطريق الاتحادي^(١) وهو شريان المرور الرئيسي، وأمام محل الوكالة الاستهلاكية يحتشد رماة القرون. أحياناً يرمي رأس شجاع مباشرة على سيارة نادرة الماركة. وترتفع العقائر بصياح هائل. بل أحياناً توجد رأس دامية بجوار القرن الذي أصابها على نحو أثار البهجة. بل ربما تمدد جسم غارق في الدم بجانب الرأس والقرون. عندئذ يكون على الغابة مرة أخرى أن تبحث عن رجل آخر بدلاً منه. كل هذا الدم والعنف على كومة واحدة، كل قلب يضرب أعلى كثيراً من ذى قبل. هوراً. هوراً. مرحي. مرحي.

وهذه هي «پاولا» تتمرّن من جديد على التواري عن الأنظار.

(١) الطريق الاتحادي طريق مهم للسيارات ، يلى في الأهمية الأوتوكسبراد، وله رقم، ويمر بمدن وقرى أو من خلالها، وعادة ما تمر به سيارات كثيرة تتسبب في حوادث . (المترجم)

ولكن هذه هى فى قلب الأحداث ومقره الرئيسى، حيث يبلغ الصخب والتمتع أبعد مدى. «پاولا» البطلة حاملة اللقب.

على الرغم من أن «پاولا» تحاول دائمًا أن تتوارى زاحفة لتفور داخل الأرض، هاهم أولاء ينبعشون ويخرجونها. والشباب يلاحقون «پاولا» بتصويب دقيق وهدفهم هو رمى القرون. إنهم يريدون رمي القرون وأصابة «پاولا» على الفور لأن الأمر أصبح الآن غير خطير.

لن يكون عليهم بحال من الأحوال أن يدفعوا نفقة الطفل، وسينالون ما يبغون

من الممكن أن يكتشف الإنسان فى قلب السرب «إيريش» أيضًا، وهو ما يحز فى نفس «پاولا». «إيريش» يسیر دائمًا مع السائرين، إلى حيث يتوجهون جمیعاً، وما يفكر فيه الكثيرون صحيح، وأكثر صحة ما سوف يجري، وصحيح ما يفكـر فيه «إيريش». بحركة متقلصة من يده التي أنشئت ودرـبت على أعمال أكثر خشونة يقبض على مـقـود دراجـته الـبـخارـية، وـدراـجـته الـبـخارـية هـى أـفـضـل صـدـيق لـه فـى الفـرـح والـتـرـح. وبـحـرـكة متـقـلـصـة من يـدـه الأـخـرى يـقـبـض عـلـى زـجاـجـة الـبـيـرـة التـى سـتـتـسـيـه بـعـد قـلـيل أـفـرـاحـه وـأـتـرـاحـه.

«پاولا» لا تستطيع أن تغير من هذا السلوك.

إنها تسعى إلى أن تكون قريبة من «إيريش»: لا يمكن أن تجد «إيريش» إلا في وسط السرب. بعد قليل تصوّب كل القرون الصلبة المدببة على «پاولا».

«پاولا» تطالب «إيريش» باتخاذ قرار بشأنها.

وعندما يكون «ربو» بعيداً عن المعمدة، فوق سفح الجبل، والأم هناك في المكان المناط بها، تحديداً بجانب «ربو» تحت سيف «ربو» على سفح الجبل، حيث عملت له لتوها حماماً ساخناً لقدميه وغمست أصابع قدميه القميئه التي لا يجري فيها الدم إلا تماماً، يطالب «إيريش» فجأة بأن يتخذ قرارات وأن يستهدف بها «پاولا». «إيريش» ينظر في بيته، والبيارة تتظر من الكأس إلى الخارج برأسها الميت الذي من شأنه أن يذكر أن الكحول يمكن في ظروف معينة أن يقتل إذا لم يكن الإنسان قد قتله من قبل صروف العمل وظروف الحياة، عندما ينظر «إيريش» إذا في بيته، يعتريه فجأة إحساس بأنه قد يستطيع أن يتخذ بالفعل قراراً.

وفي نهاية المطاف لا يتتخذ «إيريش» قراره هو، بل قرار «ربو».

«إيريش» يتتخذ القرار وهو: لا.

«إيريش» تأخذه بالفعل رأفة بـ «پاولا». العملة التي عملها والتي أدت إلى الوضع الذي وقعت فيه «پاولا» لم يترك ذكرى لديه. لا يستطيع أن يقول هل كانت جميلة أم لا. «إيريش» لا يستطيع أن يحس بجمال شيء إلا آلاته، دراجاته البخارية، التي يحطمها بقيادته الواحدة بعد الأخرى.

عندما يندفع بالدراجة البخارية مسرعاً يبدو كأن كل شر يسقط عنه، في المقام الأول العمل الذي هو أعني شر يمكن أن يصيب الإنسان. ولكنه لابد من أن يؤدى. صحيح أن «باولا» في كرب، ولكن ليس من الضروري أن يتزوجها أحد.

«باولا» تتمنى إلى الشر الذي يسقط عن الإنسان عند يندفع بأقصى سرعة على الطريق الزراعي.

وفي النهاية يتركون «باولا» تعود نهائياً إلى البيت. من بعيد يتبعين الإنسان امرأة ذات نظرة مستبطنة مشتاقة، وابتسمة أمومية، وخطوة حريصة، وتقلص في الباطن، تسير إلى البيت. إنها صاحبتنا «باولا».

«باولا» تتكلف ابتسامة مثل رأس ميت، رأس ميت بلغ الخامسة عشرة من عمره، مرحباً بك في البيت يا «باولا». كدأب كل يوم ينتظرها شغل البيت لإسقاط الجنين.

الأم تأمل أن يكون الحفيد ناقص التكوين وأن ينزلق عاجزاً عن الحياة من «باولا» إذا ما هي بركت على ركبتيها وتلوت بعنف، وإذا ما رفعت دلواً مملوءاً بماء ساخن قذر بالصابون، إذا ما هي عذبت نفسها كما ينبعى، البنت «باولا». ولكن لا شيء ينزلق إلا العرق يتقصد من مسامها كلها. الأم تظن أن هناك قفلاً مقفولاً بمفتاح يسد السكة أمامه.

«باولا» تستبعد بعيداً فكرة أن تطعم الطفل وتكسوه من عائد الخياطة القديمة. الفكرة لا تصلح.

فـ«إيريش» هو الأب الملز بطعم طفله. هذا ما تعلمه «باولا» من أمها. ومن أبيها كذلك، الذي كاد أن يعدمها من الضرب، ولكنه تولى طعامها دائمًا بانتظام. أبو «باولا» أوفى دائمًا أبدًا بواجبه تجاه عائلته، وهذا ما ينبغي أن يجعله «إيريش» كذلك.

عندما تهيئ أفكار «باولا» إلى بعيد جدًا، فإنها تخرج إلى القوى الطبيعية التي تعرف «باولا» عنها أنها أقوى من الإنسان. وبينفس الطريقة التي يتصدى بها الإنسان للطبيعة، يمكن أن يتصدى الإنسان لقانون طبيعي، هذا هو ما زالت تعرفه من المدرسة. والقانون الطبيعي اسمه في هذه الحالة «إيريش» الذي لم يسمع من قبل. قط. كلمة قانون.

وهكذا تلاحظ «باولا» كم هي صفيرة بالمقارنة بقانون الطبيعة. إنها حبة تراب. حبة تراب في الصحراء.

ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ضد القدرة الأولانية لقوة الطبيعة، لا شيء. هذا ما قاله بالأمس فيلم ثقافي في التليفزيون، وهذا ما تقوله «باولا» أيضًا كثيراً.

قدر بريجيته التالي

قدر «بريجيت» فيما بعد في الحقيقة قد أنهى، والأخرى لا نذكره هنا مرة أخرى. والسبب في أنها نذكره على الرغم من ذلك، هو أن وصفه سهل؛ لأنه يتركز على نقطة واحدة هي: «هابينتس»، صحيح أن من الممكن أن تخرج منه طرق مضللة وانحرافات صفيرة، ولكن الإنسان يستطيع دائمًا أن يجد إليه الطريق الصحيح. قدر «بريجيت» انتهى هنا، بقى فقط أن من الضروري أن يُعرض.

اليوم هو مرة أخرى واحد من تلك الأيام التي تتجه فيها «ريجيت» على نحو خاص وعن وعي بالهدف إلى هدفها، بأن تهض من الفراش؛ لأن عليها أن تذهب إلى المصنع. المصنع انحراف صغير، فالهدف هو هذا المساء مع «هابينتس». «بريجيت» تدس نفسها في ثوبها الذي يتكون من جونيللا وبلوهر، ويزر سماتها الأنثوية، وهو شيء له معنى ومقصد.

المصنع حجرة انتظار، ومكان العمل هو «هайнتس». أما «پاولا».

أما «پاولا» فلها اهتمامات أخرى، سيكون في مقدورها أن تتحققها بمساعدة «إيريش». اهتمامات «پاولا» هي: الذهاب مراراً إلى السينما، قضاء عطلات في إيطاليا، تليڤزيون في البيت، تربية الأولاد في البيت وخارج البيت. «پاولا» لا ت يريد فقط أن تحصل على «إيريش»، وإنما ت يريد أن تبني معه شيئاً مشتركاً: بيتأ. مملكة مشتركة صغيرة للإماراة والإدارة، وهو البيت كما ينبغي أن يكون. صحيح أن «پاولا» تحفظ نحو «إيريش» بحب أصبح صغيراً، ولكنه حب لا يزال موجوداً؛ لأنها سمعت أن على الإنسان أن يكون لديه حب نحو شخص واحد؛ لأن هذا الشخص هو أبو أولادها، وعلى الإنسان أن يحبه كذلك أيضاً باعتباره الزوج، وهو ما يلى حب الوالدين المحبوبين وبجعل محله.

«پاولا» لا تحب والديها على الإطلاق.

وعلى الرغم من ذلك ترى «پاولا» أمامها مستقبلاً مملوءاً بالحب. «پاولا» تنتج من ذاتها حباً كما تنتج هورموناً.

أما «بريجيتة»

أما «بريجيتة» فتحتاج إلى هайнتس، وتحتاج إلى المحل المستقبلي له «هайнتس»، وتحتاج إلى إبعاد الحموين عن الطريق، ثم تحتاج إلى عمل عمل ثم عمل؛ لكي تتحمل المحل وتتكبره.

ما عند «بريجيت» الآن: عمل عمل ثم عمل.
عندما يستثمر الإنسان قوته في شيء يملكه، يعود
المردود إليه مضاعفاً أضعافاً كثيرة ، وعندئذ يمكنه
راضياً أن يتنازل عن الحب وتبغاته وألاعيبه.

«بريجيت» تريد إذاً أن تحسن موقفها جذرياً.
«باولا» تريد أن تحسن موقفها جذرياً وأن تجد في
أشياء ذلك أيضاً السعادة.

السعادة لا تهم «بريجيت» بمعنى أنها ترى أن
«هاينتس» مثل الرفاهية هو والسعادة شخصٌ واحد.
ولهذا يكفيها «هاينتس» بكماله وتمامه، «بريجيت»
متواضعة.

«باولا» ليست متواضعة. إنها ت يريد نفس ما تريده
«بريجيت» ولكنها تريد هالة برقة جميلة من حوله.
إنها ت يريد أن تعرض أمام الناس كم يحب الإنسان
الطفل والزوج والبيت والفسالة الكهربائية والثلاثجة
الكهربائية والحدائق. كل هذا. الحب يمكنه أن يحرك
الجبال، ولكنه لا يمكنه أن يحرك «إيريش». الحب
يمكنه أن يحرك الجبال، ولكنه لا يمكنه أن يحرك
«إيريش» ليضعه في وضع الإنسان المحب. «إيريش»
غير متدرس في أن يُحب، فلم يجرِ ذلك هو نفسه
على نفسه قط.

كذلك لا يمكن أن يجلب الحب ثلاثة كهربائية. إذا
لم يكن هناك ثلاثة كهربائية إلخ ، فلا يبقى للإنسان
إلا أن يحب الزوج والأولاد، وهم أشياء قليلة أشد
القلة بالنسبة إلى حب «باولا» الكبير أشد الكبر. في

«باولا» حب كثير جداً جداً يبور كالأرض البور ويسيل
لعايه توقاً إلى أشياء تستحق.

«بريجيته» ت يريد فقط أن تملك وأن تملك الكثير
ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. «بريجيته» ت يريد أن
تملك وأن تقبض على ما تملك.

«باولا» ت يريد أن تملك وأن تحب وأن تُرى الناس
أنها تملك أن تريهم ما تملك وما تحب.

حتى لو لم تعد «باولا» تحب «إيريش»، سيكون
عليها أن تصنع وُتُرى الناس مع ذلك أنها تحب
«إيريش». والتصنع يحتاج إلى جهد كبير، ولكن لابد
منه. وحتى لو لم يكن في مقدورها أن تحب «إيريش»،
فهناك أشياء كثيرة اشتراها «إيريش» بماله من الممكن
أن تحبها على اعتبار أنها بدبل.

«بريجيته» ت يريد أن تملك وأن تزيد ما تملكه ما
استطاعت إلى ذلك سبيلاً. هذا هدف بسيط، وهذا
شيء يفهمه طفل صغير.

والبيئة المحيطة المتعجبة، التي ألفت كل هذا من
قديم الزمان، تقف حاضرة فتصتفق استحساناً
وتتراهن على من يظفر ويكون الأول ومن يكون الثاني.
وأحياناً يخسر أحدهم.

اليوم يتكرر مرة أخرى لا تكون «بريجيته» قد
حملت بعد.

حمل واحد فقط يمكن أن يدخل تغييراً على
حياتها وعلى مسار الأحداث هنا.

اليوم، كما حدث مراراً، تعانى «بريجيتة» خوفاً فظيعاً، من أن تحمل «زوزى». تلميذة المدرسة الثانوية النسوية. قبلها، وهو شىء تقىصه للأسف أشد الشروط بدائية.

«زوزى»، على وجه التحدي، ليست امرأة، بل ما تزال فى سن البنات.

«زوزى» لا تزال توفر. لا تزال «زوزى» تستطيع بابتهاج هادئ أن تحزم حقيقتها الرياضية لتلعب التنس، لم يدخل شىء قذر بعد حياتها.

«هاينتس» لا يعتبر نفسه شيئاً قذراً، وإنما يعتبر نفسه شاباً نظيفاً، وكذلك لعبه البولينج ليس قذراً.

أقدر شىء فى حياة «هاينتس» هو بكل تأكيد «بريجيتة»، النقطة الفامقة الوحيدة على صدريته البيضاء^(١).

المقاول الشاب يوجه طموحه بوضوح دامغ إلى «زوزى».

«بريجيتة» تريد أن توجه بوضوح دامغ طموحه إليها هي.

«بريجيتة» تتسى أن الإنسان لا يحتاج إلى طموح لكى ينالها. عندما يخرج «هاينتس» من البيت يعثر فى «بريجيتة».

(١) الصدرية البيضاء رمز البراءة من الجرائم التى تمس الشرف.
(المترجم).

ذات يوم تلاحظ حتى أم «زوزى» أن وراء «زوزى»
ظل حalk، هو صاحبنا «هainتس». الأم تلاحظ بفريزة
الأم أن هذا الظل حalk من فرط القذارة.

تسأل هل لها أن تتدخل. ولكن «زوزى» تضحك
فقط ضحكة ودودة وتقول لا. أنا أستطيع التصرف
وحدي.

فيما بعد تقول الأم للأب، إنها تأمل أن تستمر
«زوزى» طويلاً في الحفاظ على براءتها وبشاشةها.

وبينما يزحف «هainتس» خلف «زوزى» ماكراً ويلقى
في أثناء ذلك ظله على ثوبها الخاص بلعب التنس،
يساور «بريجيتة» الخوف من أنها لن تحمل. ولكن
الشيء المؤكد أنها ستتحمل؛ لأن جسمها مناسب لذلك،
حتى عندما يضطر رأس «بريجيتة» كل
الاضطراب. سيستمر هذا الخوف حيناً، لا تقارير
جديدة، انتهاء القدر بالنسبة إلى «بريجيتة».

من حياة «باولا» لا تزال هناك بعض الفصول التي
نورد تقريراً عنها وهي تأخذ لها بنية علوية جدلية
هائلة لا تطابق بحال من الأحوال أهمية القصص. في
رأس «باولا» تختلط أمنيات وأحلام وتصورات مكونة
خلبيطاً لا يهضم. من الطرافـة بمـكان أن نـشارـكـ فى
مشاهـدةـ «ـباـولاـ»ـ وهـىـ تـنكـفـىـ دائمـاـ علىـ وجـهـهاـ .ـ وـمنـ
الـطـرافـةـ بمـكانـ بالـنـسـبةـ إـلـىـ الـواـقـفـينـ أـنـ يـشـارـكـواـ فىـ
مشاهـدةـ «ـباـولاـ»ـ وهـىـ تـنكـفـىـ دائمـاـ علىـ وجـهـهاـ طـبقـاـ
لـقوـانـينـ جـاذـبـةـ الثـقلـ وـالـحـبـ .ـ

وإذا كانت «بريجيته» تشغل في مجلاتها بفيلاات المليونيرات، فهى تحسب في رأسها توأً لنفسها مقاييس بيت العائلة الواحدة القادم، ثم تفكر بعد ذلك مباشرة في الموضع الذي تشغله أماكن العمل والحائز الذى يشق فيه باب.

عندما تقرأ «پاولا» نفس المجالات، فإنها تستفرق فيها كل الاستفراغ، ثم إذا بالبيت هناك، قد انتقل على جناح الهواء، ثم إذا بالحديقة الهاشلة هناك، قد سقطت في محيط نقى، مثل كواليس المسرح، وهؤلاء شباب سعداء يرتعون داخله، هم: «إيريش» وعائلته الشابة. والكلبان الألمانيان من فصيلة الشيفر علاوة عليهم.

لهُ شامل يحيط بكل شيء. والناس من أبناء القرية يقفون عند السياج ويحملقون ويحسدون.

«پاولا» كثيراً ما تفكراً في إحساس الإنسان بأن يكون محسوداً ومعجبًا به، «بريجيته» كثيراً ما تفكراً في إحساس الامتلاك والاقتضاء والحيازة.

«پاولا» تفكراً في الأثر، دون أن تكون لها القدرة على تدبير شروط حدوثه. وكذلك «إيريش» لن يستطيع أن يدبر، وهو ما لا تستطيع «پاولا» حتى الآن أن تخمنه.

«بريجيته» تشغل بالسبب، «بريجيته» تتمسك ب الرجل الأعمال «هайнتس»، وبهذا يأتى الأثر من تلقائه.

«بريجيته» بنت المدينة.

«پاولا» بنت الريف.

وبعد ذلك مباشرة «پاولا» و«بريجيته» تفكران بنفمة متستة^(١) في عقد قرانهما. وهذا التفكير يتطلب وقتاً.

بالنسبة إلى «بريجيته» يشغل هذا التفكير المستمر وقت عملها كله ووقت فراغها جله.

بالنسبة إلى «پاولا» يشغل هذا التفكير المستمر وقتها كله وهو وقت عمل.

(١) نفمة متستة تجمع نغمتين سابقتين unisono مصطلح موسيقي.
(المترجم)

الساعات تتسلب سرعاً

الساعات تسير سيرتها العنيدة، «باولا» توشك على الوضع، إذا استمرت الساعات تسير سيرتها هذه. القابلة تتظر منذ حين.

جهود «باولا» التي لا معنى لها والتي تتركز كلها على «إيريش» تستمر في سيرها أبعد مما رأى الناس في أى وقت مضى أى سائر يسير هنا.

إذا حل مساء يذهب الناس ويتخذون أماكنهم في الألواح. يأخذون معهم كل عيالهم وكل أشيائهم. ومن هناك يتبعون بعيونهم الاحتياطات الحمقاء التي تخذلها «باولا».

أهالى القرية والرأى العام متطابقان.

الرأى العام يوافق صراحة على جهود «باولا» الحمقاء والمهينة الهدافة إلى اصطدام صيد ثمين.

الصيد الثمين اسمه «إيريش».

على «پاولا» أن تقنن وضعها المستهجن.

وهي تحتاج في ذلك إلى «إيريش». والصيد الثمين «إيريش» لا يحتاج في قطع خشب البناء والاستخدام إلا إلى نفسه: إيريش.

«پاولا» عملت شيئاً فذراً^(١) وعليها الآن أن تلتهم هذا الشيء القذر. وحدها. وهناك من يطالب «إيريش»، الصيد النفيس، بأن يساعدها في التهام الشيء القذر، حتى يفرغ الصحن أسرع.

«إيريش» يجلس على عرشه القائم وسط الحانة.

«پاولا» تدخل وتعرض ألعابها الصغيرة، ومعلوماتها وقدراتها، وكلها ضئيلة.

كأن العرض في سيرك، وإن زاد ما فيه من فكاهة.

للأسف لم يستمتع «إيريش» بالكثير منه؛ لأنه كان منذ وقت طويل قد وقع على رجل مغمور لا يكف عن ثرثرة حالم نائم، عندما تنتهي «پاولا» لحركة سالتو مزدوجة إلى الخلف مع لفة إلى الداخل.

لم يسترد «إيريش» حتى الآن ربطة على الكتف، ولا خبطة كف على الظهر، ولا لكتة كوع في الضلع، ولا ما هو أخشن من ذلك من التعبير عن الاحترام من بلد الأحلام إلى واقع حضور «پاولا» فقط.

إلى الآن لم يأخذ أحد «إيريش» مأخذ رجل ملء هدومه. وهو الآن مسئول عن بطن «پاولا» الممتلئ،

(١) بتصرف من المترجم.

وسرعان ما يؤخذ مأخذ رجل ملء هدومه. كان «إيريش» يُعتبر حتى هذا الحين عبيطاً غبياً لا يستطيع أن يحتال على المصطافات حتى يدفعن كل ما لديهن من مال وأشياء حتى القميص، سقيم المخ لم ينجح في امتحان رخصة القيادة حتى عند الإعادة للمرة الثالثة، ضعيفاً عليلاً لا يستطيع أن يصيب جذع شجرة بالفأس. وكان رأى الجميع أنه سيصيب رأسه هو بدلاً من جذع الشجرة. ولكنه أصاب «باولا» إصابة رهيبة وصلت حتى نخاع عظمها، ورجت كيانها. رأى الجميع حتى الآن في «إيريش» حيوان شغل مختلف عنهم، فصحيحة أنهم هم. أيضاً حيوانات شغل، ولكنهم لا يشعرون بأنهم كذلك. الجميع الآن يعبرون لـ «إيريش» عن احترامهم ل فعلته التي كسرت «باولا».

ما من شك في أن «باولا» مكسورة.

مفاصل كتف «إيريش» تزيق معذبة في حُقها، فقبضته التي اعتادت على البلطة مضطربة إلى أن تتطبق عندما يقوم بمصافحة لم يألفها. تهانينا يا «إيريش».

وهذه هي كومة من كؤوس البيرة المجانية والإش Nichols المجاني والنبيذ المجاني من المهنثين، وهؤلاء هم المهنثون الذين يهنتونه بنعكشة شعره مجاناً، وبلكمته في ضلوعه مجاناً، وبالشلالات المازجة الكثيرة المجانية التي تهال على مقعدته.

مرة أخرى ترفع ركلاة لثيمة خبيثة ولكن نيتها طيبة «إيريش» من مفصلاته إلى أعلى حتى تدوى قرقعة وصرير^(١).

ثم يقع «إيريش» مثل جوال عضلات ميت ويعود أدراجه ويستقر على كرسيه المعمود.

مثل هذا الكم من خبرات النجاح لم يعهد «إيريش» من قبل فقط.

للأسف لم يعد «إيريش» يستطيع – ومثله في ذلك «باولا» تماماً – أن يذكر سبب هذه الفعلة التي أنته بلقب بطل مهما عصر ذهنه، فلم يؤد إلى المكان صخب دراجة بخارية موبيد، بل طريق هادئ من طرق الغابة. انمحى كل شيء من ذاكرة «إيريش»^(٢).

ومع ذلك فمن الممتع أن يمثل الواحد في دائرة الرجال والشباب شخصية محترمة. لم ينعم «إيريش» من قبل بمنعة، وهو الآن يجد الكثير جداً من المتعة. رجل صغير، كبير جداً.

في الساعة العاشرة مساءً ظهور «باولا» الحامل في شهورها الأخيرة، دخول الأم الحامل غير المتزوجة الحانة.

(١) في هذه السطور تصوير للطريقة الخشنـة القطة التي يستخدمها هؤلاء الأجلاف لتعية زميـلـهم لقيـامـه بـ فعلـةـ مـقـيـنةـ. وتـوـجـحـ يـلـيـنـكـ إـلـىـ القـارـئـ بـأـنـ التـفـاهـمـ معـ مـثـلـ هـؤـلـاءـ العـتـاةـ بـالـعـقـلـ أوـ الضـمـيرـ أوـ الـبـادـئـ صـعـبـ. (المـتـرـجـمـ)

(٢) كلمة النقلة من فقرة إلى فقرة هنا weg, Weg. وتعنى : طريق ومحـوـ. وـنـلاحظـ أـنـ مـجـارـةـ هـذـهـ التـقـيـةـ الشـكـلـ تـقـرـضـ إـدـخـالـ تـقـيـيـرـاتـ شـكـلـيـةـ عـلـىـ النـصـ الـعـرـبـيـ، وـكـثـيرـاـ كـمـاـ يـضـطـرـ المـتـرـجـمـ لـإـغـالـالـهاـ. (المـتـرـجـمـ)

تهليل، خبط بالأقدام، صفير، تصفيق. الآن تحل
البهجة.

عقد آخر مراهنات.

«باولا» لم يعد لها توصيف يحدد درجة الجودة،
والتصنيف إلزامي بالنسبة لتفاح المائدة. «باولا»، لم
يعد لها قيمة تجارية.

«باولا» تحمل تبعات ما فعلته وتدخل بها. «باولا»
تود أن تلقى قصيدها. تصن القصيدة، وهي ذات
إيقاعات حرة، على أن «إيريش» ملزم بأن يعود إلى
البيت؛ لأن الوقت قد تأخر وهو ملزم بأن يذهب في
اليوم التالي إلى العمل الثقيل، وتتنصل على أن «باولا»
مضطرة إلى الانصراف بعد قليل وإلى أن تدع طفلاً
يخرج من أحشائها، وأن «باولا»، وطفلها الذي لم يولد
بعد ينتظران «إيريش». مهما طال الانتظار. بعبارة
أخرى: امرأتك وطفلك بداخلها ينتظرانك يا
«إيريش». وأرجوك، أرجوك، يا «إيريش» أن تعطيني
اسمك.

ولكن «إيريش» لم يعد (وهو مخمور) يستطيع أن
ينطق اسمه. «باولا» تأخرت مرة أخرى تأخراً مفرطاً
في الحضور.

الجميع يرون أن «إيريش»، إذا كان قد تحمّم عليه
أن يرضاخ، لا ينبغي أن يرضاخ إلا عندما يكون الطفل
موجوداً، ويكون هبوطاً قيمة. «باولا» قد أصبح انعدام
قيمة.

عندما تحط قيمة شخص، فإن ذلك يؤدى إلى صمود بسيط فى قيمة الجميع. إن إذلال «باولا» يعوضها عما تقوم به هى من كثير من الإذلال الذاتى الذى هو فى بعض الأحيان أشد بشاعة.

فجأة أصبحوا جميعاً مرة أخرى أشخاصاً فى مواجهة لا شخص واحد.

نحن مجتمعون اليوم فى هذا المكان؛ لكن نثمن ونقيم محاولات «باولا» لجرجرة «إيريش» إلى البيت. المثمنون الذين يحددون الثمن يرفعون إلى أعلى اللافتات وعليها الدرجات.

ترتمى «باولا» على «إيريش» وتبذل يائسة جهداً جهيداً لجرجرة هذا الكائن المخمور الذى سيصبح بعد قليل أيضاً كائناً متقيئاً إلى البيت.

«باولا» تشد «إيريش»

«باولا» تعتقد أن لها حق فى «إيريش».

الهواء الكثيف المثقل بالدخان وغيام البيرة والرائحة الفتنة وضروب من عرق الرجال.

«باولا» الحامل التى تقترب من السادسة عشرة من عمرها، تشد عضلاتها مثل حصان الفيطر، وترفع «إيريش» السكران بجهد جهيد إلى أعلى، ولكنها لا تتقدم بشيلتها الحلوة.

أيدي زملاء «إيريش» فى الفابة تنتزع من يدي «باولا» الفنية الثمينة بقوى متوحدة.

قوة «باولا» المنفردة لا تستطيع شيئاً ضد قوى
سادة الفابة المتجدة. خسرت «باولا» واضطررت إلى
ترك «إيريش». «باولا» واتها حسن حظ وسط سوء
الحظ، فلم يرفسها أحد في بطنها ولم يصب الجنين
بعيب.

أم «باولا» كانت سترضى كل الرضا بإصابة الطفل
في بطن «باولا» بعيوب. وأفضل ما كانت تتمناه أن
يحدث إجهاض أو ولادة فاشلة.

وأغلب الظن أن الطفل للأسف أصبح بعد كل هذه
الشهور قادراً على الحياة خارج «باولا».

سيضرب أحدهم إذا «إيريش» مرة أخرى ضربة
ترفعه وتحطه على دكة الحانة، فهو لم يستوعب شيئاً
من كل هذا. «باولا» تزحف جارة أذبالها نحو البيت
وهي تشيل شيلة ثقيلة عليها هي الطفل. وكان الأحب
إلى «باولا» أن يكون «إيريش» هو شيلتها الثقيلة، وأن
تققد الطفل. وتضرب «باولا» نفسها مراراً ضربات
بعيدة لا تطول الهدف؛ لأن الظلمة حائلة حائلة. ولكن
كل هذه الضربات المميتة لا تميت الصغير في بطنها.

وتلم بالفراش في البيت منتحبة باكية، لقد شدت
«باولا» طوال الطريق الجنين معها وهي تسير إلى أمام
نحو المكان الذي فيه بيتهما. وتطامن «باولا» رأسها إلى
الأرض مثل كلب الصيد الذي يشمشم، وتبطل إلى
فرن الدار التي لم تعد «باولا» تجد فيها ما يرتاح إليه
الإنسان في داره.

وتربع «پاولا» ذراعيها . اللتين ستحملان الطفل بعد قليل . تحت رأسها الذى سيميل لينظر إلى الطفل، وتتمنى أن يكون على الأقل ولداً لا بنتاً .
«پاولا» تتمنى، ليته يكون ولداً لا بنتاً .

فى اليوم التالى وفى الوقت المناسب مبكراً، يشرعون فى تخويف «پاولا» من آلام الطلاق التى يقولون إنها ستكون موجعة مبرحة .

لو كان لـ «پاولا» زوج لكانوا قبل الطلاق واسوها ونهوهها وهونوا عليها .

وذات يوم . الهواء فيه لطيف . تدخل «پاولا» المستشفى وتضفط بحركات صفيرة عسيرة كل العسر طفلأً ليخرج منها إلى نور النهار . وحددت «پاولا» وهىقادمة فى سيارة الإسعاف أن يحمل الابن اسم أبيه «إيريش»، وأن تحمل البنت اسمأً حضرياً هو «زوزانه» .
تحدث أبوها الخائبان إلى سرير المستشفى قائلين أن يتزوجك «إيريش» بسبب بنت أقل احتمالاً من أن يتزوجك بسبب ولد .

ولكن أم «پاولا» تحب المولود مسبقاً، لأنه عيل حبوب . وأم «پاولا» تنتظره أيضاً من كل النواحي .
وأصبحت «زوزانه» بنتاً لم يتزوج أبوها .

وأصبحت «پاولا» أماً لم تتزوج .

والاشتتان أنسنان .

تلك سعادة والتزام أيضاً فى نفس الوقت أن تتصرف «پاولا» كإنسان وليس كحيوان أنسى .

هو التزام جميل. أجمل من التزام «إيريش» بقطع
الخشب.

«باولا» أكبر من ابنتها بست عشرة سنة فقط، ومع
ذلك فهي توشك أن تقطع ما بينها وبين الحياة.

أنت يا «باولا» لم تختلفي في أي نقطة عن حيوان
الفأبة، لأن ولادة صفار تستطيعه كل أنسى، ولكن ما من
أنسى تستطيع أن يجعل أحداً يتزوجها، هذا ما نبهتها
إليه بنبرة خادة خالة جاءت إلى سريرها مسرعة من
المدينة التي انتقلت إليها لزواجهما هناك. «باولا» ترقد
في سرير الولادة وتسمع التبيهات وتتحبّب.

في مقدور الحال أن تتكلم بسهولة على راحتها،
لأنها تزوجت خبازاً في مدينة كبيرة وهي والخباز
يمتلكان سيارة.

على راحتها تعد الحالة القادمة من المدينة إذاً بأن
تكلّم «إيريش» وبأن تنهال عليه حتى يلين، وهو ما لا بد
من فعله مع الرجال عندما لا يريدون أن يفعلوا شيئاً
ما طواعية.

ثم إن الرجال قد يكونون أيضاً أحياناً طيبين
القلب.

التقييد الدائم يلين الحجر، ويلين «إيريش» بكل
تأكيد!

إذلال الذات ثم الإلانتة: الطريق الوحيد.
كذلك حالة المدينة تجد أن المولود أصبح طفلاً
لطيفاً. ولا ينبعى السماح بتجريد الطفل من قيمته.

وهو علاوة على ذلك طفل لطيف، بينما «پاولا»
سفاة سمكية قبيحة.

أولاً الشغل مص عظم «إيريش» والآن تهال عليه
خالة المدينة حتى يلين.

وننقض فيما بعد الشكل الذي اتخذه «إيريش»
بعد أن انهالت عليه خالة المدينة وكيف ألانه.

تقرير قبل النهائي

ومضة السعادة التي تعنى بالنسبة إلى «بريجيت»
أن تكون زوجة وأمًا لا تزال حتى اليوم غائبة.

اليوم يسير أناسٌ في نزهة لأهداف استعراضية
(معاطف جديدة!) من خلال الحديقة. في أثناء هذه
النزهة يجري لقاء مصادفة مع «زوبي» التي يبدو
عليها أنها مصنوعة كلها من ذهب وتأخذ ابن اختها
في عربة أطفال وتصحب بسلسلة كلباً عملاقاً أصيلاً
من جنس الشيفر له وثيقة تبين سلالته.

تلك صورة تخطيط في غاية البراعة. هنا وجدت
الطبيعة أعظم صياغة لها، الحيوان الأصيل البديع
و«زوبي» التي هي أيضاً حيوان أصيل ولكن من نوع
مختلف. إنها تبدو في الضوء الذي يسقط من خلال
ورق الشجر على رأسها تجسيداً لكل الأمهات اللاتي
كن يوماً ما أمهات. مع أن «بريجيت» ترى أن «زوبي»

لا يمكن أن تصبح أبداً أمّاً جيدة؛ لأنها أتانية ولأنها لا يمكن أن تخضع أبداً مصالحها لمصلحة طفل.

وسوء الفهم الذي وقعت فيه «بريجيته» يتلخص في أن «زوّي» يمكن أن تخضع مصالحها لمصلحة طفل إذا كان الطفل من النطفة الصحيحة.

و«هاینتس» ليس هو الرجل المناسب. إنه لا يستطيع أن ينال من «بريجيته» الجلفة الخشنة الطبع أقل القليل من الأحساس.

فما بالك بـ«زوّي» الناعمة الراقصة.

«زوّي» لا تلبس معطفاً جديداً مثل «بريجيته»، ولكن ملابس نزهتها المرسلة المصنوعة من خامات غالية تعطى انطباعاً أكثر كمالاً من معطف «بريجيته» الجديد الربيعي المبكر. منظر «زوّي» هو: أم و طفل في نزهة.

الكلب الجميل يكمل الصورة، قوته تلوح مكبحة على نحو عجيب ورقيق متسمق مع عريبة الأطفال ومع سوزى.

دعينى أصبح الرجل الفاشم الذى تقيد فيه بالسلسلة وتروضيه يا «زوّي»، هذا ما يفكر فيه «إيريش» فى نهم وبمسحة من القذارة فى أفكاره.

يظهر للجميع فى الحال كم تحب «زوّي» الطفل الصغير. صورة بدون تعليق.

أن تكون جميلة ونضرة، هذا ما ينبغي أن يكون.

«بريجيت» تتصور نفسها عندئذ وضعيفة وسطحية «زوزى» وهى تلبس المعطف الجديد المصنوع من الصوف المخلوط بالأورلون. وهو المعطف الذى أعجبك فى المحل كل الإعجاب يا «بريجيت»، يا متقلبة.

«هاینتس» يكلم «زوزى» على الفور، الطفل يناسبك جيداً.

على الرغم من إشاعع «زوزى» الأمومى المؤكدى فإن «هاینتس» يأخذ حيالها وضع التأهيب....

تعجل «هاینتس» وأحس بإحساس قائد سيارة سباق من الرتبة الأولى قبل الانطلاق.

«بريجيت» يتملكها مرة أخرى إحساس كراهية. يبدو أن امتحان الأسطوانت، ومحل المستقبل، وحساب توفير الحموين، أن كل ذلك ينبغى تحفيته جانباً، إذ يبدو أن «هاینتس» وقد غشاه إحساس المنزلاق على الجليد فى بداية السباق، ذلك الإحساس الذى لم يعرفه مع «بريجيت»، قط، سيركز كل التركيز على «زوزى».

«زوزى» تناسبها الأمومة التمثيلية جيداً، كم ستتناسب بها الأمومة الحقيقية عندما يعيّن حينها.

«زوزى» تأتى من بيئه مختلفة كل الاختلاف، و«هاینتس» صنع لكي يعبر من فوق هذه البيئة الراقية.

إذا كان هناك من يصلح لهذه المهمة، فهو «هابيتس».

وكذلك «زوzi»اليوم أقل ميلاً إلى طبع النضال من ذى قبل.

لا تهتم بمجموعات ترتدى زياً خاصاً، يمكن أن يقوم الإنسان بهجمة من أجل حلها، لا تهتم بنوادى مناقشات، يصرح فيها الإنسان برأيه، لا تهتم بمسيرات، يستطيع الإنسان أن يشارك بالسير فيها.

«زوzi» تصرح بأن الطفل الصغير فى عربته الصفيرة لا يعلم حتى الآن من كل هذا شيئاً وأنها تتوى أن تبعد عنه كل قبيح.

«بريجيت» غارقة فى القبيح حتى رقبتها.

ليس الروث بالشء الجميل.

«زوzi» تعطى «بريجيت» نصائح ل التربية الأطفال، وتستخدم عندئذ كلمات سينولوجية أجنبية لا تفهمها «بريجيت».

وعلى الرغم من ذلك فـ«بريجيت» ستكون بكل تأكيد أما أفضل من «زوzi»، كما تقول. وفي الوقت نفسه تضمّن «زوzi» كلامها أنها لا تزال صفيرة على إنجاب أطفال، ولكن الرجل الوحيد المعين سيطرد منها هذه الترهات وسيختارها لهنة الأم على الرغم من صغر سنها.

عندئذ ستجيب «زوzi» بـنعم.

«زوزي» تقول حرفياً: ربما يطرد مني أحدهم هذه الترهات.

«بريجيت» تفهم القليل مما تقوله «زوزي». ولكن «بريجيت» تفهم أن «هاينتس» يرى نفسه في دور هذا الوحيد ويرى «زوزي» في دور ملكه. بينما هي «بريجيت» ملكه.

الحمد لله أن «زوزي» لا تستجيب لهذا العرض، لأنها لا تعرف بعد، ما يمكن أن يعنيه على نحو آخر، امتلاك محل خاص.

«زوزي» لا تعرف بالفعل حتى الآن من هو الرجل الصحيح وما هو شكله: مثل «هاينتس».

«هاينتس» يتولى عن «زوزي» بأدب راق الإمساك بسلسلة الكلب: قوة مزاوجة مرتبطة بأناقة.

هكذا ينشئ «هاينتس» ارتباطاً بينه وبين «زوزي»، هو بالنسبة إلى «بريجيت» لا يمكن اختراقه ولا يمكن هدمه. وهذه هي «زوزي» وقد دفعتها هذه الطبائع النوروية إلى حافة الوجود ترى بعينيها الروحيتين المدربتين تدربياً ناقصاً الصورة التالية: هي تنظف البراز من سلطانية المرحاض اليوم مرة مستخدمة شعر «هاينتس». وقد تقوم بعد ذلك بدس رأسه كلها كاملاً فيها.

علماً بأن تاريخ اليوم مناسب جداً والملابس جديدة جداً. فإذا لم تتعج اليوم، فلن تعج أبداً مرة أخرى. إما اليوم وإلا فلا.

إذا استطاعت «بريجيته» أن تهبه ولداً من صلبه،
فستبهرت «زوزى» بالضرورة عندئذ وهى تقف بجانب
الطفل ابن اختها.

عندئذ سيستطيع «هاينتس» أن يتعلم كيف يميز
الطفل الصحيح عن الطفل الزائف: أن يميز لحمه
ودمه عن ابن اخت «زوزى».
وبناءً على القول فعل.

أنا يا هاينتس، أحبك، أحبك جداً جداً، هكذا تقول
«بريجيته» آلياً، وقد وصلت البيت أخيراً. شعرها
يلمع مُحْمَراً في الشمس، وتلك لمعة من فعل الصبغة
الموجودة فيه. لدى «هاينتس» في منذ وقت طويل
رغبة

ويمكننا اليوم أن نعلن خبراً هو أن تفاهماً حدث
أخيراً بين الشاب والشابة، وهو أمر لن يتضح إلا بعد
عدة أسابيع.

وهكذا وصلت «بريجيته» في نهاية المطاف إلى
قدَرٍ.

أخير جاء من «هاينتس» شيء من نور أيضاً على
«بريجيته».

اليوم حملت «بريجيته» مبروك.

وهكذا لن تنهى «بريجيته» حياتها في البرد
والعزلة، وهو ما كانت ستضطر إليه.

صعبٌ «بريجيته» هو نجاح عمل تتابع قليلاً قليلاً
بجهد جهيد. أستطاعت «بريجيته» مرة أخرى أن
تحسم المعركة بين الجنسين لصالحها.

من المؤكد أن «بريجيتن» ستكون في المحل (محل الأجهزة الكهربائية) قوة عاملة بلفت الكمال وخدمة يقظة واعية.

سعادة «بريجيتن» لا تستند إلى مصادفة، بل كان عليها أن تكافح كفاحاً عسيراً إلى أن حصلت عليه.

«بريجيتن» اعتقدت أن هناك أيضاً حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج، وظل الحق في جانبها: هناك حياة أخرى غير الحياة عند خط الإنتاج في المصنع، إلا وهي «هاینتس».

حيث تكون إرادة، يكون هناك أيضاً طريق.

ولقد وجدت «جيتن»⁽¹⁾ هذا الطريق. الحمد لله إنها ليست بطبيعتها عاقر، بل خصبة، وإنما كل شيء قد انتهى إلى الفشل.

جسم «بريجيتن» الشجاع. المنتصر هو القدرة على الإنجاب. وبصفة خاصة

ربما كان لـ «زوزي» أيضاً مثل هذه الأعضاء، ولكن هذا شيء لا بد من إقامة الدليل عليه.

«بريجيتن» الآن على أية حال فوق في العلاى.

هيا إلى العمل في الإنجاب وإلى العمل في محل الأجهزة الكهربائية، يا «بريجيتن».

هل لديكم كذلك أرحام؟ هذا ما أتمناه! إننا نرى الأمر على خير وجه في مثال «بريجيتن»، التي لم تدع

(1) اختصار تدليل لاسم «بريجيتن». (المترجم).

هذا العضو الأنثوي المهم يضم روى تشتغل في
المصنع على خط الإنتاج، وإنما سمت به... إلى كامل
قدرته الاستخدامية.

ما نهايته خير، كلها خير.

موت «ريو» يجعل الأمر ممكناً

حديث حالة المدينة وخالة الريف أثمر - كما أثمرت العلاقة بين «إيريش» و «پاولا» - لأن «ريو» نفق (١) بالريو بفتة. فجأة أصبح «ريو» في قلب تربة المقابر الحالكة حيث لم يعد يستطيع أن يضر أحداً بشيء.

على العكس من ذلك تحس أم «إيريش» حولها بالضد تماماً، تحس تحديداً بفراغ لا يصدقه العقل حل فجأة، فراغ لم يعد موظف حكومي سابق يطلق من خلاله أوامره المدوية.

الأم توسد عظامها المشوهة كرسياً وتنتفض بين الفينة والفينية مثل كلب الصيد، لأنما سيدوى تكليف أو رغبة أو أمر، وهو ما لن يدوى أبداً.

وكذلك الخنفرة والتزيق والخشخشة كأنها نفخت وأحمدت. وخيم السكون.

(١) بدلاً من أن تقول مات. (المترجم).

لم يعد هناك ما يطن أو يرن من خلال الحجرة
المطبخ.

وهكذا بين عشية وضحاها يصل الإنسان إلى حياة
فارغة بينما رفات «ريو» وسد اللحد للراحة الأبدية
منذ قليل.

كانت الأم قد اندفعت في ثورة غاضبة شرسة إلى
حيث تجري استعدادات دفن «ريو» وكأنما أرادت أن
توجه مرة أخرى نشاطها كله إلى هدفه الصحيح
الواحد ألا وهو «ريو». ثم انتهى الأمر وخيم السكون.

الجدة الهرمة هي التي بقيت وحدها على قيد
الحياة وهي التي أرسلت ابنتها (الآن: الأم) ولما تتجاوز
الرابعة عشرة من عمرها للخدمة في البيوت
وعرضتها لأول مسافحة في حياتها. والأم لم
تسامح أمها، الجدة، بل ترد لها فعلتها أضعافاً
مضاعفة.

أما أن الجدة فيما مضى من الزمان وكانت في
الثانية عشرة من عمرها قد أرسلت للشغل في البيوت
و تعرضت لأول مسافحة فأمر نسيه أهل الريف
بذاكرتهم الضعيفة منذ أمد بعيد. الجدة وحدها هي
التي تعرفه، ولم يعد أحد ينصل إليها.

والحسن على أية حال، بعد أن لم يعد للأم زوج
تخدمه، أن تقوم بإيهانة أمها، بدلاً من إلا تفعل شيئاً
إطلاقاً. وإذا بتعبيرات قبيحة وتمنيات بالموت تتردد
بين جنبات الجبال.

وفي قلب تشنجات بكاء ونحيب الجدة الهرمة
تسربت فيها ابنتها المترملة حديثاً والتي أصبحت بلا
«ريبو»، انقضت حالة «پاولا». نحن نتذكر، إنها ترجو أن
تفكر «إيريش» من رابطة العائلة، وأن تلصقه في
«پاولا». تقول فيما تقول العيل المسكين يضطر إلى أن
يكبر بلا أب، ألا يكفي أن أولادك أنت كان عليهم أكثر
الوقت أن يكبروا بدون آباءهم؟ الطفل يحتاج إلى أب
 تماماً كما يحتاج إلى أم. الطفل يحتاج إلى اليد القوية
كما يحتاج إلى يد الأم الناعمة^(١) .. الطفل يحتاج
إلى الآباءين معاً، لا منفصلين .. هذا أفضل للطفل ..
واضح .. «پاولا» عملت عملية قذرة وعملة عبيطة،
ولكنها صفيرة السن جداً، وأنت أيضاً كنت صفيرة
السن، و«پاولا» ستسلك مستقبلاً سلوكاً مهذباً ولن
تعمل أعمال قذرة بعد الآن.

ثم إن «إيريش» ليس بريئاً إلى هذا الحد في هذه
العملة، وهي تحتاج دائماً إلى اثنين، على الرغم من أن
الدافع يكون أقوى عند الرجل، ولا يمكن أن يوجه إليه
الكثير من اللوم لهذا السبب.

والرجل من الممكن أن يدبّر أمور حياته وحده،
بينما المرأة، «پاولا»، لا تستطيع ومعها الطفل أن تدبّر
أمورها وأن تضرب العوائق، وكذلك تحتاج إلى أن
يضرّبها «إيريش»، تحتاج مرة إلى يد رجل قوية.

(١) الكلام كما تكتبه يلينك متواصل بدون علامات ترقيم، وقد
أضفت النقطتين للفصل والتوضيح. (المترجم).

الطفل يحتاج إلى أبيه: «إيريش».

ومن يعرف إذا كان «إيريش» أصلًا هو الأب، بهذا ردت بكلاحة الأم الفاضبة التائرة. إذا فرطت امرأة في نفسها مع رجل، فإنها عند الضرورة تفرط في نفسها مع رجال كثيرين. ومن يعلم، ربما لا يكون ابني «إيريش» هو الأب، من يعلم.

وتبع هذا الإذلال المعمود الصمت المعهود. وأصاب شيء من إدلال «باولا» الحالة القادمة من المدينة والتي لا ذنب لها. سأصفع «باولا» في مقابل ذلك صفة هائلة، هذا ما نوته وعقدت عليه الأيمان.

عما قريب ستدق أجراس عقد القران في
الكنيسة!

عما قريب ستدق أجراس عقد القران في
الكنيسة! بيم بام بيم بام.

أم «إيريش» حولت المسار بقوة مراراً وتكراراً تجاه العوائق كل العوائق، ولكن هناك حيث كان من قبل جدار خرساني سميك هو «ريبو» تهاوى كل شيء وكأنه صنع من زبد طرى، تلك خبرة مثيرة، لم يعد من فى سنى يستطيع أن يتحملها كما ينبعى. أن تكون فجأة موضوع الرداء، أن يكون على فجأة أن أحقر شيئاً، أن أقف فجأة كشخص أعلى حيال شخص أوطى يرجوها، كل هذا يؤدى بالمرأة المنتظمة عموماً إلى اضطراب عنيف.

هذه المرأة أيضاً دخلت في تجربة أليمة.

واحد خطفه الموت، فمن بقي؟ لا أحد على
الإطلاق.

الأم تقول، صعب أن نضطر إلى التخلّى عن
إنسان؟ لابد أن يكون الشخص قوياً جداً؛ ليتحمل
شيئاً من هذا القبيل. الأم قوية إنها تحمل إثناءين
حديدين مملوءين بمشرب ساخن وكأنها لا تحمل
شيئاً، على الرغم من أنها ليست إلا هيكلأ
عظمياً.

إن من يستطيع أن يتحمل «ريو» عشر معشار
الوقت الذي تحملته الأم شخصٌ يقيناً قوى.
من الذي ستكرهه الآن، إذا كان الجميع قد تركوا
البيت؟

الإجابة: لم يبق إلا الجدة الهرمة، التي أصبحت
الآن جدة كبرى، يمكنها أن تكرهها.

فليُنصب الكرّه كله إذاً على الجدة الكبرى!
ولعوا الأنوار المبهرة.

بلغة المدينة ترجو الحالة القادمة من المدينة الأم أن
تسعد اثنين من الشباب تسسيطر عليهما وحدهما مثل
راكب الدراجة الذي يسيطر عليها ويداه في الهواء،
بلغة المجالات.

قولى نعم، دعى للطبيعة حقها ومسارها الطبيعي،
وكل ما عدا ذلك سيظهر من تلقاء ذاته. هكذا
تتكلّم.

في البداية سارت الطبيعة مسارها الجبار وعلى الحظ أن يدخل الساحة. الخالة القادمة من المدينة ترى أن على الأم ألا تتغلق على هذا المسار الطبيعي الذي تسيره الطبيعة.

وأخيراً تفتح أم «إيريش» المذهولة على مسار الطبيعة. وهاهي ذى تبعد عن الطريق حتى تستطيع الطبيعة أن تطلق إلى الداخل، وهاهي ذى الطبيعة قد أتت. من الممكن أن يتم عقد القران.

ربما يكف «إيريش» عن إدمان الخمر، نصيحة قذفتها الخالة القادمة من المدينة عميانياً. ووصلت بها نهائياً إلى خير منعطف.

سيقام إذاً حفل قران أبيض جميل.

«إيريش» يوافق زائفاً، سينان بالنسبة إليه.

إما أن يسلم النقود لبابا إلا ما يضيعه في الكحول والدراجة البخارية، وإما أن يسلم قليلاً منها لـ «باولا»، والباقي للبنك.

ليست هذه رواية موضوعها الوطن.

وهي ليست رواية موضوعها الحب، حتى إذا لاح أنها كذلك.

فهى، على الرغم من أنها فى ظاهرها تتناول الوطن والحب، لا تتناول الوطن والحب.

هذه الرواية تتناول موضوع «باولا».

وموضوع «باولا» يحدده «إيريش»، أما موضوع قوى «إيريش» البدنية فيحدده آخرون، إلى أن تتفتت أحشاؤه وتبلغ به ميّة مبكرة يكون الكحول قد لعب فيها دوره. «إيريش» يحدد حياة «باولا» وحياة ابنته «زوزانه».«

سيقيم الزوجان الشابان مؤقتاً عند والدى «باولا» اللذين سينزلان لهما عن حجرة. وهما فرحان بأنهما أدخلوا زوجين شابين العش، وأن «باولا» و«زوزانه» لن يدخلاه وحدهما.

وعما قريب سنكون أربعة، لا ثلاثة فقط! هذا ما همسـت به الزوجة الشابة ذات يوم. وعما قريب سنملك سكناً خاصاً أو بيتاً صغيراً خاصاً، فانتظر عـما قريب (١).

عـما قريب ستكون لدينا مبالغ مقتضدة (٢)، وهي الآن ليست لدينا بعد. ليس لدينا في وقتنا هذا إلا أنفسنا وحبنا.

ورغبتـا. سنقوم بالعمل برغبة وحب. وسيكون العمل لطيفاً محبوباً.

«باولا» استهلـكت منذ وقت طويـل رغبتـها وحبـها، أو ما اعتبرـه كذلك.

(١) عـبارة مـاخوذة من آخر قـصيدة كتبـها جـوته وتنـبـأ فيها بـموته الوـشـيكـ. والتـلمـيـحـ المـقصـودـ لا يـفـيـبـ عنـ فـطـنـةـ القـارـئـ : عـما قـرـيبـ سـيـمـوـتـ العـجـائزـ وـيـسـعـ الـبـيـتـ لـلـصـفـارـ. (المـترجمـ).

(٢) مـبالغـ اـقـتـصـدـتـهاـ الـأـمـ المـجـوزـ سـيـحـصـلـ عـلـيـهـاـ الـورـثـةـ بـعـدـ موـتهاـ "عـماـ قـرـيبـ". (المـترجمـ)

أما «إيريش» فلم يكن عنده من قبل قط رغبة أو حب.

كان عنده دائمًا عمله فقط وما كان يرحب فيه وما كان يحبه.

كلاهما عندهما «زوزانه». وعندهما يدان، يدان لكل واحد منها يستطيع بهما طبقاً للحال أن يقبض قبضة متينة. وستظهر آثار الأيدى القابضة عما قريب فى جسم «زوزانه». إلى أن تأتى يد أكبر وأقوى فتتمتد إليه. قد يكون الاسم بيتر وقد يكون شيللى. ولن يكون يقيناً ربنا الحبيب.

الذى سيبارك رياط هذين الشابين، الذين باركا نفسيهما وحدهما من قبل طفل، ويعقده. وستكون هناك قبل ذلك دروس دينية كاثوليكية عن الزواج تلقى عليهما فى دار القسيس حيث ستعامل «باولا» أسوأ معاملة على اعتبار أنها أقدر شيء. ولكن كل هذا سيطويه النسيان يوماً ما.
يوماً ما سنتعقد العقدة.

ومنصف فيما بعد حفل زفاف جميل حتى لا يكون نسيج الأحداث مفرط التعasse.

لا ينبغى لنا إلا نصف إلا ما هو سلبى وقبیح.
الأشخاص الرئيسيون المشاركون فى الأحداث يشعرون بفرحة مسبقة وهم ينتظرون ذلك.

الأشخاص الرئيسيون المشاركون في الأحداث لا تكاد تكون لديهم للأسف المقدرة على أحاسيس الفرح. لم يعد من الممكن أن يجعل الإنسان من حسان عجوز كدح في الفيظان حساناً من فصيلة الليبيتسانر^(١).

إلا أن «باولا» احتفظت بنزعتها التفاؤلية.

«باولا» ممتنة لامتنان الكلب. مرعبٌ أن يضطر الإنسان إلى أن يرى مع آخرين امتنان «باولا». الامتنان يحول دون انبثاق الفرح. كذلك تحس «باولا» بالارتياح.

وهي من ناحية المبدأ مستعدة كذلك لولادة أخرى. استعدادات حفل الزفاف تبدأ.

«ايريش» يجد الطفل لطيفاً. ولكنه على أية حال رجل ولا يستطيع بحكم طبيعته أن يجد في الأطفال الصغار شيئاً، هذا ما تشرحه «باولا» الجديرة بالشرح مرة أخرى. «باولا» فرحانة جداً «باولا» فرحانة جداً. «باولا» تقبل الطفل مراراً وتكراراً أمام الناس بحب متاجج، وهو من حق الأم وواجبها.

(١) لهذه الفصيلة من الخيل شهرة خاصة في النمسا ولها مدرسة فروسية من أيام الأباطرة النمساويين، اتخذت اسمها من مدينة ليبيتسيا غير بعيد عن تيريسينا وكانت تابعة للناظر الإمبراطوري النمساوي، ولها مكان في فيينا تعرض فيه مهاراتها بتذكرة دخول غالبية، ويضرب بها المثل في النمسا عند الحديث عن السمات الأرستقراطية. (المترجم)

«إيريش» يحب موتوراته وخمره القوية.

«باولا» تحب زوجها القادم وطفلها وبيتها الخاص
القادم.

الآن يصبح كل شيء على ما يرام!
صوت قبلات «باولا» يسمعه من بالحجرة المجاورة.
الآن يصبح كل شيء على ما يرام.

عن رحم «بريجيته»

أخيراً يبدأ في الازدهار والنمو، ومحتواه الذي ظل حيناً بلا شكل يزدهر وينمو معه.

عندما ألم بها الغثيان لأول مرة مبكراً وصعد القاء إلى أعلى، عرفت أن اليوم لم يعد بعيداً. فليس من الممكن إطلاقاً أن يكون هناك سبب آخر لصعود القاء إلى أعلى.

وتتحقق «بريجيته» قياماً القليل في سلطانية المرحاض. بعد ذلك مباشرة تذهب «بريجيته» إلى عملها في المصنع كإنسان جديد، كإنسان ولد من جديد. لديها الفرصة عن طريق المولود الجديد أن تولد تقريباً هي نفسها أيضاً من جديد. ستكون هناك بنية وجود علوية ثانية.

الآن تصبح الحياة لطيفة بحق.

الطبيعة بنت سراً كبيراً حول الصيرونة والفناء في الطبيعة. مما قريب ستعرف «بريجيته» هذا السر.

الصيرونة والفناء، بوصف أكثر دقة: طفل «بريجيته» سيصير. الوالدان المشتغلان بالقيادة على المسافات البعيدة سيفنيان والمأمول أن يفنيا بسرعة، وإلا سيكون أمامهما أن يقيما إقامة طويلة ثقيلة في دار المسنين؛ لأن على الشيخوخة أن تفسح مكاناً للشباب وعنفوانه. كل ما في الأمر أن الوالدين المشتغلين بالقيادة على المسافات البعيدة لا يعرفان إلى الآن شيئاً عن قدرهما السخيف.

وعلاوة على ذلك على معلم «هاينتس» في أقرب حين ممكن أن يفني ويقضى نحبه، لأن «هاينتس» الذي تعلم في محله الصغير قد أتم تعليمه الآن ويحتاج إلى فرصة.

إنه يقف هنا من سيخلفك مستقبلاً في تولي العمل، هل على عيني المعلم الذي لم يعقب أولاداً غشاوة سميكة من الورق المقوى؟

آمال «هاينتس» في صعود، شد حيلك شدا

وعائلته الصغيرة المكتملة ستسهل على المعلم الموت، لكي يستطيع «هاينتس» عمماً قريب أن يستقل بمحله. وعلى الإنسان أن يعمل بهمة على التحديث والتتجديد والدهان والتلوسيع، فيكون كل شيء محدثاً ومجدداً ومدهوناً وموسعاً.

على القديم أن يفسح المكان للشباب، و«بريجيته» تفسح في بطنها مكاناً لجديد أفضل وأجمل مما كان حتى الآن نائماً بائراً فيه^(١).

(١) من الموروث الفلسفى: الإنسان باعتباره العالم الصغير الذى ينسجم فى العالم الكبير، الميكروكوسموس والمакروكوسموس، وكذلك الموت والصيرونة ودورتها! Stirb und werde! (المترجم).

وسيحتل الطفل الصغير مكاناً مهماً: ورث المحل!
وستحتل «بريجيته» المكان المهم الثاني: معاونة في
المحل وفي تدبير المنزل.

حتى هذا الحين كانت «بريجيته» تشغل مكاناً بلا
أهمية: عاملة معاونة في المصنع. وتلك درجة أقل، لا
بل عدة درجات أقل.

وجاء اليوم الذي قالت له «هайнتس»
الخبر «بريجيته» تعرف له «هайнتس» بسرها.
«هайнتس» خشى هذا طوال الوقت، وهو الآن لا
 يستطيع أن يتملص. الجنتمان لا يتملص من الواجب.

قبل أن أدفع نفقة الطفل أريد على الأقل من الأم
إسهاماً في المحل في صورة عمل، هذا ما قاله
«هайнتس» من كلام يعبر عن التعاليم موجه إلى عائلته
المذهولة كل الذهول التي تكانت وكأنها تتعرض
ل العاصفة.

من فم الأب سائق المسافات البعيدة وقع وهم
اسمه «زوزي».

من فم الأم امرأة سائق المسافات البعيدة وقع وهم
اسمه «زوزي».

بعد قليل ستسقط الفاكهة من الأشجار، وسيكون
على الوالدين أن يتركا البيت، ليفسحوا مكاناً للجيل
التالي. دفتر توفيرهم يبقى هنا.

الأب يعاني من ألم في الفضاريف وألم في القلب.
وفجأة يصاب الأب بألم ثان يغشى أيام الشيخوخة.

ولكن: المؤاخاة بين المقاولات والثقافة (زوزى) لم يئن لها مرة أخرى أن تتحقق.

مقاولات «هайнتس» تبقى وحدها هنا.

كذلك الأم كان لديها خطط ثقافية عليها الآن أن تخلى عنها. تصورت أنها سيمكونان زوجين جميلين، «زوزى» الحبوبية تلبس أبيض فى أبيض بلون الثلوج، وابنها «هайнتسى» يلبس أسود فى أسود بلون الغراب! هل هناك تضاد أكثر إمعاناً في التضاد من هذا التضاد؟

هل هناك شيء يكون فى وقت واحد تنافراً وانسجاماً؟ أو كان يمكن أن يكون كذلك؟

ثم بعد ذلك كذلك أولاد يمكن أن تساعدهم الأم في الواجبات المدرسية؟ ويتعلمون مرة المقاولات من الأساس ...

ما كان يجوز أن يحدث.

«بريجيته» ليست الضد بالنسبة إلى «هайнتس»، «بريجيته» مثل «هайнتس» ولكنها أوطنى بكثير. هي بالأحرى إنسان بسيط.

«هайнتس» يشعر بأن حمل «بريجيته» كأنه إجبار يمكن في نهاية المطاف أن يصبح نافعاً.

سيتم زواج.

«بريجيته» تتمشى فوق السحاب وتعتقد أنها شيء خاص في حالتها وأنه من الضروري العناية بها.

«بريجيته» على حق.

فترة العناية بـ «بريجيته» إذا بدأت.

عما قريب ينتهي العمل على خط الإنتاج في
المصنع بالنسبة لـ «بريجيته».

يا له من سعد لا يوصف بكلام.

بدلاً من دانتيلا برون جامدة تنزلق الآن چاكتات
صوفية صفيرة ناعمة من بين أصابع «بريجيته»
المفعمة بالأمومة. «بريجيته» فيها اعتداد كبير
بإنجازها.

مرت بعملية تحول من كائن خنثى غير مكتمل إلى
كائن أنثوى.

وكذلك معلم «هابينتس» المسن فرحان بقرب قدوم
الطفل فرح بهلوان مخرف. يقول خير أن يأتي الآن
مرة أخرى دم شاب لم يستهلك بعد، أما تسليم محل
 فهو لا يتكلم عنه. الحمار العجوز.

المعلم المسن لا يدع مجالاً للشك في أنه هو هنا
دائماً السيد وأنه باق كذلك.

«هابينتس» لا يدع أمام «بريجيته» مجالاً للشك
في من يكون السيد في البيت الآن. و«بريجيته»
سعيدة كل السعادة؛ لأنها أصبح لها في النهاية
سيد. عندما يظل الإنسان طوال كل هذا الوقت بلا
سيد، فإنه يحس بالارتياح عندما يجد سيداً طيباً
لطيفاً.

أم فرحانة بقرب قدوم الطفل الصغير. وهي عاكفة على شغل التريكو بلا انقطاع وبلا معنى كالمجنونة من أجله. وهي تستطيع ذلك دون أن تتعلم. فهي تحديداً لم تتعلم شيئاً.

أبو «هайнتس» يز默جـر كما يـز默جـر الأب العجوز دائمـاً في السينما وفي التـيلـيفـيزـيون، ولكـنه مـثـلـ ما يـحـدـثـ في السـيـنـماـ وـالـتـيلـيفـيزـيونـ لاـ يـعـنـىـ فـيـ الـحـقـيقـةـ شيئاًـ مـاـ يـقـولـهـ.

«بريجـيتـهـ» تـراعـىـ بـطـنـهـاـ،ـ وـتـلـقـىـ الرـعـاـيـاـهـ هـىـ وـبـطـنـهـاـ.ـ وـهـذـاـ شـئـ تـطـيـبـ لـهـ نـفـسـهـاـ.

«زوـزـىـ» تـتـمـنـىـ السـعـادـةـ.ـ «زوـزـىـ» تـتـمـنـىـ السـعـادـةـ عـلـىـ نـحـوـ وـدـىـ.

«هـايـنـتسـ»ـ وـ«ـرـيـجـيـتـهـ»ـ يـشـكـرـانـ.ـ «ـبـرـيـجـيـتـهـ»ـ تـقـولـ سـنـتـزـوـجـ قـرـيبـاـ.ـ قـبـلـ أـبـرـىـ النـاسـ شـيـئـاـ.

عـلـىـ الآـلـآنـ أـرـاعـىـ نـفـسـىـ جـداـ وـأـسـتـعـدـ فـىـ سـكـونـ لـقـدـوـمـ الطـفـلـ.ـ «ـبـرـيـجـيـتـهـ»ـ تـتـنـصـتـ إـلـىـ مـاـ فـىـ دـاـخـلـهـ حـيـثـ لـاـ تـسـمـعـ صـدـىـ.

«زوـزـىـ»ـ تـقـولـ إـنـهـاـ لـاـ تـرـيدـ أـبـداـ أـنـ يـكـونـ لـهـ أـلـادـ،ـ وـهـذـاـ مـعـنـاهـ أـنـهـاـ يـقـيـنـاـ تـرـيدـ أـلـادـ ذـاتـ مـرـةـ،ـ عـنـدـمـاـ تـزـدـادـ نـضـجاـ،ـ وـتـكـونـ قـدـ خـفـفتـ وـطـأـةـ الـجـوعـ فـيـ الـعـالـمـ،ـ أـمـاـ الآـلـآنـ فـتـرـيدـ أـنـ تـتـنـظـرـ بـالـنـسـبـةـ لـلـأـلـادـ،ـ لـأـنـهـاـ تـرـيدـ أـلـاـ أـنـ تـرـىـ الدـنـيـاـ وـتـرـىـ الـجـوعـ،ـ وـهـىـ الآـلـآنـ أـصـفـرـ سـنـاـ مـنـ أـنـ تـقـومـ بـهـذـاـ.ـ وـعـنـدـمـاـ تـكـونـ قـدـ رـأـتـ الدـنـيـاـ،ـ فـرـيـمـاـ تـرـيدـ أـنـ تـذـهـبـ كـمـعـاـونـةـ إـنـمـائـيـةـ لـمـدةـ عـامـ إـلـىـ

جزء من أشد أجزاء هذه الدنيا كآبة. وقد تريد أن تتزوج ذات مرة عندما يأتي الرجل المناسب، وعندما يأتي الرجل المناسب، فإنها تريد أيضاً أن تجب أطفالاً.

«زوزى» تنتظر الحب الكبير الذى ما زالت (ابتسامة صفيرة) تؤمن به.

أما ما لم تقله «زوزى» ولكنها تفكير فيه، فهو شاب من هيئة الجامعة، إذا ظهر في الأفق الآن فوراً فسيجد قلب «زوزى» ويدها مفتوحين

في الوقت الحالى لا تزال «زوزى» مؤقتاً غير مستعدة، منفلقة، بنتاً كما ينبعى أن تكون البنات، مزدهرة ومحاطة بجدار منيع. إنها تتظر كزهرة خشخاش، زهرة ترونجان^(١) أو زهرة عباد شمس مقفلة أن يأتي واحد

بياقة ورد مليئة بالورود.

و«زوزى» تقول أيضاً، أن تكون المرأة وحدها لا يكفى، لا بد من أن تستخدم السمات الأنثوية للمرأة فيما خلقت له: الرعاية والعنابة والمساعدة بأوسع معاناتها.

إنها تقدم مجاناً وبلا رسوم نصائح لحياة «بريجيت» الجديدة. «هابننس» يعلق عليها بتلميحاته المبتهجة إلى وضعه الجديد المقيد على نحو

(١) زهرة زرقاء بريمة جميلة تظهر في زراعات الحبوب وأسمها العلمي *centaurea cyanus*. (المترجم)

يغلب عليه التفكه والهزل المبتذل، وهذا هو طبعه.
«زوزى» تغمض عينيها بشدة من الفزع، لأن «هاینتس»
وضيع. «هاینتس» يحس بنفسه رجلاً أكثر من أى وقت
مضى، وهو حقاً كذلك.

«بريجيت» تبعد «هاینتس» مبتهجة عن «زوزى»،
ذلك الخطر الخفى الذى أبطل أخيراً مفعوله. وتشير
مبتهجة إلى أن «هاینتس» الآن عما قريب ^(١) سيكون
زوجاً وأب أسرة. لا بنات غريبات بعد الآن. كلامها
يذهبان مبتهجين إلى عقد القران. «زوزى» تفك
مبتهجة، إنه اعتقاد فعلاً أنه يمكنه أن يتزوجنى، وما
يمكن أن يتزوجنى إلا رجل أحسن بكثير جداً جداً.

«بريجيت» تفكر مبتهجة، لقد نلت أنا أحسن رجل،
ولم تتله «زوزى».

العائله تطلق مبتهجة تلميحاتها إلى البطن الكبير
وكان ثقلأً ثقيلاً في ساقهم. كلهم مبتهجون اليوم.
وفي المساء عرض بيتر ألكسندر البهيج.

«بريجيت» تحس كأنها في حمام ساخن.

(١) تراكيب شعبية متكررة في أسلوب يلينك تميز بإطنان ساذج من نوع : الآن + عما قريب. وبكثره استخدام «ذات مرة» و«عما قريب» على طريقة العبارة المحشورة بسبب وغيير سبب إلخ (المترجم).

عقد القران

أخيراً جاء اليوم المأمول. جو أزرق مشرق يحيي
اليوم المأمول الذي طال انتظاره. أخيراً جاء اليوم
المأمول. جو أزرق مشرق يحيي اليوم المأمول الذي
طال انتظاره.

«بريجيت» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى
الأرض خاطته الخياطة لها خصيصاً.

«باولا» ترتدى ثوباً أبيض طويلاً يصل إلى الأرض
خاطته لها الخياطة، مدرستها السابقة، خصيصاً.

«بريجيت» تحمل على ذراعها باقة من الورد
الأبيض.

«باولا» تحمل على ذراعها باقة من الورد الأبيض.
«هайнتس» يرتدى حلقة سوداء جديدة وبابيون
سموكينج^(١).

(١) باللهجة التمساوية Mascherl. (المترجم).

«إيريش» يرتدى حلة سوداء جديدة بكرافته
جميلة.

«هайнتس» يقول باستمرار نكتاً سخيفة عن حريته
الضائعة.

على «إيريش» تقال نكت كثيرة عن حريته
الضائعة.

«هайнتس» يتكلم عن محله القادر، «بريجيته»
تسانده فى ذلك، وتضع يدها على يده بحركة تتم عن
الامتلاك.

«إيريش» يفكر فى موتوراته، «پاولا» تفكى أنها
نجت مرة أخرى.

«بريجيته» ممتة. «پاولا» ممتة.

«بريجيته» تفكى أنها ستمرد أحياناً، وبصفة
عامة «هайнتس» على حق، وهى ستعمل ما يقوله.

«پاولا» تفكى أنها من الآن فصاعداً ستعمل ما
يقوله لها «إيريش».

«بريجيته» وجدت فى النهاية مكملاً فعلياً
لحياتها: شريكاً فى الهدوء والعناء.

«پاولا» وجدت فى النهاية مكملاً فعلياً لحياتها:
شريكاً فى الهدوء والعناء.

إلى «هайнتس» و«بريجيته» جاء أقارب كثيرون.

إلى «إيريش» و«پاولا» جاء أقارب كثيرون.

حفل زواج «هайнتس» و«بريجيته» مؤثر جداً
ومهيب.

حفل زواج «إيريش» و«باولا» مؤثر جداً ومهيب.

«بريجيت» سعيدة جداً.

«باولا» سعيدة جداً.

«بريجيت» بلفت المرام.

«باولا» بلفت المرام.

«بريجيت» حامل وعما قريب ستستطيع أن تطوق
طفلها بذراعيها.

«باولا» عندها طفل. وهى تطوقه بذراعيها منذ
برهة. ولكن من الضرورى أن يبقى الطفل اليوم فى
البيت .

«هайнتس» هو الآن السيد فى البيت، كما يقول
مبتهجاً.

«إيريش» هو الآن السيد فى البيت، كما لا يستطيع
أن يعبر، ولكن كما يقول له الآخرون هامسين.

«هайнتس» يشرب عدة كؤوس نبيذ فيشعر بالبهجة
ويقول إنه الآن السيد فى البيت، وإن باستطاعته
والديه أن يموتا ميّة البهائم، ولكنه يعبر عن ذلك
بتعبير أرق. الوالدان هما أول التمساء فى هذه
الصحبة الفرحة.

«إيريش» يتجرع الكثير من الخمر ويسكر حتى
يفقد الوعى ولا يعود يستطيع أن يقول شيئاً. «باولا»
لا تزال على الرغم من ذلك سعيدة فى هذه الصحبة
الفرحة.

والدا «هайнتس» يدفعان نفقات حفل القران
متبرمين وملحقين تعليقات لاذعة، أم «بريجيته»
تشارك ببعض المال، ولكن ما تدفعه ضئيل، والدا
«هайнتس» يقولان كلاماً لاذعاً عن أصل «بريجيته».

والدا «باولا» يدفعان سعدين نفقات حفل القران.
لا يحق لأحد أن ينظر إليهما بعد الآن نظرة احتياط.

فيما بعد يأتي دور الرقص.

فيما بعد يأتي دور الرقص.

ينطبق هذا على الحالتين.

هذا الذي يجري الاحتفال به هو أن تذهب أخيراً
امرأة ورجل إلى البيت.

«بريجيته» و«هайнتس» سيقيمان في بيتهما والدى
«هайнتس» الصغير في الحديقة الشريرية الصغيرة
إلى أن يتمكنا من إثارة غيظهما وحنقهما وإخراجهما
ويتمكنا من البناء وتوسيع البيت والمحل وكذلك
التجهيز والفرش.

«باولا» و«إيريش» سيحصلان عند والدى «باولا»
على حجرة صغيرة إلى أن يتمكنا من الحصول على
مسكن صغير أو حتى من بناء بيت!

بالنسبة إلى «بريجيته» و«هайнتس» يعني هذا الآن
أن يوفرها ويوفرا، فالزواج وتكون بيت يكلفان مالاً

بالنسبة إلى «إيريش» يعني هذا الآن أن يوفر
ويوفر؛ لأن الزواج وتكون بيت يكلفان مالاً
على الزوجتين أن توفران المال لزوجيهما.

«هاینتس» و «بریجیتہ» سینجحان فی ذلك.

«ایریش» و «پاولا» لن ینجحا فی ذلك.

الکهربائی یکسب الکثیر.

الخشاب یکسب القلیل.

«ایریش» یشرب الخمر.

«هاینتس» لا یشرب الخمر إلا نادراً وباعتدال.

«ایریش» یضیع کل شیء تقریباً علی الخمر.

«هاینتس» لا یضیع علی الخمر شيئاً؛ لأنه طموح
وعاقل.

أحوال «بریجیتہ» و «هاینتس» علی ما یرام حتى
إنهمما عما قریب سیكونان قد طردا الوالدین من
البيت.

أحوال «بریجیتہ» و «هاینتس» علی ما یرام حتى
إنهمما عما قریب سیرزقان بولد آخر: «هارالد».

أحوال «پاولا» و «ایریش» سیئة. سیرزقان بعد عام
بولد آخر: «کارل».

مؤقتاً نريد . ولما یثقل علينا الهم بعد . أن نرقص
فی حفل زواج «بریجیتہ» و «هاینتس».

مؤقتاً نريد . ولما یثقل علينا الهم بعد . أن نرقص
فی حفل زواج «پاولا» و «ایریش».

وأن نستمتع بالیوم الجميل.

وأن نستمتع بالیوم الجميل.

«باولا» علقت قدرها بـ «إيريش»، وسيظل ذلك معلقاً في رقبتها ثقيراً كحجر الطاحونة الضخم.

«بريجيته» علقت قدرها بـ «هайнتس»، وكانت على حق، وسيأتيها ذلك بمحل خاص وبسيارة جميلة.

بطريق المصادفة أصاب «باولا» حظ سيء وستعاني سقوطاً عسيراً.

بطريق المصادفة أصاب «بريجيته» حظ حسن وستعيش صعوداً عالياً سريعاً كالشهاب.

من أجل ذلك استثمرت «بريجيته» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

من أجل ذلك استثمرت «باولا» الكثير، كل قواها البدنية والعقلية.

«بريجيته» واتها الحظ والنجاح.

«باولا» لم يوتها الحظ والنجاح.

حظ «بريجيته» يرتهن بالمصادفة التي واتها.

حظ «باولا» يرتهن بالمصادفة التي أولتها ظهرها.

«هайнتس» له حرفة ذات مستقبل.

«إيريش» له حرفة غير ذات مستقبل، ولكن حاضرها مضمون.

«هайнتس» يعرف ما يعول عليه في الحياة الاقتصادية.

«إيريش» لا يعرف شيئاً عما يعول عليه في الحياة الاقتصادية. «إيريش» يعرف ما يعول عليه في رياضة

سباق السيارات للحصول على الجائزة الكبرى: سيارة سريعة.

«هاینتس» يعرف أنه يعرف حق المعرفة. «هاینتس» يعرف أن زوجته لا تعرف حق المعرفة. «هاینتس» له سلطة على زوجته الجاهلة.

«ایریش» لا يعرف حق المعرفة. «ایریش» له رغم ذلك سلطة بلا حدود على زوجته، وهو ما يستغله. أحلام «بریجیتہ» و«هاینتس» شكلها تماماً كشكل أحلام «پاولا».

«ایریش» ليست له أحلام سوى أحلام موتوراته. ولكن «ایریش» عنده الكحول. أحلام «بریجیتہ» و«هاینتس» ستتحقق. أحلام «پاولا» لن تتحقق.

كذلك «ایریش» لن يحصل على رخصة قيادة، وهو ما يصيّبه بضربة قاسية، وربما يؤدي إلى إطالة عمره.

هكذا يكون على كل واحد من هؤلاء الأربعه السعداء كل السعادة اليوم أن يحمل نصيبه. الملك يأتي في نهاية المطاف بالمسؤولية. عدم الملك لا يأتي بأى شيء.

لن يؤدي هذا إلى أن عبء «پاولا» سيصفر. تزوج اليوم اثنان لا يملكان شيئاً واثنان يعلمون بأن يكونا من الملوك في المستقبل.

أعلى يا ترى أعلى يا ترى أن أخرج من البيت (١) ..

وجاءت السنوات وراحت وأصبح الأطفال
أناساً (٢).

ونما «هاینتس» النمو الذي كان يتمناه، فأصبح

(١) توع على أغنية شعبية
muss i denn, muss i denn zum
städtle hinaus/ und du mein Schatz bleibst hier/.. wenn i
Komme, wenn i Komme,/ wenn i wieder komme, wenn i
wieder Komm./ kehr i ein mein schatz bei dir
إلى معناها تقريباً:
أعلى أن أخرج من البلد، أعلى أن أخرج من البلد، وأنت يا حبيبي
تبقين هنا ... وعندما أعود، وعندما أعود، وعندما أعود مرة أخرى
ادخل البيت عليك يا حبيبي..-. ونلاحظ ما أخذته يلينك بصفة عامة
من الفناء الشعبي من تكرار بعض الكلمات ومن موضوعات منها
خروج الرجل وترك الحبيبة وحدها في البيت إلى (المترجم)

(٢) تعمدت يلينك استخدام كلمة Leute وهي بهذا المعنى مألوفة
ومحبوبة في اللغة الدارجة، ولم تقل كباراً، وفيما بعد ستتكلم عن
الرجل الذي هو السيد المتسلط، وعن المرأة التي تتعرض للتسلط
... إلى (المترجم)

رجل أعمال من الدرجة الأولى، رجلاً سداداً في الموضع الذي تدعوه إليه الحاجة، رجلاً سداداً بمعنى الكلمة. كانت زوجته تتبع في المحل أدوات كهربائية. وكانت من أجل ذلك كانت قد وفرت بهمة واشتغلت بجد واقتصرت قروضاً كثيرة. ثم استمرا من أجل ذلك يوفران بهمة ويستغلان بجد ويقترضان قروضاً كثيرة. كانوا يعملان بعد ويوفران بهمة.

كان كل شيء قد جرى كما تمنت «بريجيت» وتصورت. كان عندهما طفل لطيف وكان الثاني في الطريق. فما الذي كان ينقصهما لينعموا بالرضا؟ لم يكن ينقصهما شيء بعد ذلك لينعموا بالرضا، لكن لا، كان شيء ينقصهما لينعموا بالرضا: كانوا يريدان أن يكون عندهما المزيد من المكان في بيتهما اللطيف الجديد الذي يلمع ويبرق.

وكان هناك شيء يتمنيانه على أشد ما يكون التمني: أن يزيد كل شيء زيادة مستمرة ويكبر كبراً مستمراً. هكذا يزيد كل شيء باستمرار ويكبر دائماً.

وذات يوم حدث أيضاً. أخيراً جاء اليوم المأمول. في الحديقة كان ورق الشجر قد تلون بألوان مختلفة وخريفية، وكانت زهور النجمة والداليا قد تفتحت، وكانت الشمس تذهب التفاح والكمثرى التي ستتضاجع قريباً، وكانت الطيور قد هاجرت إلى الجنوب لتبقى هناك حيناً من الزمن،وها هما والدا «هاينتس» المسنان يقفن متأهبين للرحيل مع صناديقهم وعلبهم وحقائبهم بباب بيتهما اللطيف الذي تم توسيعه، والذي

قضيا فيه سنوات طوال سعداء جنباً إلى جنب إلى جنب، والذى ربيا فيه «هاینتسى» الصغير ليصبح إنساناً بالغاً م جداً، بأن جعلاه إنساناً مستقلاً، وهو ما أصبحه، مقاولاً مستقلاً، ويدرا فيه المزيد وجنيا المزيد، وظلا يبذران ويجنيان أكثر فأكثر، ورأيا هناك علاوة على ذلك فصول السنة تأتى وتروح، وتلقيا خطابات وكتبا بطاقة عبد الميلاد، وقضيا ساعات وساعات زرقاء (١) أمام التليفزيون والبيرة.

وقف المسنان أشعثين أغبرين من أثر العاصفة لينتقلان للسكنى فى شقة ضيقة جرسونير، صفيرة ولكنها غير إنسانية، لكي يفسحا مكاناً للشابين اللذين أصبح العالم الآن . وفيه بطبيعة الحال بيت العائلة الواحدة الكبير والموضع . ملكاً لهما . هيا إلى الشقة ذات الحجرة الواحدة التى ستليها دار المسنين . هل كان هذا وداع، وحركة إلى أمام ووراء، وتلويح ! بسرعة بسرعة، لابد أن تنطلق بالسيارة.

مرة أخرى يحملان الحفيد الصغير على الأذرع، مرة أخرى يضممان الولد إلى القلب والصدر، مرة أخرى ينظران نظرات سامة مسممة إلى امرأة الابن ويقيمانها ويجدانها أخف وزناً من كل تقدير، ومرة أخرى يحيطان بنظرات وداع المملكة الخاصة القديمة، الحديقة وركن نباتات جبال الألب ومجموعة شجر الصنوبر ومحر الورد . مادا سيفعل الشابان اللذان لم يألفا شغل الحدائقة بها، هل سيتركانها تبور أم

(١) الأزرق دلالة على السكر (المترجم).

سيعيتىان بها كما ينبعى وكما فعل الأب سائق المسافات الطويلة الذى لم يتخلّف عنها لحظة على الرغم من آلام ظهره؟ ألم تفروق عيناً باباً بالدموع، ويبتل جانباً فمه باللعاب الذى أخذ يمسحه سراً دون أن يراه أحد؟ ألم يثقل الحزن قلب ماماً؟

لا ينبعى أن يلحظ الشابان شيئاً من هذا، وليبنوا حياتهما كما يريدان، ونحن المسئلين لا ينبعى أن نقف فى طريقهما «بريجيت» وحدها هى التى أفسدت ابننا «هاينتسى» كليّة. لولا «جيتسى»^(١) لكننا لا نزال هنا، نزرع ونسوى ونبذر ونسيف. بسبب «جيتسى» ينتزعوننا من جانب حفيدنا، بهجة عمرنا وفخاره.

ولكننا سنزودك كثيراً يا «هارالدى»! هل تفرج عندما تأتى تيتا وجدو؟ ويقول «هارالد» مهلاً : نعم، وأنت تأتينى دائمًا بشيء معك؟ وتتأثر تيتا وهى تعدد بذلك، ولما تتكيف على الإطلاق مع الحياة فى المدينة النتنة، فلم يعد هناك شجر ولا نجيل ولا حساب توفير، هناك فقط برودة جامدة وصحراء خرسانية كثيبة وعزلة. على امتداد كيلومترات.

لا إنسان تقول له كلمتين.

لا إنسان فى هذه الصومعة الخرسانية يتسم بالإنسانية والصداقـة. أسفى علينا أن يحل بنا كل هذا فى أيام شيخوختنا ولكن الشباب على حق.

(١) اختصار اسم «بريجيت»، (المترجم).

ولكن «هارالد» ولد رائع، ينفي أن يرث محل أبيه ذات يوم وأن يديره. وما بناء الأب يستطيع الابن عندئذ أن يزيده توسيعاً. الأساس موجود.

لا تبعثر الميراث الأبوى يا «هارالد» عندما تصل الأمور إلى هذا الحد، لا تبعثره، حذار يا «هارالد».

صحيح أن أمك مهملة وخالية، أفسدت لنا ابنا العزيز «هайнتسى»، ولكن بابا سيأخذ على عاتقه أن تصبح ذات يوم رجلاً مجدأً مجتهداً، لأنه هو نفسه رجل مجد مجتهد. وفي استطاعته جدو أيضاً أن يعلمك ما لابد أن يعلمه الرجل، كيف تتسلق الشجر، وكيف تصنع نبلة ترمي بها الطيور، وكيف تلعب بالقطارات، وألا تلول مثل البنات عندما تخرج ركبتك. سيأتى جدو كثيراً للزيارة وليعتنى بالحديقة، لأن الشباب ليس لديهم إلا القليل من الوقت لهذا الفرض، وستأتى تيته كثيراً معى، وعندما يأتي جدو للزيارة سيريك كيف تصبح رجلاً عظيماً بحق، يا «هارالد».

لأن جدو هو أيضاً رجل، هذا ما ينفي أن تعرفه.

«هайнتس» الذى يفرغ صبره والذى عليه أن يذهب لعمل تركيبات كهربائية سيعين عما قريب عاملاً فانياً، وهو يعتقد أن على الرجل العجوز المفزع^(١) أن يرحل من البيت، فإذا لم يفعل سيعطى هو دفعة من عنده،

(١) فى الأصل كلمة مبنية متداولة على المستوى المنحط اجتماعياً ولنوعها وأقرتها حرفياً مؤخراً أو مقعدة أو عجز، ولها مقابل مبتذر بالعربية الدارجة المنحطة. (المترجم).

فقد أوشك حبل صبره أن ينقطع. وهو لا يعترض على أن يأتي الرجل العجوز المكحوك كلما أراد، أما الآن فعليه دون ريش أن يرحل. ولكلما أن تزورانا كلما حلاً لكما، سيبتهج لهذا بصفة خاصة «هارالد»، وزوجته، وكذلك أنا ابنكم «هاينتس». وبصوت غير مسموع: هيا جُراً أذىالكما أخيراً.

الآن رحيل حزين بحق.

«بريجيته»، سيدة البيت، التي كانت في تلك اللحظة مشغولة بتدبير المنزل، تأتي للوداع. لقد أصبحت امرأة نظيفة ممتلئة قليلاً. الزواج أفادها كما يرى الناظر إليها. الكراهية أكلت قلبها وكل ما بداخل كيانها. ولكن بهجة الامتلاك بقيت لديها. وهي تتشبث بها بقبضة من حديد.

«بريجيته» الزوجة والأم التي نظفت حتى الآن ملابس الأطفال من الفائط، تودع والدى زوجها وقد امتلأت كراهية. هي أخيراً وحدها. أخيراً انطلقت السيارة. أخيراً تصبح العائلة وحدها ونستطيع أن تحيا حياتها كما ينبغي لأى عائلة.

توأياً «هاينتس» و«بريجيته» الحياة العائلية التي هي هي كل يوم أى هي شغل شغل شغل.

ولكن الشغل في نهاية المطاف يجعل الحياة حلوة ويجعل الحياة حياة. هذا ما تركه الوالدان العجوزان تراثاً وميراثاً، هذا، وكذلك المال المقتضى الذي يمكن في البيت وفي المحل.

مرة ثانية تحيط «بريجيت» بعينيها وبحواسها الأخرى مملكتها الصفيرة التي سيجري توسيعها عما قريب . الكلمة الأخيرة لتقرير ذلك لم تُقل بعد والذى سيقولها هو «هابينتس» . وتدخل إلى البيت مطلقة زفرات ارتياح، دافعةً أمامها بركلاتها الولد «هارالد».

بابا خرج .

«هارالد» لا يستطيع الكلام كما ينبعى بعد . أحياناً يجد من يضمها إلى صدره بقوه ويقبلها، وهذا شيء يفضله أكثر . أما الشوكولاتة والحلوى والبسكويت فهى ما يفضله كل التفضيل .

بابا فى شغل التركيبات الكهربائية، ماما تبيع كوع صرف من الستينلس ستيل وهو أفضل من العادى .

كذلك تبيع ماما سيشوار للشعر، ودافايتين كهربائيتين تتفثان الهواء دافئاً ومرأة تواлиت من النوع الجديد الذى يمكن إضاءته . ماما يمكنها أن تكون راضية عن يومها؛ لأنه كان يوماً طيباً .

ستزيد الأيام الآن زيادة مطردة .

وهكذا عاد الرضا الداخلى أخيراً إلى هذه المرأة .
أما «زوzi» الثراثة التى لا يأخذونها مأخذ الجد، فيقولون إنها الآن على صداقة مع طالب جامعى . كذلك «زوzi» ستتحمل على ظهرها مصير المرأة كما حملته «بريجيت». «بريجيت» الأكثر شطارة عرفت قبل «زوzi» مصير المرأة .

كان مصير «بريجيته» رمية أصابت الهدف تماماً،
ولا شكوى لها في هذه الناحية. وقد حمقت كل هذا
وحدها بأنوثتها ومن الرجال أولى القوة من
يحتاج لتحقيق هذا الذي حققته إلى قوة أكبر بكثير
منها.

ف لماذا لدينا نحن النساء فتتنا في نهاية المطاف؟
ولهذا كان العنوان: أعلى يا ترى أعلى يا ترى ...

وماذا أوقيت «باولا» مملكة أيضاً

في هذا الوقت أحاطت «باولا» كذلك مملكتها
الصغيرة ببصرها.

مملكة «باولا» الصغيرة تتكون من حجرة صغيرة
في بيت والديها الصغير. هنا تهيمن «باولا».

هي تهيمن على ابنها الأكبر وابنها الأصغر. وعلى
«باولا» يهيمن زوجها.

كثيراً ما يستطيع الشجار والنقار بنفثتهما
المسمومة أن يسمم حياة عائلية بكاملها.

كثيراً ما يسمم الشجار والنقار بنفثتهما المسمومة
حياة «باولا» و«إيريش» العائلية بكاملها. على الرغم
من خطر التسميم يستمر «إيريش» و«باولا»
و«إيريش» في الشجار والنقار.

ومع ذلك فـ «إيريش» في نهاية المطاف زوجي، هذا
ما تفكر فيه «باولا». وهي تجتهد أشد الاجتهد في أن
يكون هناك جو طيب، لكنه يستطيع الطفلان النمو في

هدوء و تستطيع هى نفسها أن تتمو فى هدوء لتصبح
امرأة.

اليوم على سبيل المثال تتلقى «باولا» دعوة إلى حفلة رقص في القرية المجاورة. هل لى أن أذهب إلى هذه الحفلة الراقصة، سؤال تسأله «باولا» مضطربة النفس قبل الموعد بثلاثة أيام. «إيريش» يعدها قائلاً: نعم، عندما تكونين قد فرغت من الوفاء بمطالب الطفلين، لك أن تذهبى. ستتولى أمى أمر الطفلين.

اليوم يوم الحفلة، الذى تلف فيه «باولا» خصائص شعرها. فلما عاد «إيريش» إلى البيت سألهما، إلى أين تزمع الذهاب، فأجابت بأنها تريد الذهاب إلى الرقص في القرية المجاورة مع صديقتها وزوجها. هذه هي المرأة الأولى التي تستطيع فيها «باولا» الخروج.

ولكن إيريش يقول الآن فجأة أنا لا أسمح بذلك.
«باولا» تبكي وتولول. «باولا» تبكي وتولول على نحو يلين له الحجر، كأنها طفلة. وعلى الرغم من ذلك لا يسمح لها بالذهاب للرقص. وتعند «باولا» نتيجة لذلك مدة طويلة و تقطب أساريرها. ولكن «إيريش» ظل صلباً لا يلين؛ لأنه في هذه النقطة لا يعرف المazel.

ولكن «باولا» لم تستطع أن تظل ممتعضة طويلاً
عندما ضحك طفلاها مبهجين.

«پاولا» لديها الآن المنظومة المحكمة التي تمنتها لنفسها. وهي جزء من هذه المنظومة، وما هي بالجزء المستعصي على الانتظام فيها. «پاولا» منتظمة. فهناك ترس مسننة تدور حولها، وهي تنظم^(١) طائفة فيها.

تمكن «إيريش» أخيراً من السيطرة على إنسان، حتى لو كان هذا الإنسان شخصاً شديداً التفاهة مثل «پاولا». هنا الآن شخص يعمل ما يأمر به. «إيريش» له الحق في أن يمنع أو يسمح. وهذا شعور جديد يتذوقه كله حتى الثمالة. أحياناً كذلك بإعطاء أوامر لا معنى لها.

أما الشيء الذي تمناه «پاولا» لنفسها فهو في النهاية بيت صغير خاص. الشيء الذي تمناه «پاولا» لنفسها هو في النهاية بيت صغير تتصرف فيه وتدبر مثل الذي لدى «بريجيت».

أن يكون للشجار والنقار أن يدخلاه.

على العتبة ستسد «پاولا» في وجههما الطريق وتقول لهما: مكانكما في الخارج يا شجار ويا نقار وكذلك أنت يا كراهية. فهذا بيتي!

(١) لاحظ طريقة الكاتبة في استخراج الدلالات المختلفة في الكلمة الأصل والاشتقاقات على شكل تنبیمات من نظم ومنظومة وانتظام إلخ. ولاحظ كذلك طريقة أنسنة المجردات من قبيل شجار ونقار وكراهية، وتوجيه الكلام إليهما، وهي طريقة مألوفة عند البسطاء وفي الحديث مع الأطفال. (المترجم).

ولما لم يكن بيت «پاولا» ملكاً لها وكان علاوة على ذلك مكانياً محدوداً جداً، فلا تستطيع الراحة أن تلم به، بل عليها عند عتبة الباب أن تلملم أذيالها وتعود من حيث أنت^(١).

بينما قام الدليل منذ أمد بعيد على أن الشجار يمكن أن يهدم كل كيان اجتماعي. «إيريش» يسرف في شرب الكحول، وهو الشيء الذي ستوقفه «پاولا» عند حده، على الفور بعد أن تكون قد عبرت عتبة البيت الجديد الذي لن يستطعها الحصول عليه لأن «إيريش» يسرف في عب الكحول. سيبقى الكحول خارج البيت مع الشجار والنقار.

أما الشغل البدني الثقيل فسيدخل البيت على أية حال دون ما تردد وسيبقى فيه.

فى هذا المكان الصغير ينام ويقيم الزوج والزوجة. الأطفال ينامان عند تيته التي لم يعد زوجها منذ وقت طويل ينام عندها، بل فى غرفة ضيقة تحت السقف الجمالون.

عندما تذهب «پاولا» والطفلان يتعلقان بها لشراء الحاجيات، فإنها تحسد عابراً البائعات على نظافتها ونضارتها، أولئك اللاتى كانت تحقرهن فيما مضى. بصعوبة تحافظ «پاولا» على نظافتها ونضارتها وهما الشيء الذى بقى لها والذى كان دائماً يمثل فتتها الكبرى. وهو الآن يكبدتها جهداً أشد كثيراً من ذى

(١) اللعب بكلمة *kehrtmachen* و ، فى الترجمة *einkehren* الم ب وللم أذياله . (المترجم)

قبل. وعليها علامة على ذلك أيضاً أن تعنى بنظافة زوج كثيراً ما يتقيأ على نفسه بل ويتبول أحياناً على نفسه.

وهذا شيء لابد من أن تقدر عليه زوجة السكير، تلك هي الشروط الأساسية. ويسمع كل ذي أذن الناس في القرية يتضاحكون وهو يقولون إن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من أي امرأة لها.

والواقع أن ربع قنينة نبيذ أحب إلى «إيريش» من زوجته «باولا»، وإن صح أنه ربما يحب طفليه أكثر من ربع قنينة نبيذه. وهو كثيراً ما يشتري لهما آيس كريم. وهما يستطيعان أن يصفقا تصفيقاً جميلاً تعبيراً عن الرجاء والتسلل^(١).

لا يزال «إيريش» يحب موتوراته.

ذات يوم تحصل «باولا» على رخصة القيادة. تتوجه «باولا» في امتحان القيادة من أول مرة. «إيريش» يفرح بذلك، لأنه يأتيه سيارة إلى البيت، وهذا صحيح، فبدلاً من المسكن المأمول أتاه سيارة مستعملة ماركة سيمكا إلى البيت.

انت السيارة بطفرة جديدة وذروة في حياة «باولا». إنها تستطيع الآن أن تلف في المدينة راكبة سيارة، وهو ما لا يسمح لها به «إيريش» إلا إذا كان معها.

(١) كما يتعلم الأطفال الصغار عندنا «صفقة سوسة تبقى عروسه»، يتعلم نظراً لهم في المانيا أن يصفقوا تعبيراً عن «أرجوك». «أرجوك»، والكبار يجدون متعة في ملاحظة الأطفال في أثناء ذلك (المترجم).

«پاولا» واحدة من نساء قليلات فى المنطقة لديهن رخصة قيادة. وهى لا تستطيع أن تقود السيارة إلا إذا كان «إيريش» راكباً معها يقلد بفمه ضجيج المотор بصوت مرتفع.

ذات يوم ذهبت «پاولا» إلى إيطاليا لقضاء عطلة مع إيريش والسيارة الجديدة، وظل «إيريش» طوال جزء كبير من الطريق يقلد بفمه ضجيج موتورات سيارات النقل بصوت مرتفع.

بقيت الطفلتان مع والدى «إيريش».

كانت تلك ذروة جميلة. كانت هى الذروة فى حياة «پاولا» حتى الآن.

بعد الذروة عاد الزوجان إلى البيت. لم يكونا هنا غريبين كما كانوا فى إيطاليا، بل هما غربيان فى البيت. وشرعـت «پاولا» على الفور تمنى سكناً جديداً، ولكن بلا جدوـى.

وسرعـان ما غرقـت «پاولا» من جديد فى معمـعة الحياة اليومـية.

وسرعـان ما غرقـ «إيريش» من جديد فى الغـابة والنـبيذ والنـبيـرة.

أما الطـفلـتان فـهما لـطـيفـتان ظـرـيفـتان مـمـتـازـتان فـى الطـاعـة الفـورـية.

تسـهرـ علىـ هـذا الحـمـة والأـمـ ومـاماـ وبـابـاـ. الطـفـلـتان تـطـيعـان حـرفـياـ عنـدـ سمـاعـ الكلـمةـ، بلـ قـبـلـهاـ أحـيـاناـ.

تلك فرحة حقة لـ «پاولا» أن تكون طفلاتها حسنتى الخلقة والصحة إلى هذا الحد. وأهل القرية يقولون كيف يتمنى الإنسان مزيداً من الأمانيات الأنانية عندما يكون عنده أولاد على هذه الدرجة من النباهة واللطف.

عندما تكسر البنت ذراعها ذات يوم تستطيع «پاولا» أن تذهب بها بالسيارة الخاصة إلى المستشفى في المدينة. «إيريش» يتفهم أن تركب «پاولا» السيارة في هذه المرة دون الحصول على تصريح منه. ولكن هذه المرة لا تمثل بحال من الأحوال بداية عملية تعلم بالنسبة لـ «إيريش».

شيئاً فشيئاً أباد العمل في الغابة جزءاً كبيراً من جمال «إيريش» القديم ومحاه، كما أباد جلد يديه كله تقرباً. لا تكاد المصطافات يدرن برعوشهن للنظر إليه. ولا يكاد الإنسان الآن يستطيع أن يميز «إيريش» عن غيره من الخشابين. كذلك ازداد تبلداً على نحو لافت للنظر.

كذلك «پاولا» تحولت إلى إنسان أكثر تبلداً مما كانت في الماضي، على الرغم من أن شفل البيت يرضيها بل يمتعها.

والشيء الذي لا تجده «پاولا» هو قليل من البهجة وأقل من القليل من الحنان. وعلى الرغم من ذلك فلا تزال «پاولا» قريرة العين؛ لأنها لها مكان محدد الأبعاد في الحياة ولديها أولاد. وهي ترجو أن يستمر هذا الحال على ما هو عليه.

لم تعد «باولا» تفكر في الخياطة. وقد شغلت مكانها في المصنع بنت متدربة غيرها قادمة من المنطقة المجاورة الواسعة، بل خلفت هذه أخرى.

عيون القرية على «باولا» مثلاً هي على كل الآخرين الذين انتظمت حياتهم وتحددت بحدود. وعيون القرية تسهر على لا يحدث تجاوز لأى من هذه الحدود.

ونظراً لأن «باولا» تتصرف طبقاً لمقررات أصحاب العيون القروية، فإنها مسجلة عندهم على اعتبار أنها شر تدعوا إليه الضرورة، ولكنها لا تتعرض لإزعاج ولا يذكرها أحد بكلمة، ولا يضعها في موضع خارج نطاق بقية السكان الإناث.

أحاط الناس دون نية طيبة بما بذلت «باولا» من جهود من أجل «إيريش»، وهم يراقبون بشيء من التقدير الخفيف جهودها في مكافحة الكحول وفي التصدي للتدهور البدني، كما ينظر قراء صحيفة يوم الأحد إلى النكت إذا استطاعوا أن يفهموها. ولم يعد أحد يلاحظ نظافتها المتميزة وعنایتها بنفسها، لأنهم أفالوها، وهم يقبلون أن يكون لها أولاد مثل غيرها.

كل شيء سليم.

«باولا» في حقيقة الأمر سعيدة، ولكنها مازالت ترجو أن يكون لها ملكها الخاص الذي يمكنها من أن تتحقق فيه مهنتها لا وهي: ربة بيت وأم. ليس هناك مال لبلوغ هذا الهدف.

ليس لـ «باولا» أن تتجاوز حدود رأسها الصغير العنيد، تلك عبارة لوم قد ترد في رواية من الروايات المسلسلة التي يقرأها محدودو التفكير.

لو كانت «باولا»، في تصور الرواية المسلسلة، قد لزمت العقل لما انخرطت في ذلك الطريق الذي انخرطت فيه، طريق سقوطها.

المكان الذي ستنتهي إليه هو طريق السقوط.
المكان الذي بقى فيه «إيريش» دائمًا وما زال فيه اليوم كذلك هو الطريق المستقيم. الغابة والحانة.

القرية والرواية المسلسلة تقولان إن على الزوجة أن تصون فرن (١) البيت، وأن تحفظه وألا ترمي فيه قذارة.

«باولا» لم تحفظ الفرن ولم تصنفه فترة قصيرة،
«باولا» رمت على الفرن في البيت قذارة.

كلف هذا «باولا» رأسها.

(١) الفرن (ووقدوه من خشب وفحm المطقة) هو رمز البيت، فيه يُخبز وفوقه يُطهى ومنه يشع الدفء، والأسرة في البيوت القديمة قبل أن تظهر التدفئة المركزية والسخانات والماواقد والأفران الحديثة كانت تجتمع عند الفرن. وللفرن في الموروث الشعبي المصري وفي موروثات أمم كثيرة دور شبيه. ومشكلة الفرن التي تتحدث عنها يلينك بين السطور هي أن المجتمع القرروي النمساوي والألماني القديم لا يعرف للمرأة مكاناً إلا عند الفرن. (المترجم).

خطبة أخرى

شهادة المعلم معلقة في برواز على حائط محل «بريجيته» و«هابننس» للأدوات الكهربائية.

وكذلك في بيت والدى «زوزى» يجرى اليوم احتفال بخطبتها. هو مدرس شاب في مدرسة متوسطة. والحضور حلقة من المناقشين المتحمسين حول الشابين، كانت أحياناً تأخذ نفسها بالجد كل الجد.

لا مرح فارغ العقل.

«بريجيته» الفارغة العقل ترزع بحسب رأى «زوزى» تحت عبء مثلث: المرأة والأم وسيدة الأعمال.

«زوزى» الأريبة لا ترزع إلا تحت عبء ثالث: المرأة والأم (عما قريب). تركت دراسة الجermanيات التي كانت بدأتها فهى تنتظر عما قريب طفلأً.

المراةان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن الجديدة.

المرأتان تزدهران كلاهما تحت تأثير مهامهن الجديدة.

«هاینتس» يزدهر تحت تأثير مطبخ «بريجيت». إنه الآن سمين مثل الخنزير، والسمنة أيضاً في أساسها عنده استعداد وراثي. «هاینتس» يميل إلى البدانة، وكثيراً ما تكون فنون طهي «بريجيت» موضوع تدر.

لم تكن فنون «هاینتس» باعتباره رجل أعمال قط موضوع تدر من أي نوع. إنها فنون جادة ومرتبطة بالوجود.

كذلك «جيتي» لديها الآن شحم امرأة لطيفة ممثلة، وكرش صغير لطيف. وبهدف شحم «بريجيت» إلى التعبير عن أنها: امرأة ربة بيت وأعمال وأم سعيدة.

ولديها شيء من التوازن ينتشر كذلك على ما حولها. أما «زووزى» فتريد بالاستعانة بالرياضة البدنية أن تظل رشيقه لتكون وتبقى بالنسبة إلى زوجها الحبيبة الوسيمة. وكذلك تريد أن تحافظ على لياقتها العقلية. وهي تتوى أن تستمر في قراءة كتب كثيرة جيدة وأن تصل بمعلوماتها اللغوية إلى الكمال. وكذلك هذان الزوجان الشابان يريدان أن يبنيا بيتاً^(١).

(١) من الجمل المسكوكات التراثية التي تجري بين الألمان مجرى المثل، وبخاصة في منطقة الجنوب المتاخمة للنمسا: تشتفل وتشتفل وتبني البيت - وكثيراً ما يؤدي هذا إلى أعباء ثقال وتنحيات ومصائب. (المترجم)

وكذلك^(١) ت يريد «زوزي» أن تكون شريكة مفكرة.
فمن المفيد أيضاً للأولاد أن تكون الأم من الناحية
ال الفكرية على أعلى مستوى.

والدا «هайнتس» منظرهما سيئ. تنقصهما
الحقيقة والهواه الطلق فيها. كذلك ينقصهما
الحفيدان. بهذه المشكلات يلقيان عدم الفهم وعدم
التسامح من أولادهما(ولد واحد) وزوجاتهم (زوجة
واحدة).

وكم يودان لو استطاعا أن يأتيا كثيراً للزيارة، وهو
ما ليس فرضاً عليهم وليس مسموماً لهم. فحساب
الأب سائق المسافرات البعيدة في صندوق التوفير خاو،
ومن الخير أنه كذلك. فقد كان ما في حساب التوفير
من أجل الأولاد الذين من أجلمهم يعيش الإنسان في
نهاية المطاف^(٢). أما أن يقوم الإنسان برحلة جميلة
فلم يعد أمرها ممكناً.

و«جيتنى» تعيش من أجل الأولاد ومن أجل محل.
والمحل يعيش من أجل «هайнتس». ولا أظن أن له
صديقة؟

(١) لاحظ تكرار كلمة كذلك وكلمة أيضاً للتعبير عن المقارنة والزيادة
والنسبة. (المترجم)

(٢) لاحظ تكرار عبارة «في نهاية المطاف» في اللغة الألمانية بصفة
عامة، وفي لغة يلينك بصفة خاصة. وهي عبارة قد تعبّر عن
معنى وقد لا تعبّر، فإذا عبرت عن معنى محدد فيكون المعنى
هو الهدف أو الهدف البعيد ، ولا فهى تعبّر عن معنى مثل :
هكذا الدنيا. (المترجم)

لا، لا. الأكل الجيد عند ماما، وهكذا تدعى «بريجيتة» الآن، يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة في مكان بعيد غير معروف وغير آمن.

هكذا، الأكل الجيد عند ماما يجتذب على كل حال أكثر من المغامرة، سؤال توجهه ابنة عم «هاينتس» إلى ابن عمها «هاينتس» على سبيل المزاح وهي ترمق «بريجيتة» بنظرة جانبية.

ويجيئ «هاينتس» على سبيل المزاح أن المغامرة قد تجذبه ولكن كل واحد هنا يعرف أن تلك كذبة. وهكذا رضي الجميع.

وكذلك «زوبي» تطبخ عن حب وبإتقان منذ الصغر، ولكنها لا تطبخ إلا أصناف المطبخ العالى الرفيع، وهى تتضمن الريجيم والأطباق الخاصة الأجنبية، والتى لا تسبب البدانة فالبدانة ليست عصرية.

«زوبي» امرأة أكثر عصرية، بينما «بريجيتة» دقة قديمة بعض الشيء، ولكنها ودودة.

و«هاينتس» يحب «بريجيتة» بالذات لهذا السبب. ولا يود أن تكون غير ذلك.

وما كان ليستطيع أن يتعامل مع امرأة عصرية. وهكذا أصبحوا جمِيعاً أناساً راضين سعداء، يحتلون مكانهم في الحياة، ويحتلون المزيد من المكان. فـ «هاينتس» يمكن، إذا استمر في التهام الأكل بهم كالحيوانات، أن يحتل مكانين في الحياة.

ولكن هذه دعابة حسنة النية.

فالمكانان. أو ما هو أكثر من مكانين . اللذان يحتلهم «هابنتس» في رأسه، يمكنه أن يحتلهم في الحياة أيضاً عما قريب بشخصه.

الأكل اليوم لحم خنزير محمر وكتنودل^(١).

«زوzi» تقول على سبيل الفكاهة إنها راضية بالمكان الذي تحتله الآن في الحياة، وإنها لا تروم تبديلها بأى مكان آخر تحتله مثلاً مكان من أتمت دراسة جامعية عظيمة كاملة وفشل في الحياة نتيجة لذلك.

«زوzi» عصرية ودقة قديمة في آن واحد، هي مزيج يحبه على نحو خاص خطيبها الذي اختطها منذ قليل.

بصفة عامة: أفضل شيء هو الوسط الرشيد، هذا هو الرأى الذى جاهرت به «زوzi» على نحو أشد جدية من أن يناسب رأسها الصغير الجميل.
وزوج المستقبل يوافقها على رأيها وهو يضحك.

(١) لحم الخنزير المحمر أو المشوى كثيراً ما يكون غنياً بالشحم. أما الكتندل Knodel فهي كرة في حجم كرة التنس تقريباً تصنع من البطاطس والمواد النشوية مثل الخبز المعجن والدقيق والنشا مع إضافات مكسيبات للطعم من بهارات وخضراء ربما قطع من الكبدة أو السجق أو اللحم، ويطلقونها بسلقها في ماء أو حساء، من أطعمة جنوب المانيا والنمسا الشهيرة الغنية بالسعرات المئوية للبدانة. (المترجم)

كيف استسلمت «باولا» للانحراف

لا نعرف ماذا دار في رأس «باولا» آنذاك عندما سلكت طريق الانحراف.

هل كانت الرغبة في المال، أم الرغبة في رفاهية متواضعة، هي التي أوصلتها إلى حيث انحدرت إلى السقوط؟ أم هل كانت رغبة جنسية غير منضبطة كان المفروض أن يتحققها لها زوجها؟ وهو «إيريش»، أولاً وقبل كل شيء آخر؟

هل كانت هي إذا الناحية الجنسية في «باولا»، أم رغبتها في الأمان أم رغبتها في أمان يشتري بالمال، أم رغبتها في مسكن خاص؟

القرية تود أن تعرف، ولكنها ترکن إلى تخمينات. والحقيقة الواقعية هي أن «باولا» ارتكبت فعلة قذرة هائلة. هذه الفعلة القذرة وضفت نهاية للأمان كل الأمان وهو ما أثبت أن الأمان لا يمكن أن يكون شيئاً يشتري بالمال. وإنما يستطيع الإنسان بالصبر والمثابرة

أن يكسب الأمان. وعلى الرغم من أن «باولا» كانت منذ سنين في حبها صبوراً ومثابرة فإنها لم تكسب أماناً.

كل الأساليب الغريبة للحصول على زوج والإبقاء عليه تحظى هنا بالاستحسان.

أسلوب «باولا» في الإبقاء على زوجها وفي أن تهين له بيته مريحاً، سوف يستحقه هو وأولادها، ولا يستطيع «إيريش» أن يكسبه، لقى هنا الرفض والإدانة. كان أسلوب «باولا» هو أسلوب الخنازير، ونالت «باولا» عليه الجزاء الذي تستحقه.

لم أفعل ما فعلته إلا من أجل الأولاد و«إيريش»، هذا ما يمكن أن تكون «باولا» قد قالته، فلم ينصت إليها أحد.

الواقع تكلم لغتها الخاصة وتتكلم عن نفسها. عندما تتعرض كرامة رجل لإهانة فمن الصعب محوها. وليس للمرأة أن تبدأ بالتعرض للكرامة. كذلك «باولا» لم تدخل الكرامة أصلاً في بيتها. ذات يوم توجهت «باولا» سراً إلى المدينة، ولا أحد يعلم السبب، كان مقصدها هو الذهاب إلى السينما ومحل الحلوانى، وهما لا يوجدان في القرية. و«باولا» تعتقد أن ما فعلته هذا جزء من الحياة، وهذا خطأ. ولا نستطيع لضيق الوقت أن نجعل «باولا» نفسها تتكلم.

عندما كانت «پاولا» تركن السيارة عند محطة السكك الحديدية انحنى شخص غريب إليها وسألها من خلال نافذة السيارة: ألا نريد أن نذهب قليلاً لقبلات؟

في البداية قالت «پاولا» لا فأنا متزوجة ولدي طفلتان ظريفتان.

ولكنها وافقت بعد ذلك على أن تذهب مع الرجل مسافة إلى مكان لا تراقبه العيون.

ونحن لا نعرف ماذا جاش عندئذ في رأس «پاولا» الذي نفت عنه الخياطة منذ سنوات، ودخله «إيريش» والأولاد منذ حين.

في رأس «پاولا» جاش شيء خاطئ.

في جسم ... «پاولا» لم يتحرك ساكن منذ وقت طويل. وإذا لم يكن الإنسان يحس بشيء فليس معنى ذلك أنه لم يحدث.

لقد فعلت «پاولا» ما فعلته من أجل أسرتها.

ربما تستطيع «پاولا» بهذه الطريقة أن تمنع أسرتها سكناً ثابتاً للأركان. عجيب أن «پاولا» استطاعت أن تصمد هذا الوقت الطويل بدون هذا السكن الثابت للأركان. بينما كانت وهي في الخامسة عشرة من عمرها لا تحلم بشيء آخر غير هذا السكن، بالستائر البيضاء وأدوات منزلية تلمع وتبرق. الأمان تلزمها أربعة حيطان خاصة وفوقها سقف.

ربما كانت هذه فرصة «پاولا» لبناء عش. «پاولا»
تريد أن تقلد السونونوات^(١) بأن تبني عشاً. وهذا ما
تنقني به أغنية أويريت مشهورة محبوبة.
ليس لـ«پاولا» أن تقتني شيئاً لا يخصها.

افتاء البيت واجب على «إيريش». والوسائل الأنثوية لا تصلح لافتاء شيء.
تقول «پاولا» لهذا الرجل ولمن تلاه ولمن تلا الذي
تلاه، أنا أحب زوجي. هل تهديني شيئاً من المال؟
وتتلقي «پاولا» شيئاً من المال هدية.
وربما فكر «إيريش»، أتمنى أن أكسب لقمة عيشي
ذات مرة أيضاً بمثل هذه السهولة.

لم تفكر «پاولا» في أن المال الذي يكون فجأة
معها سيشيد الاهتمام بالضرورة. إنها تريد أن توفر
فقط قليلاً قليلاً كالسنجباب. جزء من هذا المال
تفقهه في المقهى. «پاولا» تريد أن تدفع ذات يوم مقدم
مسكن.

(١) السونونو ويجمع على السونونوات طائر مفرد ماهر في الطيران ، لون ريشه بني أو أسود يغطّيه بياض، جناحاه طويلاً ضيقان مديبان، وذيله منفرج : بالألمانية Schwalbe (Hirundinidae)، يهاجر من المناطق الباردة إلى المناطق الدافئة وبخاصة إفريقيا، ثم يعود إلى ألمانيا فتكون عودته إيذاناً بالربيع، وهو مشهور ببناء أعشاشه بلعابه الخاص الذي يعصقه فيتجمد على حجارة أو طين واجهات المباني أو في داخلها أو في الحظائر أو في شقوق يعفرها فيها. وهو بهذا المعنى معروف للألمان والأوروبيين. ونحن نراه في مصر خاصة في الشتاء. (المترجم)

«باولا» تحصل بجسدها دون عقلها على المال
لشراء شقة صفيرة.

ما تفعله «باولا» دعارة. «باولا» مومس. إنها تتلقى
المال من رجال أغراب، وفي السيارة على المقدم
الخلفي أو على النجيلة يفعل رجل أجنبي.... معها ما
لا ينبغي أن يفعله إلا «إيريش». فعلة خاطئة في مكان
خاطئ. عمل عابث دون تدبر.

على من يمارس هذا النشاط أن يعمل على نطاق
واسع.

كان المفروض أن تعرف «باولا» أنها لا تستطيع أن
تصل إلى شيء عن طريق شيء من قبيل جسدها.
ولكن «باولا» لم تتعلم شيئاً منذ الأيام القصيرة التي
كانت فيها بنتاً.

جسد «باولا» لا يعترض بل يقوم بواجبه. ولكن
البيئة المحيطة تتمتع عن الرضا بما تفعله «باولا»
بجسدها.

البيئة المحيطة تصبح شاهداً على هذه الفعلة في
خمبلة.

ذهب سائق عربة نقل خاصة بالغاية ليتبول في
هذا الموضع الذي لا يذهب إليه أحد إلا أن يكون أربناً
بريناً صغيراً أو وعلاً صغيراً، فرأى جزءاً عارياً من
جسد «باولا» ورجلًا لا تربطها به علاقة زواج. يقول
إنهما كانوا متشابكين على نحو قميّ.

وظل يعيد ما قاله مراراً وتكراراً.

ثم إنه كان يعرف اسم «باولا» وعنوانها.

رأى أن ما مارسته «باولا» هنا في قلب الطبيعة
البريئة خيانة في حق صديقه «إيريش» خيانة. «باولا»
خانت زوجها مع رجل أو مع رجال متعددين.

ثم إن الرجل كان غريباً عن المكان. لم يكن شاباً
من شباب الناحية هنا. رجل غريب وسخ العش.

أف للشيطان. وهي أم، أنجبت طفلتين وهي
تعاطى الآن الحبوب.

خيانة في حق صديقه «إيريش»!

«باولا» تستحق قطم رقبتها أو على الأقل أن تعقم،
حتى لا تستطيع أن تتجبه بعد ذلك أولاداً يمكن أن
تنقل إليهم ما تجمعه من ميراث. «باولا» أسوأ من كلبة
لا تستطيع بغيريتها أن تقاوم الكلاب.

«باولا» انقطمت رقبتها ولكنها لم تعقم. بخت في
وسط النحس.

ثم إن «باولا» طلقتها «إيريش» على أساس ارتكابها
الفحشاء.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «باولا» على
الإطلاق، فقد تحطم زواجها في الحال بعد خطئها
المتكرر.

وعلى الرغم من أن تلك لم تكن رغبة «باولا» على
الإطلاق، فقد تحطمت سعادتها في نفس الوقت الذي
تحطم فيها زواجها.

وعلى الرغم من أن «پاولا» صارت صراعاً شديداً، فقد تحطم هي نفسها أيضاً مع كل ما تحطم.

وعلى الرغم من أن «پاولا» حاولت محاولات واهنة لصد العواقب، فقد تحطم بنيتها الاجتماعية كلها فوق كل الحطام الآخر.

ليتها فكرت في ذلك من قبل، فقد فات الأوان.

لو كانت «پاولا» قد تخيلت ما سيتحطم نتيجة ما فعلت عن تدبير من مساس خاطئ بزواجهما، لما كانت قد بدأت بالتحطم.

حدث ما حدث بقوة انهيار ثلجي مبتل.

الإنسان يعيش هنا مع الطبيعة تكلمه ويكلمها بدون كلفة ولا يستطيع أن يتصدى لها لأنها أقوى.

وكذلك «إيريش» يعني جداً منها، وأمهه تقول إنه لا يتجاوزها أبداً.

ولكن لا ينبغي أن يعني الأولاد معاناة بالغة الشدة من الفعلة القذرة الخنزيرية^(١) التي ارتكبها أمهم، هذه أمنية الحماة.

(١) الكلمة الألمانية باللغة المنف وهي Sauerei مشتقة من Sau أي أنشي الخنزير التي ينسب إليها منتهى القذارة روثا وأفعالاً ومنها العلاقة بين الذكور والإناث. والترجمة بالفعلة القذرة لا تكفي ولهذا أضفت إليها صفة الخنزيرية، واللغة الألمانية فيه كلمة Schweinerei وهي منسوبة إلى ذكر الخنزير Schwein وهي تعبر أيضاً عن الفعلة المفرطة القذارة، وإن قلت عن قذارة أنشي الخنزير. (المترجم).

الطفلتان تعانيان معاناة فظيعة من الفعلة القذرة
الخنزيرية التي ارتكبها الأم؛ لأنهما فجأة لا يكادان
يلمحان ماما الحبوبة، أو لن يلمحانها أبداً.

وهما تسألان عن السبب ولا تفهمانه. من الخير
أن هاتين الصغيرتين اللتين تشبهان دودتين صغيرتين
خرجتا لتهما من البيضة لا تفهمان بعد. عندما
تبلغان من العمر ما يكفي ستفهمان. والأرجح أنها لن
تفهمما ما فعلته.

وسيكون من شأنهما أن تديننا الأم، كما يقول زميل
ذكي من زملاء «إيريش» في الشغل، يستطيع أيضاً أن
يعبر عن نفسه شفاهةً.

الطفلتان تقيمان الآن عند والدى «پاولا» في
الحجرة التي أقام فيها والداهما عندما كانا زوجين.

«إيريش» يبيع لزوجته السابقة السيارة. عملية بيع
حزين. فقد قضيا بها شهر عسلهما الثانى في
إيطاليا، وربما كان من الممكن . لو لم يتغير الحال .
ذات يوم أن يبدلها سيارة رياضية سريعة. لم يبق له
الآن إلا الدراجة البخارية المويد.

والدراجة البخارية المويد تقله أحياناً إلى صديقته
الجديدة الغنية، ابنة فلاح من الناحية. ولكن عب ربع
قرنية نبيذ أحلى نفسه من أي امرأة، وستنتهي
هذه العلاقة المبتدئة يقيناً بما قريب بالفشل هي
الأخرى.

ربما تكون النساء الآن أيضاً مختلفات عند ذى
قبل.

«باولا» بدأت بالتحطيم، وهى الآن قد تحطمته
نهايًّا.

أصبحت صبية الخياطة المتدربة المفعمة بالأمال
امرأة محطمة معلوماتها في الخياطة غير كافية.

هذا أقل من القليل.

تذليل

هل تعرفون هذه المنطقة الجميلة بوديانها
وتلالها؟^(١)
على بعد تحدها جبال جميلة، ولها أفق لم تؤته
مناطق كثيرة.

هل تعرفون مراعلى وحقول وغيطان هذه المنطقة؟
هل تعرفون بيوتها المسالمة، والناس المسالمين فيها؟
في قلب هذه المنطقة الجميلة بنى أناس طيبون
مصنعاً. المصنع المنضوى على نفسه المقام من
الألومنيوم المضلع يشكل تباعيناً جميلاً يتضاد مع
الغابات الورقية والإبرية المحيطة. المصنع ينضوى في
المشهد الطبيعي.

(١) تقويم على قصيدة جوته الشهيرة : « هل تعرف البلد الذي
يزهر فيه الليمون .. ». ويبدو أن موضوعها ما يجري على
الإنسان عندما يهفو إلى المكان الآخر، فقد يجمع خبرات طيبة
وقد يجمع خبرات مؤسفة. (المترجم).

على الرغم من أنه ليس لديه سبب يجعله ينضوي على نفسه.

كان من الممكن أن يقوم ساماً.

يا لوفرة الخير في أنه يقوم هنا، في هذا المكان الجميل، لا في مكان آخر لا جمال فيه.

والمصنع يبدو على منظره كأنه جزءٌ من هذا المشهد الطبيعي الجميل.

يبدو على منظره كأنه نما هنا .. لكن لا عندما يتأمله الإنسان عن كثب يرى أن: أناساً طيبين شيدوه.

فلا شيء يخرج في نهاية الأمر من لا شيء.

وهناك أناس طيبون يدخلون المصنع ويخرجون منه.

أليس هذا الإنسان الذي يدخل هنا ويخرج هو صاحبنا «باولا»؟

قف، نهارك سعيد يا «باولا» ! حقاً، إنها هي. إنها في ظاهرها لم تغير، لا تزال كما كانت دائمًا رشيقه، نظيفة. إلا هذه النففة الخفية من الوهن في وجهها، تلك التي لا يراها الإنسان إلا عندما يدقق البصر. وهذه التجعيدة: هل كانت بالأمس هنا؟

لا، هذه تجعيدة جديدة. ولا يمكن أن تكون هذه شعرة بيضاء؟ لا عليك يا «باولا» ارفعي رأسك عالياً «باولا» تعمل هنا خياطة غير متعلمة على خط الإنتاج.

«باولا» تعمل هنا خياطة غير متعلمة على خط الإنتاج^(١).

«باولا» انتهت هناك حيث خرجمت «بريجيتة» لتتعرف على الحياة. «بريجيتة» عرفت الحياة ووجدت فيها سعادتها.

كذلك «باولا» أرادت أيضاً أن تتعرف على الحياة، وهي الآن تتعلم الشفف باعتبارها عاملة مبتدئة في مصنع للملابس الداخلية. ذلك أيضاً نوع من الحياة.

في المساء ينهرم البشر على المنطقة الطبيعية لأنما كانت ملك يمينهم.

«باولا» لديها الآن شقة صغيرة يمتلكها المصنع كذلك ولهذا فهي رخيصة.

«باولا» تجز أقل مما ينجز إنسان مبتهج؛ لأنها غير مبتهجة. وعلى الرغم من ذلك فعملها كافٍ فالمصنع صبور. كذلك «باولا» لم يعد في داخلها أثر من فراغ الصبر.

«باولا» أنت إلى هذا المكان؛ لكي تعمل في الخياطة لا لكي تكون مبتهجة. كان من الممكن فيما مضى أن تكون مبتهجة^(٢).

(١) تكرار مقصود في الأصل (المترجم).

(٢) موضوع البهجة والابتهاج موضوع محوري في الشعر الثنائي، نذكر من أمثلته ترنيمة البهجة للشاعر الألماني العظيم شيللر. (المترجم)

هي الآن تخيط دون مبهجة مشدات وسوتيليات وكورسيهات وسلبيات. «باولا» تزوجت وانهارت.

لن تسرح نظرتها أبداً إلى الخارج نحو طائر أو نحلة أو عود نجيلة. كان عندها ما يكفيها من الطيور والنحل وعيadan النجيلة. ولكنها لم تستطع فيما مضى أن تقدرها حق قدرها.

كل إنسان يستطيع أن يتمتع بالطبيعة خيراً من «باولا» الآن.

«باولا» تجلس إلى ماكينة الخياطة وتؤدي واجبها. لديها الكثير من المسؤولية، ولكنها لم يعد لديها نظرة شاملة ولا بيت تدبّره.

في المساء تلم بشقتها الصغيرة بيّتاً لها وتفكر في البيت. «باولا» أشد وهناً من أن تشعر بعدم الرضا.

«باولا» لم يعد لها أولاد ولم يعد لها زوج، وعلى الرغم من ذلك فقد أصابها من الوهن ما يحول بينها وبين الشعور بعدم الرضا.

كان لـ «باولا» ذات مرة زوج وطفلان.

كذلك الشغل لا يجعل «باولا» راضية.

الشغل جعل «باولا» بليدة.

الخياطة في دم «باولا». ولكنها نزفت هذا الدم، ولهذا السبب لا ينجح شغلها مثلاً ما ينجح شغل الآخريات. وهو ما يؤدي إلى خصومات من الأجر.

«باولا» تخيط بقلبها كله؛ لأنها لم تعد لديها أسرة يمكن أن تحتل جانباً من قلبها.

«بريجيٰته» لديها الآن أسرة ومحل احتلا قلبها
كله.

ليست خيرة النساء من يخطن بقلوبهن كلها.
و«پاولا» ليست خير النساء.

«پاولا» عاشت قدرها من قبل فى مكان آخر.
وقدّرها ينتهى هنا.

«بريجيٰته» بدأت هنا قدرها. «بريجيٰته» أفلتت.

«پاولا» أصابتها المصيبة. ولو مرت بها الحياة مرة
عاشرة، فلن تحاول «پاولا» أن تكلمها. فلم تعد تحب
الثرثرة.

هذه هي الحياة يا «پاولا» تتطلق بعريتها!
أما صاحبتنا «پاولا» فلا تزال تبحث عن مفاتيح
سيارتها.

إلى اللقاء يا «پاولا» وطريق السلامة.

الفهرس

| | |
|-----|--|
| ٥ | سلسلة الجوائز |
| ٧ | كلمة المترجم |
| ٢٥ | العاشقات |
| ٤١ | بداية |
| ٥٣ | على مثال «پاولا» |
| ٦٧ | ما هذا الذي ييرق هناك |
| ٧٩ | ويستمر مثال «پاولا» السيء |
| | كذلك تشمئز «بريجتيه» من «هايبتس» ... |
| ٩١ | كذلك «بريجتيه» تشمئز من «هايبتس» ^(١) .. |
| ١١٧ | كان مرة أخرى عناقاً جميلاً |
| ١٢٥ | الحب وحده هو الذي يجعلنا نعيش ١ |
| ١٣٥ | في أشاء النزهة تمسك «بريجتيه» |
| ١٣٩ | تفاصيلات «پاولا» |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ١٥١ | ذات يوم كانت «بريجيته» و«هابينتس» |
| ١٦٢ | تابع: مشاعر «پاولا» |
| ١٧٣ | «بريجيته» تكره «هابينتس» |
| ١٧٩ | الحب إذا هنا |
| | الفرق بين «زوزي» و«بريجيته» المشترك |
| ١٩١ | المحتمل بين «زوزي» و«بريجيته» |
| ٢٠٥ | حيث يكون حب، يكون أيضاً طريق |
| ٢١٥ | للأسف |
| ٢١٧ | وقد حدث |
| ٢٢٧ | بل لى صديقة |
| ٢٣٣ | فوق في الطبيعة |
| | علينا في هذا الموضع أن نقطع بشيء من |
| ٢٤٥ | المبالغة قدر بريجيت |
| ٢٥٣ | الآن تزداد «پاولا» بدانه |
| ٢٦١ | قدر بريجيت التالي |
| ٢٦٩ | الساعات تتسرّب سراعاً |
| ٢٧٩ | تقرير قبل النهائي |
| ٢٨٧ | موت «ربو» يجعل الأمر ممكناً |
| ٢٩٧ | عن رحم «بريجيته» |
| ٣٠٥ | عقد القرآن |
| | أعلى ياترى أعلى ياترى أن خرج من |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٢١٣ | | البيت^(١) |
| ٢٢١ | | وماذا أوتيت «باولا» مملكة أيضًا |
| ٢٢١ | | خطبة أخرى |
| ٢٣٧ | | كيف استسلمت «باولا» للانحراف |
| ٢٤٧ | | تذليل |
| ٢٥٢ | | الفهرس |

صدر من هذه السلسلة

- ١ - «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» -
رواية - جائزة ميديسيس.
- ٢ - «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسي «بيير بيجي» -
رواية - جائزة «أنتر».
- ٣ - «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى
شلبي» - رواية - جائزة الدولة التقديرية.
- ٤ - «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد
عفيفي مطر» - سيرة ذاتية - جائزة «سلطان
العويس».
- ٥ - «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» -
مسرح - جائزة «أبها».
- ٦ - «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس
منصور» - سيرة ذاتية - «جائزة مبارك».
- ٧ - «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» -
رواية - «جائزة التفوق».
- ٨ - «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» -
مسرح - «جائزة التفوق».

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٢٥ الرقّم البريدى : ١١٧٩٤ رسماً

WWW. egyptianbook. org

E - mail : info @egyptianbook.org

الفريدة بلينك

أديبة نمساوية ولدت في ٢٠ أكتوبر ١٩٤١.
درست علم المسرح والموسيقى وتاريخ
الفن وعلم الثقافة وعلم النفس وعلم
الاجتماع وعلم الجنس.

حصلت على العديد من الجوائز المحلية
والعالمية قبل حصولها على جائزة نوبل
عام ٢٠٠٤.

الجائزة - جائزة نوبل في الآداب

أكبر جائزة في العالم، وأعلى مرتبة من
جميع التقديرات. تمنح في فروعها
المختلفة كل عام في العاشر من
ديسمبر، وهو تاريخ وفاة صاحبها الصناعي
السويدى ومخترع الديناميت "الفريد
نوبل" الذى أسسها عام ١٨٩٥ كدعوة
لتحقيق السلام فى العالم، ومنذ عام
١٩٠١ أصبح العالم كله ينتظر توزيع
الجائزة على الأدباء والعلماء وداعية السلام.
الذين يقومون بإنجازات أدبية وعلمية
وخدمات اجتماعية نبيلة تهدف إلى رقى
الإنسانية وتطورها.

وجائزة نوبل في الآداب هي أرفع جائزة أدبية
في العالم. تمنح لفم الإبداع في
فروعه المختلفة: رواية . . شعر . . مسرح .
وأول من حصل عليها من العالم العربى
الكاتب المصرى "نجيب محفوظ" عام
١٩٨٨.

العاشقات، رواية عن فتاتين تسعين إلى نوع من الصعود الاجتماعي عن طريق الارتباط برجلين لا يحبانهما، وعلى ضوء الصراع الأبدى بين الرجل والمرأة تتشابك المصائر والأحداث فى صعود سيمفونى تتمير به "إلفريد بلينك".

في هذه الرواية تعمد المؤلفة تعريف النفاق الفردى والاجتماعى بكل صراحة وسحرية واستنكار تصف مجتمع القرية فى "النمسا" الذى يكيل بمكاييل مختلفة، فهو يتصرف التمسك بالأخلاق والشرف، ولكنه غارق فى الفساد، يرضى بالسكر والاغتصاب والعنف والانتصار للفاسدين الطالمين.

